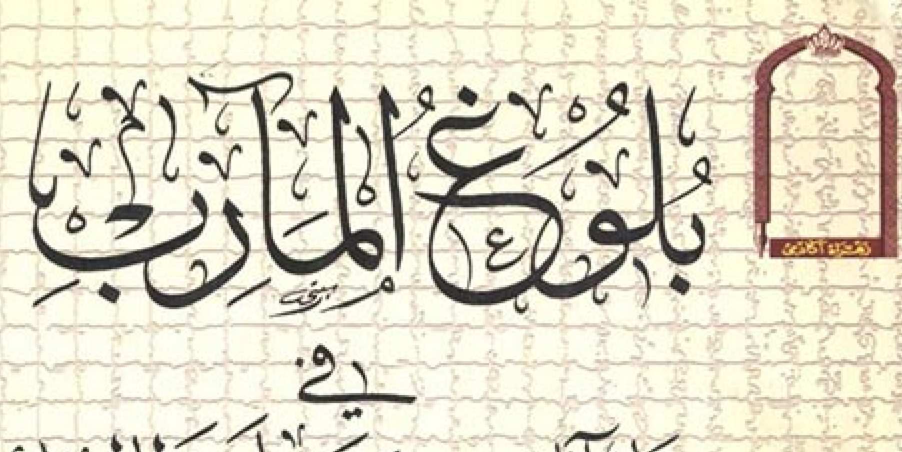


بلوغ المآرب

في

نجاة آبائه (ص) وعمه أبي طالب (ع)



تأليف

الشيخ سليمان الأزهري

رتّب أصوله وحقّقه وعلّق عليه

سامي الغريري

زهراء آكادمي

هوّية الكتاب:

الكتاب:.................. بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمّه أبي طالب

تأليف :................. العلامة السيّد سليمان الأزهريّ اللاذقيّ رحمه الله تعالىٰ

تحقيق :................................. سامي الغريريّ

الطباع:.............................. محمّد صادق عزيزي

الطبعة:.................................... الأولىٰ

المطبعة:................................ سيّد الشهداء عليه السلام

الناشر:.............................. زهراء(س) آكادمی

سنة الطبع:.................................. ١٤٢١ هـ

الكمية:...................................... ١٠٠٠

شابک ٩٦٤/٦٤٣٩/٤٤/٦/٤٥

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأشرف الصلاة، وأتم التحية والسّلام على خير الأنام، الهادي إلى النور من متاهات الظلام، محمّد الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الهداة الميامين.

كلُّ لسان حيٍّ ينصبغ في كلّ عصر بصبغ خاص يمتاز به، وأصحّ حجة للسان العربي المعاصر لهذه الحقائق القرآن المجيد المحفوظ إلى الآن من كلّ اختلاق وتحريف حتى في رسم خطه. ولولا رواج الرواية بالمعنى لألحقنا الحديث النبوي كلّه بهذا القبيل؛ لأنه من أجل العلوم الشرعية وأفضلها بعد القرآن الكريم، فهو أولى ما صُرفت فيه فواضل الأوقات وأحرى بأن تُهْجَر له الملاذُّ والشهوات.

وهو من العلوم الأُخروية، والنجاة لمن تمسك به من كلّ بلية، والعصمة لمن التجأ إليه، والهدى لمن استهدى به وعوّل عليه.

ورسول الله ﷺ هو في حساب الحياة صفوة جنسه وخلاصة قومه الكرام الذين تنقل في أصلابهم جيلاً بعد جيل، كما قال تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فاعتز به الآباء الصِيد والأُصول الأمجاد من آدم عليه السلام إلى عبدالله، ومن حوّاء إلى آمنة، ولذا اختاره الله من كنانة، واختار كنانة من قريش، واختار قريشاً من العرب، فهو خيار من خيار من خيار. ولذا قال ﷺ: « أنا ابن العواتك من سُلَيْم»، وقال ﷺ: « فضل الله قريشاً بسبع خلال:

أنّي فيهم.

وأنّ النبوة فيهم.

والحجابةَ فيهم.

والسقايةَ فيهم.

وأنّ الله نصرهم على الفيل.

وأنّهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم.

وأنّ الله انزل فيهم سورة من القرآن.

وقال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ،واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

فالمتتبع لآيات الكتاب العزيز والسنة النبوية يجد الكثير من الآيات والروايات التي جاءت في حق آبائه عليهم السلام وبيان توحيدهم.

هذه الحقية لفتت انظار العلماء والحفاظ والمحدثين والمفسرين، واسترعت أنتباههم، الأمر الذي دفع بهم إلىٰ تأليف تصانيف وافية، في سرد جميع الآيات والروايات التي وردت في آبائه عليهم السلام، ولكن هذه الكتب والمصنفات اكتفت بذكر الآيات والروايات دون محاولة التعرض إلىٰ مناقشتها إلا ماندر، فيما إذا كان هناك ما يحرف النصّ عن هدفه، ويحاول صرفه إلىٰ غير مستحقه، بل كان هؤلاء المصنّفون ينقلون الروايات المفسرة لتلك الآيات علىٰ علاّتها، سواء كانت صحيحة، أو غير صحيحة متناً أو مستنداً.

والكتاب الذي بين يديك أيها القارىء العزيز من مميزاته أن مؤلفه العلاّمة الشيخ سليمان الأزهريّ اللاذقيّ هو من كُبّار مشايخ الأزهر، فقد شمر بيراعه مدافعاً عن أَبَوَيِ النبي عليهم السلام وعن عمّه أبي طالب، فلم يكتف بسرد الآيات والروايات التي ذكرها غيره من الأعلام، بل عرضها علىٰ محك الدليل وتناولها بالنقاش العلمي والموضوعي، مفنداً ما جاء فيها من محاولات نسبة سبب نزولها في آبائه عليهم السلام، وعمّه أبي طالب، ومبرهناً علىٰ ذلك كله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

ونظراً لأهمية الكتاب وقيمته العلمية قام أخي الكريم المحقق وخادم أهل البيت عليهم السلام الشيخ سامي الغريري بتوثيق أُصوله وتحقيقه والتعليق عليه فما قصر ولا ارتبك قلمه.

واحسب أن مقدمته قد جعلها هي خطُّ النار، والجبهة الدفاعية والهجومية معاً، فحشد فيها أباطيل المفترين، التي تتهافت، وأظهر الخصوم كعصبة من أقزام الزنج ليظهر عظمة آل البيت عليهم السلام كما يبزغ الضياء بعد ارفضاض الغيوم. وقد نوه ودافع بيراعه بفضل كفيل النبي عليهم السلام، وجيه قريش وشيخها، سيّد البطحاء ابن شيبة الحمد فجلاها.

ومن خلال هذا وذاك قامت مؤسّسة زهراء (س) آكادمي بطبع ونشر هذا السفر بعد أن أخذت علىٰ عاتقها عند تأسيسها التحقيق والتأليف لإحياء التراث الإسلامي وخاصة تراث أهل البيت عليهم السلام بكافة اللغات خدمة للإسلام والمسلمين وتقرباً إلىٰ الباري الجليل كما في قوله تعالىٰ:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

السيّد حسين مرتضىٰ النقوي صدر الأفاضل

مؤسّسة زهراء (س) آكادمي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي حسن بلاؤه علىٰ الأنام، وبعث لهم المصطفىٰ المختار، ليبين لهم الحلال من الحرام، محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيٍّ بن كِلاَبِ بن مُرَّةَ بن كَعبِ بن لُؤيٍّ بن غَالب بن فهر بن مَالِك بن النَّضر بن كَنانة ابن خُزيمةَ بن مُدرِكَةَ بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعدٍّ بن عَدنان.

ولا يختلف النسابون إلىٰ عدنان. ثم يختلفون فيما بعده، فبعضهم يقول: عدنان بن أدّ بن الهميسع بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم.

وبعضهم يقول: عدنان من غير ذكر أدّ بن أدد.

وفي حديث أُمّ سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: «عدنان بن أدد بن لؤي بن أعراق الثرىٰ»[١]. المولود ﷺ عام الفيل لسبع عشرة خلون من ربيع الأوّل.

وأُمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أخي قصي وابن كلاب وكان أبوها سيّد بني زهرة، كما كان عبد المطلب سيّد بني قصي، ثم سيّد مكّة جميعها غير منازع، وهي أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأُمّها: برة بنت عبد العزىٰ ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب[٢] بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن

---

١ - الوفا بأحوال المصطفىٰ، لابن الجوزيّ ١:٧٦، سيرة ابن هشام ١:١٥١ - ١٥٥، تاريخ اليعقوبيّ ٢:٦.

٢ - من الجدير ذكره هنا أنَّ قصي بن كلاب كان ينهىٰ عن عبادة غير الله من الأصنام، وهو القائل، كما ورد في الملل والنحل للعلامة الشهرستانيّ ٢:٢٤٨.

أربّاً واحداً أم الف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور

فهر بن مالك بن النضر. وكانت وفاة السيدة آمنة بالأبواء بين مكّة والمدينة، في رجعتها إلىٰ مكّة من زيارتها إخوتها بالمدينة[١].

وتزوج آمنةَ عبدُ الله بن عبد المطلب فحملت برسول الله ﷺ بعد حفر زمزم بعشر سنين، ثم بعثه عبد المطلب ليمتار له تمراً، من يثرب فتوفي بها[٢].

وولدت له آمنة رسول الله ﷺ، وكان في حجر جده عبد المطلب [٣]، فاسترضعه امرأة من بني سعد بن بكر، يقال لها: حليمة السعدية بنت ذؤيب من بني سعد بن بكر[٤]، وقد روي أن رسول الله ﷺ عندما رجع من حنين والطائف، فأقبلت عليه امرأة، فلما رآهابسط لها رداءه، فقيل من هذه؟ فقيل: أُمّه الّتي أرضعته[٥]. وفي رواية استأذنت امرأة علىٰ النبي ﷺ، قد كانت ترضعه ، فلما دخلت عليه، قال: «أُمّي ، أُمّي، وعمد إلىٰ ردائه فبسطه لها ، فقعدت عليه»[٦]. حتّىٰ ابن حجر[٧]، قال في شرح الهمزية: من سعادة حليمة توفيقها للإسلام هي وزوجها

تركت اللات والعزىٰ جميعاً	كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزىٰ أدين ولا ابنتيها	ولا صنمي بني غـنم أزور

١ - السيرة لابن هشام ١:١٦٨، مروج الذهب للمسعوديّ ٢:٢٧٥، وكان عمره ﷺ ست سنوات، أمّا المسعوديّ يقول: إنّ وفاتها في السنة السابعة من مولده ﷺ.

٢ - الوفا بأحوال المصطفىٰ :١١٧، سيرة ابن هشام ١:١١٠ و ١٥٦، تاريخ اليعقوبيّ ٢:٦ - ٧.

٣ - الوفا بأحوال المصطفىٰ :١١٩.

٤ - هي «حليمة بنت أبي ذؤيب (عبد الله) بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر السعدية»، راجع طبقات ابن سعد ١:٣٣٧، تاريخ الطبريّ ٢:١٥٧، المعجم الكبير للطبراني ٢٤:٢١٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٤:١٨١٢، تاريخ دمشق لابن عساكر ١:٧٢.

٥ - هامش السيرة الحلبية: ٥٦.

٦ - المصدر السابق: ٥٦.

٧ - هو الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن حجر الهيتميّ، السعدي، الأنصاري، الشافعيّ، المصريّ، ثم المكيّ، الشهير بـ (ابن حجر) ولد في عام«٨٩٩هـ - ٩٧٣هـ». من تصانيفه اتحاف أهل الإسلام بخصوصات الصيام. أربعين العدلية. إتمام النعمة الكبرىٰ علىٰ العالم بمولد سيّد ولد آدم. إرشاد أهل الغنىٰ والإنافة فيما جاء في الصدقة والضيافة. إسعاف الأبرار شرح مشكاة الأنوار في

وبنوها. وغلط من أنكر إسلامها، بل أُسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع، وقبرها معروف يزار»[١].

زوجها الحارث بن عبد العزىٰ بن رفاعة، ينتهي نسبه إلىٰ بكر بن هوازن[٢].

فلما شب وسعىٰ ردته إلىٰ أُمّه، فلما أتت له ست سنين، ماتت أُمّه في مرجعها من المدينة [٣]، فَيَتِّمَ من الجهتين الأب والأُمّ، ومهما طلع البدر أغنىٰ عن النجوم، وإذا حضر الماء بطل التيمم. وما أحسن ماقاله النبهانيّ في كتابه حجة الله علىٰ العالمين في معجزات سيّد المرسلين[٤]، في همزيته الطيبة الغراء في مدح سيّد الأنبياء .

ماتت أُمّ النبي، وهو ابن ست	وأبوه وبيته الأحشاء
ثم أحياهما القدير فخاراً	شرف الدين حبذا الإحياء
وهما ناجيان من غير شك	فترة أو حياة أو حنفاء
رضي الله عنهما وكرم النـ	اس منا، ولتسخط اللؤماء
ليس يرتاب في نجاتهما إلا ر	قيع في الدين أو رقعاء
كيف ترجىٰ النجاة للناس ممن	ما أتىٰ والديه منه النجاء

الحديث أربع مجلدات. أسنىٰ المطالب في صلة الأقارب. أشرف الوسائل إلىٰ فهم الشمائل. الأعلام بقواطع الاسلام. الإمداد شرح الإرشاد كبير. تحذير الثقات في أكل الكفتة والقات. تحرير الكلام في القيام عن ذكر مولد سيّد الأنام تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج الىٰ مؤدبو الاطفال تحفة الزوار الىٰ قبر النبي المختار. تحفة المحتاج في شرح المنهاج فتح المبين في شرح الأربعين للنووي. المنح المكية في شرح الهمزية مجلد. راجع هدية العارفين ١٤٦:٥ أنظر ترجمته في شذرات الذهب ٨: ٣٧٠، النور السافر :٢٨٧، الكواكب السائرة ١١١:٣، البدر الطالع ١٠٩:١.

١ – شرح الهمزية نقلاً عن هامش السيرة الحلبية: ٥٦.

٢ – سيرة ابن هشام ١٥٨:١– ١٦٧، أبو الفتوح الرازيّ في تفسيره الكبير ٤: ٢١٠، التعظيم والمنة للسيوطي :٢٥، شرح النهج، لابن أبي الحديد ٣١١:٣.

٣ – المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣٢:١، الوفا بأحوال المصطفىٰ لابن الجوزيّ :٨٦، هامش السيرة الحلبية لزيني دحلان :٥٧، السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩:١، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، نسب النبي ﷺ مخطوط ورق «٢» للشيخ ملاّ صالح بن شايع الشافعيّ مذهباً والأشعري عقيدةً.

٤ – حجة الله البالغة ٤٦٩:١.

كـم أتـانا بأمـر بـر ونـهىٰ   عن عقوق وهو الفتىٰ المـئتاء
ومـحال تكـليفه النـاس خـيراً   هـو مـنه حـاشا وحـاشا بـراء
أيـرون الدعـاء مـا كـان مـنه   لهـا أو دعـا وخـاب الدعـاء
بل دعـا الله واسـتجاب له اللّـ   ـه فـحيا تـلك القـبور الحـياء

فلما أتت له ثماني سنين وشهران وعشرة أيام توفي عبد المطلب [١]، فوليه عمّه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان أخا عبد الله لأبيه وأُمّه، ثم سمىٰ وفخر بـه قومه، سيما آل بيته كلّ الفخر علىٰ أهل الوبر والحضر في سائر الأزمان، فصار محبة آل بيته بعد محبته علامة الإيمان، ولذا نجد في عداد الجاحدين المنتحلين للإيمان، حسدوا الفارس الكرار، حيث لاتكسر عوده العواجم، ولا يقرع صفاته المزاحم، كما قيل فيه:

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا فضله   فـالقوم أعـداء له وخـصوم
كضرائر الحسنآء قلن لوجـهها   حسـداً وبـغياً إنـه لدمـيم [٢]

حتّىٰ إنهم قطعوا علىٰ عبد المطلب بن هاشم، وآمنة بنت وهب بن زهرة بن كلاب أَبَوَيِ النبي ﷺ، بالكفر، ويرمونهما بالشرك، تشييداً لمقالهم وموافاة لبهتهم يقولون في شيخ البطحاء، وسيّد مضر الحمراء، عبد المطلب بن هاشم جد رسـول الله ﷺ، ولقد حاول بعض المتطفلين الدس علىٰ رسول الله ﷺ مالم يقله، ودخلوا تحت وعيد رسول الله ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتّىٰ يبلغه، ومن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار». [٣] وقال القسطلانيّ: «ومقتضىٰ هذا الحـديث استواء تحريم الكذب عليه في كلّ حال سواء في اليقظة أو النوم». [٤]

---

١ - المصدر السابق: ٨٩.
٢ - البـيتان لأبـي الأسـود الدؤليّ، كـما جـاء فـي ديـوانـه: ٢٣١- ٢٣٦، وهـامش: ٢٣٢ مـن الديوان تحقيق: عبدالكريم الدجيليّ .وقـيل:إنـها لـلمتوكل الكـتانيّ، وذكـرهما الجـاحظ فـي البيان والتبيين ٣:٢٥٩ وجـاء فـي الهـامش رقـم ١ مـن نـفس الصـفحة أن السـندوبيّ نسبها للدؤلي.
٣ - مسـند أحـمد ١:٦٥،٧٨، و٢:٣٦٥، صـحيح البـخاريّ ١:٣٥،و٢:١٤٥، و٦:٨٥، صـحيح مسلم١:٧، ٨، ٥٧، و٨:٢٢٩.
٤ - فتح الباري ١:٢٠٢.

ثم قيل: «في حديث مسلم[١] دليل علىٰ أنه لا يجوز رواية الحديث إلا بعد أن يعلم أنه من رسول الله ﷺ. فإذا حدثه بغير علم ـ ولو كان الحديث في نفس الأمر صحيحاً ـ فقد أخطأ في نقله، لعدم علمه، فيكون أحد الكاذبين. ويؤيده حديث: «وكفىٰ بالمرء كِذباً ـ وفي رواية إثماً ـ أن يحدث كلَّ ما سمع».[٢]

والسؤال هل قرأ عليّ القاريّ وغيره هذه الأحاديث أم لا؟ حتىٰ يكذبوا علىٰ والدَي رسول الله ﷺ، والكذب علىٰ والديه كذب عليه ﷺ، حتىٰ اغتر قوم من الجهلة بهذا التركيب، وهو في واقع الأمر، كما قال الطيبيّ: «أمر تهكُّم وتغليظ ... وفيه الإيماء إلىٰ معنىٰ القصد في الذنب وفق الجزاء، كما أنه قصد في الكذب التعمُّد، فليقصد في جزائه التبوُّأ..».[٣] وإن شاء الله يكون الأمر علىٰ حقيقته، والمعنىٰ من كذب، فليأمر نفسه بالتبوُّ ئ لعقوبته، وإن شاء الله فليتخذ عليّ القاريّ وغيره لنفسه منزلاً منها، لأن الروايات تظافرت من النبي ﷺ بأنه نقل من الأصلاب الطاهرة إلىٰ الأرحام الزكية حتّىٰ أُسكن في صلب عبد الله، ورحم آمنة بنت وهب، وقد جاء هذا علىٰ لسان جبرائيل ﷺ، الّذي قال له يامحمّد: إن الله تعالىٰ يقرئك السّلام ويقول لك: إني حرمت النار علىٰ صلب أنزلك، وعلىٰ بطن حملك، وحجر كفلك، فقال ياجبرائيل: من تقول ذلك؟ فقال: أمّا الصلب الّذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأمّا البطن الّذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الّذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد»[٤]، وعبد مناف بن عبد المطلب، هو أبو طالب، ومما يدلل علىٰ ذلك قول عبد المطلب حين أوصىٰ إليه برسول الله ﷺ:

أُوصيكَ ياعبد مناف بعدي	بواحد بعد أبيه فرد
وصيت من كنيته بطالب	عبد مناف وهو ذو تجارب [٥]

---

١ - هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ «٢٠٤ هـ ـ ٢٦١هـ» ولد بنيسابور، ورحل إلىٰ الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور .راجع الأعلام، للزركلي ٧: ٢٢١.

٢ - صحيح مسلم ١: ١٠، سنن أبي داود ٥: ٢٦٦.

٣ - راجع تعليقات القاريّ (خ): ق ١ /أ ـ ٢ /ب .

٤ - التعظيم والمنة للحافظ في أن أَبَوَيِ المصطفىٰ ﷺ في الجنة، للسيوطي: ٢٥.

٥ - المناقب، لابن شهر آشوب ١: ٣٦.

وقال له ابنه طالب:

انـــاف لعـــبد مـــناف أبٌ	وفـــــضله هـــاشم العـــزة
وخـــير بـــني هـــاشم أحـــمدٌ	رسول الإله عـــلىٰ فـــترة[١]

فكيف يحرم الله النار علىٰ هؤلاء المذكورين، وهم به مشركون، وبوحدانيته كافرون، وهو القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٢].

إذاً إنّ القوم عارفون الله تعالىٰ، ومـؤمنون بـوحدانـيته، بشـهادة الله تـعالىٰ ورسوله ﷺ الصادع بالحق، والناطق بالصدق لهم بالطهارة، وقد أخبر الله تعالىٰ عن الكافرين بالنجاسة، حيث قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٣].

والنجس خلاف الطاهر، ولذا بين ﷺ أنهم مؤمنون غير مشركين؛ لأنهم لو كانوا مشركين لما شهد لهم بالطهارة بعد أن حكم الله عليهم بالنجاسة. وكيف يعقل أن رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق والمؤتمن علىٰ أحكام التشريع، أنْ يخالف قول الله تعالىٰ.

أمّا إذا قيل كما قال القائل: أراد بذلك خلوهم عن المناكح الفاسدة الّتي كانت في الجاهلية، ولم يرد الطهارة الّتي هي الإيمان؟ نقول إنّ شهادته ﷺ بالطهارة لهم هي عامة في الإيمان والمناكح الصحيحة، فمن خصها بأحد الوجهين دون الآخر فنطالبه بالدليل. ولو كان لبيّنه ﷺ لكي لا يقع الإيهام أنه شهد لمن سماه الله تعالىٰ في كتابه نجساً وهو يسميه طاهراً.

أمّا إذا قيل هذا من باب إيمان آباء النـبي ﷺ بـما حكـاه الله تـعالىٰ عـن

---

١ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٧٨:١٤. وراجع عمدة ابن البطريق :١٢. ينقل عن أحمد بن حنبل أن اسم أبي طالب عبد مناف، وكذلك في تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥:١ و١٢ و١٣ و١٧ و٢٠ «ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب»، مروج الذهب، للمسعوديّ ١٠٩:٢، تاريخ الطبريّ ١٧٢:١، تاريخ ابن الماورديّ ٢٣٥:١، الكامل في التاريخ ٥:٢، تاريخ أبي الفداء ١٧٠:١، الطبقات الكبرىٰ ٢٢:٢، تاريخ الخميس ١٥٩:١، الإصابة ١١٥:٤.

٢ - النساء:٤٧ و ١١٥.

٣ - التوبة: ٢٨.

إبراهيمعليه السلام وأبيه؟ قلنا: إن إبراهيم عليه السلام كان يخاطب بتلك المخاطبة لعمه آزر بن ناحور؛ لأن أباه كان تارخ بن ناحور[١] بإجماع أهل العلم والملة، وعندما مات أبوه فتزوج عمّه أُمّه ورباه في حجره، وكانت هذه سنّة متّبعة من زمن الجاهلية وإلىٰ الآن.

هذا بالإضافة إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ قال في محكم كتابه: ﴿وإذْ يَرْفَعُ إبْـرَاهِـيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢]، وقد صح في أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وآله كان في صلب نوح عليه السلام

---

١ - ساق السيوطيّ الأدلة علىٰ أنّ «آزر» ليس أبا إبراهيم في رسالته «مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ» الموجودة في كتابه «الحاوي للفتاوي» ٢: ٢٠٢-٢٢٣، وفي «الدر المنثور» ٢: ٢٣، قال في «الحاوي للفتاوي» ٢: ٢١٣- ٢١٤: «...وهذا القول - أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم - ورد عن جماعة من السلف...أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريح في قوله:« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» قال: ليس آزر بأبيه، إنما هو إبراهيم بن تيرح - أو تارح -..وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السديّ أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر؟ فقال: بل اسمه تارح.

وقد وُجِّه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب علىٰ العم إطلاقاً شائعاً، وإن كان مجازاً وفي التنزيل: «أمْ كُنتُم شُهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق» الآية ١٣٣، من سورة البقرة. فأطلق علىٰ إسماعيل لفظ الأب، وهو عم يعقوب، كما أطلق علىٰ إبراهيم وهو جده».

غير أن من العلماء مَنْ يرىٰ غير ذلك، فيقول ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» ٧: ١٥٩:«أولىٰ القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالىٰ أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الّذي زعم قائله أنه نعت، فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلىٰ تارح، فكيف يكون آزر اسماً له، والمعروف به من الاسم تارح؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضىٰ لكثير منهم، وجائز أن يكون لقباً والله تعالىٰ اعلم» .

وفي البحر المحيط ٤: ١٦٤ لأبي حيان: إن آزر عم إبراهيم وليس اسم أبيه وهو قول الشيعة، يزعمون أن آباء الأنبياء لايكونون كفاراً، وظواهر القرآن ترد عليهم، ولاسيما محاورة إبراهيم مع أبيه في غير ما آية. وسنناقش هذا الرأي فيما بعد إن شاء الله .

٢ - البقرة: ١٢٧- ١٢٨.

حين ركب السفينة، وفي صلب إبراهيم عليه السلام حين قذف به في النار، وأنه هو المراد من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.[١] وقد قال صلى الله عليه وآله: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرىٰ عيسىٰ عليه السلام»[٢]. فمن غير المعقول أن تنقطع هذه الأُمّة المسلمة من أُمّة إبراهيم وإسماعيل إلىٰ يوم القيامة.

فكيف بعد هذا يزعم الزاعم أن الأُمّة المسلمة من ذرية إسماعيل قد انقطعت في يومٍ ما، ومن زعم ذلك، فقد زعم أن دعوة إبراهيم وإسماعيل غير مستجابة، وهذامما لا يقبله مؤمن آمن بالله ورُسله واليوم الآخر. فماذا بعد الحق إلا الضلال والتحامل والعناد، ولذا نقول اين الورع والزهد والتقىٰ والنزاهة والعفة الّتي يتصف بها بعض ممن يصفونهم بذلك، واين الأمانة التاريخية ياصاحب المذهب الحنفيّ الكبير وصاحب الفقه الأكبر حتّىٰ تحكم علىٰ أَبَوَي الرسول صلى الله عليه وآله، بأنهما ماتا علىٰ الكفر ثم يأتي من يوصف بالإمام الهُمام عليّ القاريّ صاحب الكتب الحديثية ـ كما يقولون عنه ـ والّذي يرىٰ أن التزلف إلىٰ الحكام، وقبول منحهم والاشتغال بالمناصب الرسمية يضر بالإخلاص والورع، ويؤلف رسالة في ذلك يسميها: «تبعيد العلماء عن تقريب الأُمراء»، والّذي كان يردد دائماً: «رحم الله والدي كان يقول لي: ما أريد أن تصير من العلماء، خشية أن تقف علىٰ باب الأُمراء»[٣]. وياليتك أيها القاريّ لم تقل هذه الكلمة؛ لأنها أصبحت حجة عليك لا لك، فكيف غداً تقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت الّذي تكفّر أبويه بعد أنْ سرتَ علىٰ سيرة الإمام في فقهه

---

١ – البقرة: ١٢٩.

٢ – هامش السيرة الحلبية لزيني دحلان ١:٩، الوفا بأحوال المصطفىٰ ١:٣٦، دلائل النبوة للإصبهاني ١:٥٤. فدعوة إبراهيم لما بنىٰ الكعبة لأهل مكّة كانت:«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» البقرة:١٢٩. قال السديّ عن أشياخه: هو محمّد صلى الله عليه وآله. وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأُخبركم بأول ذلك، زوائد ابن حبان رقم ٢٠٩٣، وصححه الحاكم في المستدرك ٢:٦٠٠، مجمع الزوائد ٨:٢٢٣، ابن سعد في طبقاته ١:١٤٩، ابن حجر في الفتح ٧:٣٦٩، البخاريّ في التاريخ ٢:٤١٨.

٣ – مرقاة المفاتيح ١:٢٥٤.

الأكبر، رغم البون الشاسع بين الوقوف علىٰ باب الأمراء والخلفاء الّذي نحن نؤيدك علىٰ هذه الجرأة الّتي تمنع فيها الوقوف علىٰ باب الظلمة، لأن نفوسهم لاتسمح لهم بعطية إلا لمن طمعوا في بيع دينه ودنياه بآخرته، والاستعانة بهم في أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالسهم، وتكليفهم المواظبة علىٰ الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم... وبين الوقوف بين يدي رسول الله ﷺ، صاحب الرحمة والشفاعة يوم القيامة؟ فأين التشديد فيمن طلب العلم لمطامع الدنيا ومناصبها الفاتنة، وبين التساهل في أذية رسول الله ﷺ، ثم التبجح في كتابة رسالة خاصة في تكفير أبويه ﷺ، ولكن لا عتب عليك أيها القاريّ الهرويّ؛ لأنك أخذت هذا السلوك من أشياخك الكبار، كابن حجر الهيتميّ «ت ٩٧٣ هـ»، صاحب الفتاوىٰ الهيتمية في أربعة أجزاء ، والصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والضلال والزندقة، والخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، ولو كنت حاضراً لقلت لابن حجر يجب عليك أن تضيف الحسنة الأُخرىٰ الّتي غفلت عنها، هي: قول أبي حنيفة النعمان في تكفير أهل الملة والإسلام؛ لإن تلميذك عليّ القاريّ البارع الفنان قد ألّف رسالة في تكفير أَبَوَي ِ النبي ﷺ، فما عليك أنت إلا أن تكفر أهل ملة الإسلام، وتدعو فيها إلىٰ الهود والنصران، وحشرك الله معهم يوم القيامة والنيران، فما هذا الزيف إلا تكبراً وأنانية، وطلباً للاشتهار والارتزاق من السلطان، ورحم الله المؤرخ العصاميّ[١] الّذي وصف مؤلفات عليّ القاريّ بقوله: «...ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم، ومن ثمة نهىٰ عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء»[٢].

ونحن نقول من أين تأتي النورانية لكتب هذا الرجل، من رسالته الّتي تبجح بها في تكفير أبويه ﷺ، أو من الاعتراضات الّتي اعترض بها علىٰ أصحاب

---

١ – هو الإمام المفتي الشيخ عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العصاميّ، الإسفرايني «ت ١٠٣٧هـ»، فقيه، نحوي، مشارك في البلاغة والعروض والأُصول وغيرها. كان مفتي الشافعية بمكّة المكرمة، وهو جد الشيخ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصاميّ، صاحب «سَمْط النجوم» له ترجمة فيه ٤: ٤٢٠، خلاصة الأثر ٣: ٨٦.

٢ – سَمْط النجوم العوالي ٤: ٣٩٤.

المذاهب الأُخرىٰ كالشافعية والمالكية، حتّىٰ كتب رسالة في ورقتين فقط، قال في فاتحتها: «فلما رأيت في بعض رسائل الشافعية طعناً شنيعاً، وقدحاً فظيعاً، بالنسبة إلىٰ الأئمة الحنفية، كتبت رسالة للرد في هذه القضية، وسميتها: «تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية».[١] وانتشرت تلك الرسالة بين الفقهاء والسفهاء المكية، وتحرك لبعضهم عرق الجاهلية، فقامت عليهم القيامة، وأطالوا علينا لسان الملامة، من بين سفيه منتن، صائح في الأسواق، وأوسط الزقاق، ألا إنَّ فلاناً سبّ الشافعيّ، وطعن في أصحاب مذهبه من النوويّ، والرافعيّ....»[٢].

ثم ألّف رسالة أُخرىٰ في الرد علىٰ الشافعية، وقد اتهمهم بأن فيهم أشخاصاً من الرافضة يتظاهرون بأنهم من الشافعية، وقد سماهم عليّ القاريّ الهرويّ بـ«الشَّافِضِيَّة»، ولم يقف عند هذا الحد، بل ألّف رسالة: «شمُّ العوارض في رد الروافض».[٣] وصرح فيها بأن أَبَوَيِ الرسول ﷺ ـ والعياذ بالله ـ ماتا علىٰ الكفر.

---

١ - نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة، بالمدينة المنورة، رقم: ٥،٣٥ مجاميع، في (٥) ق،برلين ٢١٤٠، القاهرة (أول) /٧، ٢٢، ٣٤، رامپور: ٧٠٦١/١ رقم ٦٨، أسعد أفندي: ١٦٩٠. وهي رسالة في الرد علىٰ من ذم الإمام أبي حنيفة وطعن علىٰ مذهبه، وكتب فيه مانصه:«فلما رأيت في بعض الرسائل الشافعية طعناً شنيعاً وقدحاً فضيعاً بالنسبة إلىٰ الائمة الحنفية كتبت رسالة للرد عليهم في هذه القضية وسميتها تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية...».

٢ - «ذيل رسالة تشييع فقهاء الحنفية» مخطوطة، ق ١٢٤ /أ. هذه المخطوطة محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت رقم ١٥٩٠ / ٢٢ (من ق ١٢٤ /أ إلىٰ ق ١٣٠ / ب) مصورة من مكتبة الأحمدية بحلب. (ورقتان) أولها: (بعد البسملة) «وأستعين بكرمه العميم ولطفه الجسيم...».

٣ - لكن في النسخة المخطوطة، والّتي هي في مكتبة الجامعة الإسلامية: ١٥٩١ / ٤٩ تتكون من ٢٩ ورقة، مصورة من مكتبة الأحمدية، والرسالة بعنوان «شَمّ العوارض في ذم الروافض»، أمّا هذه النسخة الّتي تحت يدي، فتتكون من ٥٩ ورقة مخطوطة مع مجموعة من الرسائل في مكتبة شرف العلماء رديف ٢٨٥ ق ٢٤٣ / ب. المقدمة السالمة في خوف الخاتمة: (٥ ق) أولها:«الحمد لله الّذي هدانا إلىٰ الصراط المستقيم». ويا ليته عندما كتب هذه الرسالة وقف وفكر وتأمل طويلاً بحسن خاتمته وكيف يواجه رسول الله غداً، وهو المعتقد بتكفير أبويه في رسالته المشؤومة السالفة الذكر.وهذه الرسالة خ ق ٣٥ / ب، وتوجد نسخة منها في مكتبة عارف حكمت :٨٢ / ٢ مجاميع (٣٤ ق)، ٨٥ / ٢٤ (٣١ ق). مكتبة برلين: ٢١٤٨ / ٩، داماد إبراهيم باشا:٢٩٨. وقد ألّف

وأصل المسألة في الفقه الأكبر لأبي حنيفة، حيث قال الإمام أبو حنيفة: «ووالدا رسول الله ﷺ، ماتا علىٰ الكفر».[١] لكن إن عشت أراك الدهر عجباً، يأتي من يدعي الخبرة في التاريخ والتحقيق والعلم ويقول، بل يبرر لأبي حنيفة الإمام الأعظم، في فقهه الأكبر بأنه لم يقل ذلك: «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا علىٰ الكفر»، بل قال: «ما ماتا علىٰ الكفر»، وقد عبَّر عن ذلك بتعبير أدق وأنسب، فجاء الناسخ في الكتاب قوله هذا، فوجد «ما» الأُولىٰ زائدة فحذفها، فصار قوله هكذا: «ماتا علىٰ الكفر» فانتشرت هذه النسخة الخاطئة المصحفة.

ولكن السؤال الّذي يطرح نفسه لماذا يؤسس ملاّ عليّ القاريّ الهرويّ قضيته علىٰ هذه النسخة الخاطئة؟ ثم تدعون بأن عليّ القاريّ الهرويّ هو من أهل العلم والتحقيق، والمعرفة والتقوىٰ، كما ذكرنا ذلك سابقاً؟ ألم يدل هذا علىٰ أن عليّ القاريّ الهرويّ لم يكن من أهل العلم والتحقيق والمعرفة؟ ثم لو سلمنا بأن التصحيف قد حدث، فلماذا لم يتورع عليّ القاريّ الهرويّ في تكفير أبَوَيِ النبي ﷺ؟ وهل من السهل جداً علىٰ الهرويّ أن يتجرأ بإدخال وإنزال المرء العادي فضلاً عن أعلىٰ وأشرف نسب علىٰ وجه الأرض، وهما أبَوَيِ رسول الله ﷺ في النار؟ فإين الموضوعية؟ وإين الإنصاف والتريث؟ فإن هذا الموضوع هو موضوع اعتقادي، فلا يكفي فيه الدليل الظني، بل لا بد من الدليل القطعي اليقيني. وأنتم القائلون بأن الشيخ عليّ القاريّ الهرويّ كان دائماً يكرر قول رسول الله ﷺ: «كفىٰ بالمرء كذباً أن يحدِّث ماسَمِعَ»[٢].

رسالة أُخرىٰ بعنوان «سلالة الرسالة في ذمِّ الرَّوافض من أهل الضلالة»، وهي ورقتان فقط أولها:«الحمد لله وحده، والسّلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ من جعل صحبه وحزبه وجنده، وبعد فهذه «سلالة الرسالة في ذم الروافض من أهل الضلالة» توجد منها نسخة خطية في مكتبة عارف حكمت: ١٧ / ٩ مجاميع «ورقة»، ٨٥ / ٤٠، مجاميع (٣ ق)، محمودية ٢٦٦٨ /٣٤(٢ ق)، برلين: ٢١٤٧، پاتنه:٢ / ٣٨٤، ٣٩٠، داماد إبراهيم باشا:٢٩٨.

١ – أُنظر شرح الفقه الأكبر «خ»: ق ٥٨ / أ. وفي شرح الفقه الأكبر طبعة دلهي ١٣١٤هـ: ١٣٠.

٢ – الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، باب ٣، النهي بكل عن الحديث بكل ما

إذاً كيف يعتمد عليّ الهرويّ علىٰ ما وجده في الفقه الأكبر دون التحقيق فيه، وهو الموصوف بصاحب اليد الطولىٰ في تحقيق الفقه والحديث والتدقيق في علوم الكلام والمعقول [١]، وهو صاحب التصانيف المفيدة، والتآليف المجيدة، المستقيم علىٰ جادة الطريق النبوي كما تدعون؟ ثم أنتم القائلون بأن المجتهد أسير الدليل في المطلب؟ ثم أين أصبح حديث ابن عبّاس الّذي نقلتموه: «استمعوا علم العلماء، ولاتصدِّقوا بعضهم علىٰ بعض. فوالّذي نفسي بيده، لهم أشدُّ تغايراً من التيوس في زُرُوبها» [٢].

ثم كيف تفسرون قول الشَّوْكَانيّ عندما دافع عن الهرويّ بقوله: «وأقول: هذا دليل علىٰ علو منزلته، فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه، سواء كان قائله عظيماً أو حقيراً». فلماذا لم يخالف في هذه المسألة الخطيرة صاحب الفقه الأكبر؟ لكن التعصب المذهبي هو الّذي دفعه أن يتمثل بشعر أبي ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد:

وعـيَّرني الواشـون أنـي أُحـبُّها ... وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها [٣]

وبعد كلّ هذا يطل علينا عالم آخر من علماء التحقيق، وهو الشيخ الكوثريّ الّذي ينقل عن الحافظ مرتضىٰ الزبيديّ [٤] في مقدمة تحقيقه لكتاب: «العالم والمتعلِّم»، حيث قال: «ويقول الحافظ محمّد مرتضىٰ الزبيديّ شارح كتابي (الإحياء، والقاموس) في رسالته: «الأنتصار لوالدي النبي المختار»، وكنت رأيتها بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفىٰ العمريّ الحلبيّ مفتي العسكر، العالم المعمَّر

سمع ١:١٠ رقم ٥ ، أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب ٥: ٢٦٥ رقم ٤٩٩٢.

١ - إتحاف نبلاء المتقين: ٣٢٥، البضاعة المزجاة: ٣٣.

٢ - جامع بيان العلم وفضله ٢: ١٥٠.

٣ - البدر الطالع ١:٤٤٥.

٤ - هو الشيخ محمّد مرتضىٰ بن محمّد محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزَّبِيدي الهنديّ «ت ١٢٠٥هـ» صاحب تاج العروس في شرح القاموس و «إتحاف السادة المتّقين في شرح إحياء علوم الدين» له ترجمة في فهرس الفهارس ١:٣٩٨، أبجد العلوم ١٢:٣.

الحلبيّ «ت ١٣٣٤ هـ» ما معناه إن الناسخ لما رأىٰ تكرر «ما» في « ما ماتا»، ظن أن إحداهما زائدة فحذفها، فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل علىٰ ذلك سياق الخبر؛ لأن أبا طالب والأبوين لو كانا جميعاً علىٰ حالة واحدة جمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين، مع عدم التخالف بينهم في الحكم، وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيديّ، وهذا الاعتذار للملاّ الهرويّ يزيد الطين بلّة؛ لأن الزبيديّ لم يكن رأىٰ النسخة الّتي فيها «ما ماتا»،وإنما حكىٰ ذلك عمن رآها» ثم يختم كلامه الكوثريّ:« وعليّ القاريّ بنىٰ شرحه علىٰ النسخة الخاطئة وأساء الأدب سامحه الله». هذا بالإضافة إلىٰ الجواب السابق الّذي طرحناه قبل قليل والكلام نفس الكلام، بل أساء الأدب كما أساء الأدب عليّ الهرويّ، والشيخ مصطفىٰ الحمامي في كتابه «النهضة الإصلاحية»، والّذي يدعي بأنه قد حقق ودقق في الموضوع تدقيقاً لا مثيل له عندما سافر إلىٰ الحج سنة «١٣٥٤هـ» ، فوجد العبارة في الفقه الأكبر هكذا: «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا علىٰ الفطرة، وأبو طالب مات كافراً». ولا ندري أيهما نصدق! الإمام الأكبر في فقهه الأكبر، أم الزبيديّ، أم الحمامي. ولا ندري هل هذه التعاليل جاءت من أجل أثبات كفر أبي طالب والد الإمام عليّ بن أبي طالب، أم دفاعاً واعتقاداً عن أبَوَيِ النبي ﷺ، أم دفاعاً عن الهرويّ؟ ثم إنّ العلاّمة المحقق المدقق كصاحبه المحقق المدقق الهرويّ يرفع عقيرته علينا ويقول: إن القاريّ قد رجع عما كتبه بتلك الرسالة بما كتبه في شرحه علىٰ الشفا للقاضي عياض[١]، والّذي انتهىٰ من تأليفه سنة «١٠١١ هـ»[٢]، أي قبل موته بثلاث سنوات. ونحن لا ندري أي الأمرين هو المتأخر؟ والظاهر أن الرسالة هي المتأخرة؛ لأن الشيخ صرح في شرحه علىٰ الشفا أن القول بإسلام الوالدين

---

١ – هو عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرو بن موسىٰ بن عياض، القاضي العلاّمة، عالم المغرب، أبو الفضل اليحصبي السَّبتي «٤٧٦هـ ـ ٥٤٤ هـ» ، أصله أندلسي وسكن سبته، ثم انتقل إلىٰ غرناطة، ثم قدم قُرطبة، صاحب تصانيف كثيرة، منها شرح الشِّفَا . أُنظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٠٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢: ٤٣، قلائد العقبان ٢٥٥: ، أنباء الرواة ٢: ٣٦٣، النجوم الزاهرة ٥: ٢٥٨.

٢ – شرح الشِّفا ٢: ٥٦٢.

متفق عليه بين الأجلة من الأُمّة، وهو ماعليه الجمهور من الثقات، إذاً لو رجع عن هذا القول يكون مخالفاً لما اتفق عليه الأجلة والّذي عليه الجمهور من الثقات، وأنتم تقولون أي قول يخالف قائله ما اتفق عليه الجمهور والأئمة لا قيمة له؟ إذاً لاقيمة لهذا الرجوع من الهرويّ.

إذاً عليّ القاريّ الحنفيّ له حالة عجيبة وغريبة، كما يقول الفقيه محمّد حسن السنبليّ، المتوفىٰ سنة ١٣٠٥هـ في كتابه تنسيق النظام في مسند الإمام مانصه: «ان للقاريّ الحنفيّ حاله عجيب جداً يورد وينقل الروايات الموافقة والمخالفة، رطباً ويابساً، صحاحاً وضعافاً، ولا ينقح الأحاديث ولا يميز بينهما، ولا يرفع التدافع والتعارض، ولا يحملها علىٰ محامل صحيحة، ولا علىٰ مقتضىٰ مذهبه ولا علىٰ غيره مع تصلبه في مذهبه الحنفية فأورد هنا مما لايليق أنْ يورده».

ويأتي شخص آخر ويبرر ويدافع عن الإمام الأكبر بعد أنْ يعترف بأن الإمام الأكبر قال بكفر أبَوَيِ النبي ﷺ بقوله: «إن أبَوَيِ النبي ﷺ ماتا علىٰ الكفر»، ولكن بان معناه أنهما ماتا في أيام كفر الّذي كانت عليه أهل الجاهلية، وحاشا أنّ أبا حنيفة يحكم علىٰ أبَوَيِ النبي ﷺ أنهما معذبان في النار مع جملة الكفار، كيف وقد أخبر المختار أنّ أخف عذاب أهل النار أبو طالب مع أنه لحق البعث»[1].

إذاً هذا الكلام هو تبرير للإمام الأكبر، وليس دفاعاً عن أبَوَيِ النبي ﷺ، بل هي شنشنة في صدور القوم من أجل الطعن في أبي طالب حسداً وبغضاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أمّا نحن لانريد الدفاع عن إيمان أبي طالب الّذي لا يماري فيه مؤمن؛ لأن المؤمن يعرف المواقف الّتي وقفها في الدعوة الإسلامية، موقف الحق والدفاع عنه، ويعرف ماتحمله من ضيق في سبيله ﷺ، وقد رضي أن يعيش ممنوعاً هو وبنو هاشم في ذلك الشعب الكئيب الحزين، حتّىٰ ضاق عليهم الرزق عندما قاطعتهم قريش، ثم بعد هذا البلاء في حماية رسول الله ﷺ، وحماية الدعوة الإسلامية أيموت أبو طالب علىٰ الشرك! ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه؟ عجباً لهؤلاء القوم

---

١ - راجع نسب النبي ﷺ للشيخ ملاّ صالح الشافعيّ «مخطوط» ورق ١٧أ.

كيف يحكمون؟ وها هو محمّد عابد الجابري يقول: «لا نحسب أحداً يُنكر أنّ أبا طالب هو الّذي منع النبي ﷺ، وحماه من أذىٰ قريش»[١]. ويردف الجابري قائلاً بعد أن قرأ مقولة أبي طالب المشهورة لابن أخيه حين دعا رجال عشيرته: «ماأحبّ إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وأنا أحدهم، غير أنيّ أسرعهم إلىٰ ما تحبّ، فامضِ لما أُمرت»[٢]. وها هي أشعار أبي طالب تصدع بالحق علىٰ رغم ضياع الكثير منها، أو أنها ضُيّعت أو ضيعوها، أو نسبوها إلىٰ غيره. كما أفصح جامع ديوان العباس بن مرداس السلمي الدكتور يحيىٰ الجبوريّ[٣] في هذا البيت الشعري :

ومن قبلُ آمنّا، وقد كان قومُنا ‏ ‏ ‏ ‏ يُصلّون للأوثان قبلَ محمّدِ

فهذا البيت يدلل علىٰ إيمان أبي طالب؛ لأنه آمن من قبل، وقومه يصلون للأوثان، وكان إيمانه علىٰ دين إبراهيم عليه السلام، أمّا العباس بن مرداس وقومه فلم يؤمنوا إلا قُبيل الفتح .

ثم ينسفون كلّ الروايات بحجة واهية أنها من فرط التشيع لعليّ عليه السلام، ثم بعد ذلك إن وجدوا حديثاً في صحاحهم أو كتبهم، كما أورد المؤرخ الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)[٤] عن ابن إسحاق: «ولما اشتكىٰ أبو طالب.....سيأتي الحديث مفصلاً في متن المخطوط»، قالوا: هذا حديث ضعيف الإسناد ، ولم يتمعنوا فيه من صدق وتصديق لدعوة رسول الله ﷺ، وذلك من خلال قوله: «ما رأيتك سألتهم شططاً»، أي أنه سألهم معقولاً، وهو لا إله إلا الله، ثم إنّ العباس قد أخبر رسول الله ﷺ، بأن أبا طالب قد نطق بكلمة الإيمان الّتي تريدها، لكن بعد إحراجهم قالوا بأن السند فيه مجاهيل؛ لأنه ورد عن بعض أهله، ثم خلطوا وقالوا بأن الإمام أحمد[٥] والترمذيّ[٦]، والنسائيّ[٧]، لم يذكروا كلمة العباس، ثم تطاولوا

---

١ – العقل السياسي محدداته وتجلياته: ٨٣.

٢ – المصدر السابق .

٣ – ديوان العباس بن مرداس السلمي جمع وتحقيق: الدكتور يحيىٰ الجبوري: ٥٦ .

٤ – البداية والنهاية ٣:١٢٣.

٥ – هو أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ الوائليّ «١٦٤هـ-٢٤١هـ» ، أصله من مرو، وكان

واتهموا العباس بالكذب، وقالوا: إنه لم يقلها، بل العباس هو الّذي تبرع بها، وعللوا ذلك بأن العباس قالها قبل أن يدخل في الإسلام، ولاندري هل كان أشراف العرب وذؤابة قريش تسمح لنفسها بالكذب، وإلا كيف يروي البخاريّ[٨] المحاورة الّتي دارت بين هرقل ملك الروم مع أبي سفيان، وصدقه القول عن النبي رغم مابينهما من عداوة، قال: «لولا أني أخشىٰ أن تحفظ عني كذبة في العرب لكذبت. فهل يعد العباس أقل من أبي سفيان شرفاً وهمة؟ كلا وألف كلا، بل إنها فذلكة من فذلكات معاوية حسداً وبغضاً لعليّ ﷺ، ثم خففوا ذلك عنه بالحديث الموضوع، وهو في ضحضاح من نار، وغير ذلك من الترهلات، الّتي لا تخفىٰ علىٰ المؤرخ اللبيب في إثبات حملات التضليل الّتي ساقها هذا التمرد، للنيل من مكانة عليّ بن أبي طالبﷺ، عن طريق إفساد الذمم والالتواء بالأفهام، وإن هم اختلفوا في تقدير تلكم المواقف السلوكية الّتي سجلها معاوية، حتّىٰ إنه أبدع في الإسلام تلك البدعة العصبية الجاحدة، بلعنه علياً ﷺ، وبنيّه الأطهار، وشيعته الأخيار من علىٰ منابر الكوفة والشام عند كلّ صلاة، فسياسة ابن هند معروفة، والّتي تمثلت بالطغاة والبغاة، والّتي أقامها علىٰ تزييف الحقائق، فغرر المنحرفين، وغفل المغفلين، وأفن المأفونين، وغرر المغرورين، وأخذ يلوك الباطل لوكاً، ونزق نزقاً، وملق ملقاً.

إذاً ما مات أبو طالب حتّىٰ أعطىٰ رسول الله من نفسه الرضا، ولكن أماته علىٰ الكفر عند هؤلاء القوم هو بغضهم لعليّ ﷺ، كما قتلت زوجة مالك مالكاً علىٰ يد البطل المغوار، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد. وها هو قول أبي طالب يرن

أبوه والي سرخس. راجع الأعلام للزركلي ١:٢٠٣، حلية الأولياء ٩:١٦١.

٦ - هو محمّد بن عيسىٰ بن سورة بن موسىٰ السلمي البوغي الترمذيّ «٢٠٩هـ - ٢٧٩هـ» من أهل ترمذ علىٰ (نهر جيحون)، تتلمذ للبخاري، وعمي في آخر عمره. مات بترمذ. راجع الأعلام للزركلي ٦:٣٢٢.

٧ - هو أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر بن سنان بن دينار النسائيّ «٢١٤هـ - ٣٠٣هـ»، ولد بمدينة نساء بلدة مشهورة بخراسان، وتوفّي في فلسطين وقيل في مكّة.

٨ - هو محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ «١٩٤هـ - ٢٥٦هـ»، ولد في بخارىٰ، ونشأ يتيماً، وقام عليه جماعة بعد أن رموه بتهم، فاخرج إلىٰ قرية من قرىٰ سمرقند يقال لها «خرتنك» فمات فيها. راجع الأعلام للزركلي ٦:٣٤.

في آفاق السماء عالياً رغم أُنوف الأعادي، وقد سجل له التاريخ هذا بقوله:

فصبراً أبا يعلىٰ علىٰ دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابراً[١]
وحط من أتىٰ بالحق من عند ربه بصدق وحق لاتكن ـ حمز ـ كافراً[٢]
فقد سرني إذ قلت:«لبيك» مؤمناً فكن لرسول الله في الدين ناصراً[٣]
ونـاد قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً، وقل: ماكان أحمد ساحراً[٤]

ولما أراد رسول الله ﷺ، الاختفاء من قريش والهرب منهم إلىٰ الشعب؛ لخوفه علىٰ نفسه، استشار أبا طالب رحمه الله في ذلك، فأشار به عليه، ثم تقدم أبو طالب إلىٰ عليّ بن أبي طالب أن يضطجع علىٰ فراش رسول الله ﷺ بنفسه، فأجابه إلىٰ ذلك، فلما نامت العيون جاء أبو طالب ومعه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فأقام، رسول الله ﷺ إلىٰ ذلك، وأضجع عليّ بن أبي طالب مكانه، فقال عليّ بن أبي طالب ياأبتاه إني لمقتول، فقال أبو طالب رحمه الله:

اصبرَنْ يابني، فالصبر أحجىٰ كلّ حي مصيره لشعوب
قد بذلناك، والبلاء شديد لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعز ذي الحسب الثا قب والباع والفناء الرحيب
إن يملك المنون، فالنيل يبرى فمصيب منها وغير مصيب
كلّ حي وإن تملى بعيش آخذ من سهامها بنصيب

فقال عليّ بن أبي طالب :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الّذي قلت جازعاً

---

١ – ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣:٣١٥، الدرجات الرفيعة: ٥٤ ، أُسد الغابة ١:٢٨٧، متشابه القرآن ٢:٦٥، الإصابة ٤:١١٦، السيرة الحلبية ١:٢٨٦، أسنىٰ المطالب :٦.

٢ – صدر البيت هكذا ورد في كتاب إيمان أبي طالب: ١٣.

٣ – هكذا ورد صدر البيت في كتاب إيمان أبي طالب :٣١٢: «فقد سرني إذ قلت: إنك مؤمن».

٤ – شرح النهج لابن أبي الحديد ٣:٣١٥، إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد: ٨٠ ، الديوان :١٦، مناقب ابن شهر آشوب ١:٦٤، أُسد الغابة ١:٢٨٧، الإصابة ٤:١١٦ ،السيرة الحلبية ١:٢٨٦، أسنىٰ المطالب :٦.

ولكنني أحببت إظهار نصرتي وتعلم أني لم أزل لك طائعاً
وسعيي لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدىٰ المحمود طفلاً ويافعاً

وقال عليّ بن أبي طالب بعد ذلك :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصىٰ
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق إذا مكروا به
فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
وبات رسول الله بالشعب آمناً
وذلك في حفظ الإله وفي ستر
وبت أُراعيهم، وهم ينبئوني
وقد صبرت نفسي علىٰ القتل والأسر
إردت به نصر الإله تبتلاً
وأضمرته حتّىٰ أُسدُّ في قبري [1]

---

١ - راجع مصنفات الشيخ المفيد ج ١: ٦٠.

عملنا في المخطوط

هذا المخطوط يتكون من «١١٦» صفحة، ذات الحجم الصغير، عدد الأسطر «١٧» سطر في كلّ صفحة، ما عدا بعض الصفحات حيث تحتوي علىٰ ثمانية أسطر، والبعض الآخر أكثر بقليل، وقياس المخطوط ٥×٨، لا يتمتع المخطوط بدرجة من الوضوح، مما حوىٰ في طياته أخطاءً ما بين إملائية ونحوية.

وقد اعتمدت في التحقيق علىٰ نسخة واحدة، وقد حاولت إبقاء النص بصورته الأصلية ولم أُغير أو أُضيف إلا بعض الأحرف الّتي صارت مألوفة في نشر الأُصول مثل الهمزة أو الألف الممدودة؛ لأن المصنف لجَأ إلىٰ كتابة بعض الكلمات وفق الطريقة القديمة حيث كان يهمل الألف الممدودة مثل السّلام يكتبها: السلم، والثلاثة يكتبها:الثلثة، وهكذا .

وانصرف جل همي في تدقيق النص علىٰ تثبيته وإقامته، بحيث يكون أقرب إلىٰ الصورة المتوافرة بين يدي، وذلك بمقارنته بكل المصادر الّتي أمكنني الإطلاع عليها، والّتي تبحث في نفس الموضوعات الّتي يبحثها المصنف، وفي حالة حدوث طمس ـ أي نقص ـ في عبارة في الأصل اعتمدت تثبيت ما هو أصل له، إذا كان المؤلف قد أشار إليه، وفي حالة عدم ذكر المصدر، أبقيت الطمس علىٰ حاله، وأشرت إلىٰ ذلك في الهامش. وكنت بعض الأحيّان أُشير في الهامش إلىٰ ما أعتقده أقرب إلىٰ الصحة.

وعند وجود خطأ إملائي أو إعرابي، أصلحته وأشرت إلىٰ أصله في الهامش، وإذا كان في الأصل تحريف أو عدم استقامة فيالمعنىٰ وورد النص في مصادر أُخرىٰ، أصلحت العيب مع حفظي علىٰ حرفية الأصل، وأشير إلىٰ ذلك في الهامش.

وأصل المخطوط مختصر من كتاب السيد محمّد بن رسول العلويّ الحسنيّ الشهرزوريّ المعروف بالبرزنجي، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وسبب تأليفه أنّه اطلع علىٰ رسالة لملاً عليّ القاريّ الهرويّ الّذي أشرنا إليه في المقدمة، وإلىٰ رسالته الّتي عنونها بـ «كفر الأبوين الشريفين». وقد بلغه أن الشيخ عبد القادر الطبريّ كتب رداً عليه بالتغليظ والتشنيع، فكتب هو هذا الرد بالإنصاف وإقامة

الأدلة. من خلال الأحاديث المروية في الصحيحين وغيرهما، وفي خاتمة الكتاب عالج قضية والد الإمام عليّ بن أبي طالب، الّذي هجم عليه أصحاب الأقلام المأجورة، وقالوا: إنه مات مشركاً ـ والعياذ بالله ـ وذلك لبغضهم وحقدهم علىٰ أبي تراب ﷺ، والّتي كانت هذه الكنية أحبّ الكنىٰ إليه، فقلبوها منقصة.

والمخطوط يوجد في مكتبة العقائد التيموريّة في دار الكتب بالقاهرة، حديث «٣٣٣»، ضمن مجموعة من المخطوطات هي.

«١» مناقب الأسد الغالب ممزق الكتائب، ومظهر العجائب ليث بني غالب أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب، للعلاّمة شمس الدين محمّد الجزريّ.

«٢» الفتوحات المدنية والأجوبة المرضية في اعتقاد الطائفة السلفية، لمحمد بن ناصر.

«٣» قيد الشريد من أخبار يزيد، للشيخ شمس الدين محمّد بن طولون.

«٤» حكاية القاضي محمّد بن مقاتل والسارق، للشيخ شمس الدين محمّد بن طولون.

«٥» إيضاح الدلالات في سماع الآلات، للشيخ عبد الغني للنابلسي.

«٦» كشف اللثام فيما يُسئل عنه الإمام، للشيخ عليّ العقدي الحنفيّ.

وذكره الدكتور صلاح الدين المنجّد في معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ: ٥١.

هذا، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.

والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه، والحمد لله الّذي بنعمته تتم الصالحات.

المؤلف في سطور:

والمؤلف هو: سليمان بن عمر بن منصور العجليّ اللاذقيّ المصريّ، الأزهريّ، الشافعيّ، المعروف بالجمل، توفّي سنه ١٢٠٤هـ، تصدر للإقراء والتدريس في جامع الأزهر، ثم تولىٰ مشيخة مسجد السلطان حسن بالقاهرة، فكان أحد أكابر علماء المذهب الشافعيّ، له مؤلفات عديدة منها:

«١» حاشية علىٰ شرح الرمليّ لمنهاج النوويّ.
«٢» حاشية علىٰ متن الهمزية لابن حجر الهيثميّ.
«٣» شرح بانت سعاد.
«٤» الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية لشرح الهمزية.[1]

وفي الختام، أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يوفقنا للدفاع عن أئـمة أهـل البيت عليهم السلام الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعن مذهبهم الطاهر النقي الأصيل، كما نشكر الأخ العلاّمة، الرفيع العمد، والعميق الجذر، الشيخ شبير حسن اللاكهاني أحد جهابذة الفكر الإسلامي، مسؤول مؤسّسة زهـراء «س» آكـادمى، لرعايته بطبع ونشر هذه البضاعة المزجاة لتكون له ولنا شافعة يوم لا ظل إلاّ ظله .

المحقق

الأول من شهر رمضان المبارك ١٤٢١ هـ.

١ – كشف الظنون ٥:٤٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العلام الذي منّ علينا بمحمد عليه أفضل
الصلاة والسلام فآمنا به وصدقناه في جميع ما جاء به
من شرائع الإسلام ووفقنا للاعتقاد الصحيح الجازم
في نجاة آبائه وأمهاته من عبد الله وآمنة إلى آدم وحواء
عليهما الصلاة والسلام بأنهم كلهم طاهرون مطهرون
من السفاح والشرك وعبادة الأصنام وأنهم جميعهم
من أهل الجنة دار السلام ولهم فيها المنازل المنيفة
والمراتب الرفيعة ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي
خص بالشفاعة العظمى ومزيد التشريف والإكرام ٥
فكل من اعتقد في أحد منهم نقصاً فهو الناقص الناقض
العهد والذمام وهو مؤذ لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومقتحم الكفر التحام وقد حذر من ذلك
الأئمة الأعلام وأباحوا قتله إن لم يتب إلى عزيز
ذي انتقام قال العلامة الدميري فيما سطر في أول
كتاب السير ٥ ٥ ٥
محمد خير جميع الخلق ٥ جاء من الحق لنا بالحق

دعوة

صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية

وخطر جليل فرغ من أبرهامنه وقيل عمرا وقيل اضوها قال مؤلفه محمد بن رسول الطلوعي الحسني الشهير بزورى الحكلت من تسويده في اوايل ذي القعدة سنة ١١٨٨ ثمان وثمانين ومايتة والف ثم قال مختصره السيد سليمان الأزهري قد الحكلت تبييض هذا المختصر في اواخر شوال سنة ١٢٦٥ خمس وستين ومايتة والف رحمه الله تعالى مؤلفه ومختصره وقارئه وكاتبه والناظر فيه ومن راى فيه عيبا واصلحه امين والحمد لله رب العالمين

امين

تم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية

كتاب بلوغ المآرب في نجاة آبائه
صلىٰ الله عليه وسلم وعمّه أبي طالب
تأليف العلاّمة السّيد سليمان
الأزهريّ اللاذقيّ
رحمه الله تعالىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الملك العلام، الّذي مَنّ علينا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فآمنا به وصدقناه في جميع ما جاء به من شرائع الإسلام، ووفقنا للاعتقاد الصحيح الجازم في نجاة آبائه وأُمّهاته، من عبد الله (١) وآمنة (٢) إلىٰ آدم وحوّاء عليهما الصلاة والسّلام (٣)، بأنهم كلهم طاهرون مطهرون من السفاح (٤)، والشرك وعبادة

١ - عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضَّر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر ابن نِزَار. البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٥:٢،تاريخ الطبريّ ٢٧٢:٢، الروض الأُنف للسهيلي ٨:١، السيرة لابن هشام ١٥١:١،تاريخ اليعقوبيّ ٦:٢.

٢ - أُمّ رسول الله ﷺ ،الّتي ولدته: آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب. وأُمّها بَرّةُ بنت عبد العُزّىٰ بن عثمان بن عبدالدّار بن قُصي بن كلاب بن مرّة . وأُمّها أُمّ سفيان بنت أَسد بن عبدالعزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة. وأُمّها بَرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج من بني عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. الخبر ورد في السيرة لابن هشام ١٦٩:١، تاريخ اليعقوبيّ ٦:٢و٧.

٣ - بناءً علىٰ قوله تعالىٰ:(إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علىٰ العالمين) الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

٤ - بناءً علىٰ قوله ﷺ: «خرجتُ من نِكاح ولم أخرجُ من سفاح من لدُنْ آدم إلىٰ أنْ ولَدني أبي وأُمّي لم يصبني من سِفاح الجاهليةِ شيءٌ». قال السيوطيّ في الجامع الصغير أخرجه ابن عدي في الكامل، والطبرانيّ في الأوسط وأشار إلىٰ حسنه، وذكره الهيثميّ في مجمع الزوائد ٢١٤:٨، وصححه الحاكم في المستدرك، وذكره السيوطيّ في

الأصنام، وأنهم جميعهم من أهل الجنة دار السلام، وكماجاء في بعض الأحاديث أن أجداده من آدم إلىٰ مرة بن كعب مصرّح بإيمانهم، وكذلك في أقوال السلف، وبقي بين مرّة وعبد المطلب، أربعة أجداد، لم يظفر فيهم بنقل.

وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال:

الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة [1]؛ لأنه مات وسّن النبي ﷺ ثمان سنين [2].

الخصائص ١: ٩٣، وأخرجه العدنيّ في مسنده وابن عساكر. السنن الكبرىٰ ٧: ١٩٠، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨: ٢١٤، كنز العمال ١١: ٤٠٢ ح ٣١٨٦٨ وح ٣١٨٧١ وح ٣٢٠١٤_٣٢٠١٧.

وقال ﷺ: «لم يلتق أبوايّ في سفاح، لم يَزل الله عزوجلّ ينقُلُني من أصلاب طيِّبةٍ إلىٰ أرحامٍ طاهرةٍ صافياً مُهذَّباً، لا تَتشعَّبُ شُعبتان إلا كنتُ في خيرِهما». الوفا بأحوال المصطفىٰ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ ١: ٣٥ و ٧٩ قال عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأُمّي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»، وعن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ قال: «لم يلتق أبوايّ قط علىٰ سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلىٰ الأرحام الطاهرة مصفّىً مهذباً، ولا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» أخرجه أبو نعيم من طريق ابن عباس، ابن أبي الحديد ٣: ٣١١، إيمان أبي طالب: ٧٦، الروض الأنف ١: ٧٩، نهاية الإرب للنويري ١٦: ١٩.

١ - كانت قريش تقول عبد المطلب إبراهيم الثاني؛ لأنه رفض عبادة الأصنام، ووحد الله، ووفىٰ بالنذر، وسن سنناً نزل القرآن بأكثرها، وكان فصيح اللسان حاضر القلب، وأعظمت قريش موته، وغسل بالماء والسدر، وكانت قريش أوّل من غسل الموتىٰ بالسدر، ولف في حلتين من حلل اليمن، قيمتهما ألف مثقال ذهب، وطرح عليه المسك حتّىٰ ستره، وحمل علىٰ أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب. وروىٰ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يبعث جدي عبد المطلب أُمة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك» راجع سيرة ابن هشام ١: ١٦٩، تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٧_١٠، عيون الأثر ١: ٤٠، المقامة السندسية: ١٢، مسالك الحنفا: ٦٣.

وقال أهل الأُصول من أهل السنة قاطبة: «شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة» كما ورد ذلك علىٰ لسان الكِيَا الهراسي عماد الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد الطبريّ الشافعيّ، والسبكيّ تقي الدين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافيّ ابن سليم الأنصاري في كتابه «رفع الحاجب» أمّا المعتزلة، فقد قالوا: «شكر المنعم واجب عقلاً». وقال السبكيّ: وعلىٰ مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من تبلغه الدعوة فعندما يموت ناجياً، ولايقاتل حتّىٰ يُدعىٰ إلىٰ الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدية، ولايجب

وقيل: أنه كان علىٰ التوحيد ملّة إبراهيم ﷺ أي لم يعبد الأصنام(٣).

القصاص علىٰ قاتله علىٰ الصحيح، إذ ليس هو بمسلم. وأورد الزركشي في شرح جمع الجوامع أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً ثلاثة أدلة من القرآن: قوله تعالىٰ: «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» الإسراء:١٥، وقوله تعالىٰ: «ذلك إن لم يكن ربُّك مُهلِك القرىٰ بظلم وأهلها غافلون» الأنعام: ١٣١، وقوله تعالىٰ: «ولولا أن تُصيبهم مُصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً، فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» القصص:٤٧.

٢ – السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩:١، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي.

٣ – أخرج ابن سعد في طبقاته ٩٢:١، عن ابن عبّاس أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل:

لا هم إن المرء يمـ ... ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم غدواً محالك

وأورده جماعة بلفظ:

وانصر علىٰ آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك

وورد هذا الشعر في تاريخ الطبريّ ٩٤٠:١ ط أوربا، والسيرة النبوية، لابن هشام ٥١:١، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مسالك الحنفا: ٦٥، وهذا يدل علىٰ أن عبد المطلب كان علىٰ الحنيفية، حيث تبرأ من الصليب وعابديه.

وفي طبقات ابن سعد ١١٨:١ أيضاً أن عبد المطلب قال لأُمّ أيمن: وكانت تحضن رسول الله ﷺ: «يابَرَكةُ لا تغفلي عن ابني، فإني وجَدْتُه مع غلمان قريباً من السِّدْرة وإنّ أهل الكتاب يقولون: «إن ابني نبُّي هذه الأمّة». وهنالك الكثير من تحنف في الجاهلية، فقد أخرج الحاكم في المستدرك ٦٠٩:٢ عن عائشة: قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا وَرَقة، فإني رأيت له جنّة أو جنتين»، وقال ﷺ: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلماً مؤمناً»، وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج. راجع مسالك الحنفا: ٦٢، وأخرج البزار عن جابر قال: «سألنا رسول الله ﷺ عن زيد بن عَمْرِو بن نُفيل، فقُلنا: يارسول الله، إنه كان يستقبل القبلة ويقول: ديني دين إبراهيم، وإلهي إله إبراهيم. قال: «ذاك أُمّة وَحْدَه، يحشر بيني وبين يَدَي عيسىٰ بن مريم»، وجاء في مجمع الزوائد ٤١٥:٩: سألوا رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل، فقيل: يارسول الله كان يستقبل القبلة، ويقول: إلهي إلهُ زيدٍ، وديني دينُ زيدٍ .فقال: «رأيته يمشي في بُطْنَان الجنة عليه حُلّةٌ من سندسٍ». وجاء في دلائل النبوة، لأبي نعيم ح ٥٥ عن ابن عبّاس بخصوص قُسّ بن ساعدة كان يخطب قومه في سوق عكاظ. فقال في خطبته: «سيعمكم حقٌّ من هذا الوجه، وأشار بيده نحو مكّة. قالوا له: وماهذا الحق؟ قال: رجل من ولدي لؤي بن غالب، يدعوكم إلىٰ كلمة الإخلاص وعيش الأبد، ونعيم لا ينفذ. فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت

وقيل: إن الله أحياه له بعد البعثة حتّىٰ آمن وأسلم به ثم مات[1].

أني أعيش إلىٰ مبعثه لكنت أول من يسعىٰ إليه».

وأخرج أبو نعيم في الدلائل ح ١٩٨ عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: «رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها الباطل، يعبدون الحجارة...الحديث»، وأخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عبّاس قال: «كان عدنان ومَعَدّ وربيعة ومضر وخزيمة وأسد علىٰ ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير» .

١ - حاشية البجيرميّ ٢:٢٤٩، مسالك الحنفا :٦٣، ونقل في بعض كتب المسعوديّ أنّ عبد المطلب مات مسلماً، لما رأىٰ من الدلائل علىٰ نبوة محمّد ﷺ، وعلم أنّه لا يبعث إلاّ علىٰ التوحيد، ومن اطلع علىٰ كتب السير والتواريخ، لم يبق عنده شك في إيمانه، وأنه لما رجعت اليمن إلىٰ سيف بن ذي يزن، وراح إلىٰ تهنئته مع كبراء قريش، فأكرمهم وأعطاهم الجوائز، وأعطىٰ عبد المطلب بقدر ما أعطىٰ الجميع، وبشره بالنبي ﷺ، وقال له: فليكن عندك مصوناً حتّىٰ يأتي الله بأمره ويأذن، ياعبد المطلب، إني وجدت في الكتاب المكنون والعلم المخزون الّذي اخترناه لأنفسنا خيراً عظيماً وخطراً جسيماً، شرف الحياة فضلة الوقاة للناس عامة ولكم خاصة، ياعبد المطلب، هذه صفة المولود، وقد ولد اسمه محمّد وأحمد مديح الساقين، أكحل العين أبيض، كأن وجهه فلقة قمر من بين كتفيه شامة، والله باعثه جهاراً وجاعل له انصاراً يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم عن عرض ويستفتح بهم كرامة الأرض، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، ويخمد النيران، ويكسر الأصنام يأمر بالمعروف ويفعله، وينهىٰ عن المنكر ويبطله، قوله فصل وحكمه عدل.

فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له الملك ياعبد المطلب ثلج صدرك وعلىٰ كعبك وقدرك، هل احسست من ذلك، قال نعم أصلح الله الملك كان لي ابن اسمه عبد الله وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوجته كريمة من كرائم قومي، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فأُصبت به وهي مشتمله علىٰ حمل، فولدته غلاماً اسمه محمّد مديح الساقين، مات أبوه وكفلته أنا بين كتفيه شامة، وفيه كلّ ما ذكر الملك من العلامات، فقال له الملك والبيت ذي الحجب إنك ياعبد المطلب جده غير كذب، فاحتفظ بابنك من اليهود، فانهم أعداؤه وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً واطوِ هذا الخبر عمن معك، فإني لست أثق إنْ أخبرتهم بأنْ يكون لك عليهم الرئاسة دونهم، فيتغولون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون وابناوهم ولو أن الموت مصاحبي قبل مبعثه لسلمت إليه برجلي وخيلي وتصير يثرب دار ملكي بحيث أكون جار لأنها دار وأكون صاحبه ووزيره ونصيره وظهيره علىٰ من عاداه، فإني أرىٰ في الكتاب الناطق والعلم السابق أنّ مدينته يثرب بها استحكام أمره وأهلها أهل نصره، ولولا أن أحذر عليه الآفات ووافيات العاهات لأوطأت أعناق العرب ذكره، وأظهرتُ أمره وأعلنتُ مع حداثة سنه ذكره، أصراف ذلك إليك من غير نظير لمن معك وإذا كان رأس الحول فاتني بخبره وأعرض مايكون من أمره

ولذا قال بعضهم: وقوله ﷺ: «من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام المطهرات».[١] دليل علىٰ أن آباء النبي ﷺ وأُمّهاته إلىٰ آدم وحوّاء ليس فيهم كافر؛ لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر، وقد أشار إلىٰ ذلك صاحب الهمزية حيث قال:[٢]

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الأُمّهات والآباء

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تتنازعني الأمم كابراً عن كابر، حتّىٰ خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة»[٣].

إذاً لهم فيها المنازل المنيفة، والمراتب الرفيعة، ببركة نبيّه ﷺ الّذي خُصّ بالشفاعة العظمىٰ، ومزيد التشريف والأكرام.

فكل من اعتقد في أحد منهم نقصاً، فهو الناقص، الناقض العهد والذمام، وهو مؤذ لرسول الله ﷺ[٤] وَمقتحم الكفر أيَّ اقتحام.

وقد حذر من ذلك الأئمة الأعلام، وأباحوا قتله إن لم يتب إلىٰ عزيز ذي انتقام.

قال العلاّمة الدميريّ فيما سطره في أوّل كتاب السير:[٥]

فمات رحمه الله قبل الحول، فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني رجل يعطيها الملك، فان ذلك إلىٰ فناء، ولكن ليغبطني فيما يبقىٰ في العقبىٰ شرفه وذكره، فيقولون وما ذلك يا شيبة الحمد، فيقول لتعلمن نبأه بعد حين. راجع / المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط» ورق ١٧ ب . فمن أطلع علىٰ ذلك علم علماً يقينياً بأنّ عبد المطلب كان علىٰ الإيمان بلا شك .

١ – الروض الأُنف ١:٧٩، نهاية الإرب للنويري ١٦:١٩، شرح ابن أبي الحديد ٣:٣١١، إيمان أبي طالب: ٧٦.

٢ – شرح الهمزية في مدح خير البشرية : ٢٠ – ٢٢، مطبعة محمّد أفندي، سنة ١٣٠٩هـ، هامش السيرة الحلبية لزيني دحلان ١:٣٣.

٣ – هامش السيرة الحلبية لزيني دحلان :٣٣، تحفة الأحوذي للمباركفوري ح ٣٧٥٨.

٤ – بناءً علىٰ الآية ٥٣ من سورة الأحزاب الّتي تنهىٰ عن أذية رسول الله ﷺ، حيث قال تعالىٰ: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» والآية ٥ من سورة الصف ، قال تعالىٰ: «ياقوم لِمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم».

٥ – محمّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن عليّ الدَّميري، أبو البقاء كمال الدين، باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، من أهل دميرة بمصر، ولد ونشأ وتوفي بالقاهرة «٧٤٢هـ-٨٠٨هـ» ، كان

مـحمّد خـير جـميع الخـلق	جـاء مـن الحـق لنـا بـالحق
دعـوة إبـراهـيم الخـليل [١]	بشارة المسيح [٢] في التنزيل
الطـيب الأُصـول والفـروع	الطـاهر المـجتهد اليـنبوع
آبـاؤه قـد طـهرت أنسـاباً	وشـرف مـن الورىٰ أحسـاباً
نكـاحهم مـثل نكـاح الإسـلام	كـذا رواه النـجباء الأعـلام
ومن أبىٰ أو شك فـي هـذا كـفر	وذنـبه فـيما جـناه مـا اغـتفر
نـقل ذا الحـافظ قـطب الديـن	عن صاحب البـيان والتـبيين [٣]

يتكسب بالخياطة، ثم أقبل على العلم وأفتى ودرّس، وكانت له في الأزهر حلقة خاصة، أقام مدة بمكّة والمدينة، من كتبه «حياة الحيوان»، «الديباجة في شرح كتاب ابن ماجة في الحديث»، النجم الوهاج في شرح منهاج النوويّ، أرجوزة في الفقه، مختصر شرح لامية العجم للصفدي / خ، راجع الفوائد البهية :٢٠٣، خط مبارك ٥٩:١١، مفتاح السعادة ١٨٦:١، الضوء اللامع ٥٩:١٠، كشف الظنون :٦٩٦.

١ - بناءً على الحديث المروي أنه قال: «إني عبدالله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأُخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أُمّي الّتي رأت وكذلك أُمّهات النبيين يَرَيْنَ، وإن أُمّ رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام» رواه أحمد في مسنده ١٢٧:٤، والحاكم في المستدرك ٦٠٠:٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبيّ، وذكره الهيثميّ في مجمع الزوائد ٢٢٣:٨، وقال رواه أحمد والطبرانيّ والبزار، وقد وثقه ابن حبّان. راجع المقامة السندسية في نسب المصطفوية :١٥.

ان إبراهيم عليه السلام، لما أخذ في بناء البيت، دعا الله، أن يجعل ذلك البلد آمناً، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليه ، ويرزقهم من الثمرات والطيبات، ثم قال (وابعث فيهم رسولاًمنهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)الآية ١٢٩ من سورة البقرة. فاستجاب الله تعالىٰ في نبينا ﷺ وجعله الرسول الّذي سأله إبراهيم عليه السلام، ودعاه أن يبعثه إلى أهل مكّة، فكان النبي ﷺ يقول: «أنا دعوة إبراهيم...» .

٢ - بناءً على أن الله تعالى أمر عيسىٰ عليه السلام بقوله تعالىٰ: «وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» الآية ٦ من سورة الصف. فبشر عيسىٰ عليه السلام ، به قومه، فعرفه بنو إسرائيل قبل أن يخلق .

٣ - هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة أهل الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة «

قال الإمام الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقيّ[١] رحمه الله تعالىٰ:

حفظ الإله كرامةً لمحمدٍ   آباؤهُ الأمجاد صوناً لاسمه

تركوا السفاح، فلم يصبهم عاره   من آدمٍ وإلىٰ[٢] أبيه وأُمِّهِ

وإني من صِغر سني وإلىٰ الآن ـ بحمد الله تعالىٰ ـ أعتقد هذا في آبائه الكرام لكن كنت في غالب الأحيّان أتأسف وأتحسر علىٰ القول بكفر أبي طالب وَخُلُدِهِ في النيران، إلىٰ أن أغاثني الله لِتأتِي سنة خمسٍ وستين بعد مئةٍ وألف بمختصر تذكرة الإمام القرطبيّ [٣] للقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعرانيّ[٤]

١٦٣هـ - ٢٥٥هـ » صاحب تصانيف كثيرة منها «كتاب الحيوان»، «البيان والتبيين»، «سحر البيان» خ /، التاج الّذي يسمىٰ «أخلاق الملوك»، «البخلاء»، « المحاسن والأضداد» ولأبي حيّان التوحيديّ كتاب أخباره سماه «تقريظ الجاحظ». راجع إرشاد الإرب ٦:٥٦ ـ ٨٠، الوفيات ١:٣٨٨، أمراء البيان : ٣١١، لسان الميزان ٤:٣٥٥.

١ - هو شمس الدين محمّد بن ناصر الدين، أبو بكر بن عبد الله بن محمّد الدمشقيّ، محدث البلاد الدمشقية، وصاحب التصانيف الحسنة البهية «٧٧٧هـ -٨٤٢هـ» ، مصنف حافل مبسوط في توضيح المشتبه أيضاً، وجرد منه الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبيّ من الأوهام، ومن تآليفه «مورد الصادي بمولد الهادي». أُنظر الرسالة المستطرفة : ١٠٠، المنهل الصافيّ ١:١٣١.

٢ - ذكر هذه الأبيات الحافظ السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢:٢٢١، دار الكتب العلمية / بيروت، ونسبها لشمس الدين بن ناصر الدمشقيّ، ولكن بلفظ «حتىٰ» بدل «وإلىٰ»، ومسالك الحنفا للسيوطي : ٤٠، الدرج المنيفة : ١٤.

٣ - هو شمس أبو عبد الله بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري القرطبيّ «ت ٦٧١هـ» ، إمام فقيه مجتهد، وله تصانيف كثيرة منها: الجامع لأحكام القرآن، والأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، والإعلام بما في دين النصارىٰ من الفساد والأوهام، والتذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة .

٤ - هو الشيخ أبو المواهب «عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن زرقا بن موسىٰ بن السلطان أحمد التلمساني، الفقيه، المحدث » الأنصاري، الشافعي، المصري، الصوفي، المعروف بالشعراني أو الشعراوي، ولد ببلدة ساقية أبو شعرة من أعمال المنوفية، ودخل القاهرة سنة « ٩١١ هـ» ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة، «ت ٩٧٣ هـ» بالقاهرة، ودفن بزاويته بشارع بين السورين. أخذ العلم عن مشايخ عصره كالشيخ جلال الدين السيوطيّ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاريّ، وأخذ عن الشيخ محمّد الشناويّ، والشيخ علي الخواص، من علماء الباطن. أُنظر شذرات الذهب ٨:٣٧٢، نزهة الناظرين ١:٤٦١.

قدس الله روحه، ونور ضريحه، ناقلاً فيه عن شيخه خاتمة الحفاظ سيدي جلال الدين السيوطيّ[١] قدس سره، أنه ذكر نجاة أبي طالب في عدة من مؤلفاته[٢]، بل نص علىٰ إيمانه، وَنقل عن بعض حفاظ الإسلام أن الله تعالىٰ أحياه كرامة له ﷺ، وآمن به كما أحييٰ له أبويه وآمنا به[٣].

---

١ - هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين الخُضَيْرِيّ السيّوطيّ، «٨٤٩هـ - ٩١١هـ» ، ونشأ في القاهرة يتيماً، وأُسندت وصايته إلىٰ جماعة منهم الكمال بن الهمام، الفقية الحنفيّ المعروف، وذلك بعد وفاة والده الّذي كان - إلىٰ جانب علمه بالعربية - فقيهاً وشافعياً، ورحل السيوطيّ في طلب العلم إلىٰ الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور. وقد أُجيز السيوطيّ بالإفتاء والتدريس، وهو ابن سبعة وعشرين عاماً سنة ٨٧٦ هـ، بعد أن تلقىٰ علومه علىٰ أيدي علماء عصره كالبُلْقيني والعز الكناني، والشرف المناوي والحَصْكَفي والكافيجي، والجلال المَحَلّي، وشهاب الدين الشارمساحيّ، والشُّمُنّي، والبرهان البِقَاعيّ.

أُنظر ترجمته في الضوء اللامع ٤:٦٥، وهي ترجمة مظلمة أساء فيها للسيوطي كثيراً نتيجة خلافه معه، بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤:٨٣، طبقات الشعرانيّ في ذيل الطبقات.

٢ - ألّف الشيخ الإمام العلاّمة حافظ عصره ووحيد دهره أبي الفضل جلال الدّين عبد الرّحمن أبي بكر السُّيوطي الشافعيّ «ت ٩١١هـ» ، عدة مؤلفات أثبت فيها نجاة أبويه ببراهين كثيرة وأقام النكير علىٰ من زعم خلاف ذلك من أهل الجمود والجحود، ومن هذه المؤلفات: مسالك الحنفا في نجاة أبَوَي المصطفىٰ ﷺ، والسبل الجليّة في الآباء العلية، والمقامة السندسية في النسبة المصطفوية، التعظيم والمِنَّة في أن أبَوَي رسول الله ﷺ في الجنة، نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، الدُّرَج المنيفة في الآباء الشريفة .فالأولان متقاربان في الحجم والمعاني، كلّ واحد منهما في حجم ثلاثين ورقة تقريباً.نشرت هذه الرسائل في حيدر آباد الدكن بالهند عدة مرات، وكانت الطبعة الثالثة منها في سنة ١٣٨٠هـ بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، ضمن كتاب «الرسائل التسع»، كلها مع بعض .

٣ - شرح الهمزية في مدح خير البرية : ٢٠-٢٢، مطبعة محمّد أفندي عام ١٣٠٩ هـ، ثم قال ابن حجر قد ورد في ذلك أحاديث صحيحة غير واحد من الحفاظ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه، وإن الله تعالىٰ أحياهما له فآمنا به وخصوصيةً لهما وكرامة له ﷺ، وكم أكرمه الله تعالىٰ بأشياء خصه بها من دون خلقه زاده الله تعالىٰ كرماً وشرفاً ورفقة وتعظيماً، فقول ابن دحية أن هذا يرده القرآن والإجماع ليس في محله؛ لأن ذلك ممكن شرعاً وعقلاً علىٰ جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده القرآن والإجماع وكون الإيمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وقد صح أنه ﷺ ردت عليه الشمس بعد

ثم ظفرت في السنة المذكورة بمؤلف [١] حافل للعلامة محمّد بن رسول العلويّ الشهير بالبرزنجي [٢] مشتمل علىٰ نجاة أبوية الشريفين، بل علىٰ نجاة جميع آبائه وأُمهاته، وفيه خاتمة مشتملة علىٰ نجاة أبي طالب، بل وإيمانه، وأنَّ جميع أُصوله ﷺ مُؤْمِنُونَ طاهرون، مطهرون، ناجون، ببركة نبيّه الأمين المأمون، وقد طالعت ذلك المؤلف مراراً، فرأيته درة يتيمة، وجوهرة ثمينة، فيه أبحاث شريفة، وفوائد منيفة، ودلائل محققة، وبراهين مدققة.

ذكر أنّ سبب تأليفه لهذا الكتاب، أنه أطلع علىٰ رسالةٍ أَلَّفَهَا مُلاً عَلي القاريّ الهرويّ في كُفْرِ الأبوين الشريفين [٣] وأظهرها مفتخراً بها.

مغيبها فعاد الوقت لعليّ كرم الله وجهه فصلىٰ العصر اداءً كرامة له ﷺ، فكذا هنا.

راجع مشكل الآثار للطحاوي ٢:٨ ـ ١١، الشفا للقاضي عياض ١:٥٤٩، مجمع الزوائد للهيثمي ٨:٢٩٧، طرح التثريب للحافظ ولي الدين العراقي ٧:٢٤٧، فتح الباري للحافظ ابن حجر ٦:٢٢١، المقاصد الحسنة للحافظ السخاويّ :٢٢٦، شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥:١١٥، واللآلى المصنوعة للحافظ السيوطيّ ١:٣٣٦، تنزيه الشريعة ١:٣٧٨، الميزان ٤:٤٣٤، ولسان الميزان ١:٤٧، المنار المنيف :٥٧، الفوائد للشوكاني: ٣٥٠، المقاصد :٢٢٦، مختصر المقاصد :١١٢، الحُلّة السّيرا في مدح خير الورىٰ : ٩٣، في الهامش . كلّ هؤلاء ممن أثبته وقال بصحته أو بحسنه .

١ - سداد الدين في نجاة آبائه ﷺ وخاتمة في نجاة أبي طالب .

٢ - هو السّيد محمّد بن عبد الرسول بن عبد السّيد بن عبد الرسول البَرزَنْجِي الشَّهْرَزُرِي، المدنيّ، الشافعيّ، الحسينيّ، «ت١١٠٣هـ» ، مفسر، محدث أُصولي أديب، لغوي .من آثاره: الإشاعة في أشراط الساعة» و «أنهار السلسبيل في شرح أنوار التنزيل» للبيضاويّ. له ترجمة في سلك الدرر: ٤:٦٥ - ٦٦، هدية العارفين ٢:٣٠٢، الأعلام ٧:٧٥.

٣ - القاريّ: هو نور الدين عليّ بن محمّد بن سلطان الهرويّ المكّي. عرف بالملاّ عليّ القاريّ. ولد في هراة من نواحي خراسان ونشأ في ربوعها، وبدأ دراسته فيها، ثم رحل إلىٰ مكّة ، واتخذها له داراً ومقراً. وقد تتلمذ فيها علىٰ أبي الحسن البكريّ «ت ٩٥٢هـ» وأحمد بن حجر الهيتميّ «ت ٩٧٤ هـ» ، وقد توفي القاريّ « ١٠١٤هـ» ، وكان حنفيّ المذهب، وقد تكون له بعض المواقف الّتي تدل علىٰ شيء من التعصب لمذهبه. ولذا قال عنه المُحِبّي محمّد أمين بن فضل الله المحبيّ الدمشقيّ الحنفيّ «ت ١١١١هـ» ، كما جاء في خلاصة الأثر ٣:١٨٥: «....لكنه امتحن بالاعتراض علىٰ الأئمة ولا سيما الشافعيّ... واعترض علىٰ الإمام مالك في إرسال اليد في الصلاة....» وكان عند الرجل نزعة صوفية، وهذا جانب ضعف في شخصيته، ولذا كان دائماً ينساق وراء مصطلحات

والحال أن الافتخار بمثلها فضيحة وعار، وربما دلت على سوء الأدب، وقلة الوقار، بل ربما دلت على الكفر والبوار.

«ثم أخبر»، ان إمام المسجد الحرام العلاّمة عبد القادر الطبريّ [١] ألّف رسالة في الرد عليه، وأبدع وأغلظ عليه، وشنع.

«والمصنف» تصدى للرد عليه بإنصاف، وإقامة الأدلة، وإثبات البراهين، من غير اعْتِسَاف، فلذلك طال كتابه، فاردت اختصاره، اقتصاراً على المقصود، ليرغب فيه القاصر مثلي، وسميته بلوغ المآرب بنجاة آبائه ﷺ، وعمّه أبي طالب، والله أسأله الإعانة والقبول، فانه رَجَاء كُل مأمول .

الصوفية الغامضة الّتي لا غناء فيها وما أنزل الله بها من سلطان، ومن خلال رسالته الموسومة، بل المشؤومة «أدلة معتقد أبي حنيفة الإمام في أبَوَيِ الرسول عليه السّلام» وذهب إلى أنهما ـ والعياذ بالله ـ ماتا على الكفر، مستدلاً ـ كما يدعي ـ بالنصوص الواردة في ذلك، ومستأنساً بالقول المذكور لأبي حنيفة، وخاض في هذه المسألة الّتي لا يفرق فيها بين الغث والسمين.

توجد نسخة منها مخطوطة في مكتبة الجامعة الإسلامية، رقم ١٥٨٩ / ١٨ (من ٨٧ / أ إلى ١٠٧ / ب)، مصورة من مكتبة الأحمدية بحلب. ونسخة في مكتبة عارف حكمت: ٨٥ / ٤ مجاميع (١٨ ق)، ١٤٩ / توحيد (١٨ ق) محمودية: ٢٦٦٨ / ٢٥ (٢٠ ق)، وقد طبعت في مكّة سنة ١٣٥٣هـ في المطبعة السلفية. وللسيوطي رسالة بعنوان «مسالك الحنفا في والدي المصطفى» وقد طبعت في الهند سنة ١٣٣٤هـ وفي : ٥٦ منها فصل في إحياء أبويه، وقد ذهب السيوطيّ إلى ضعف هذه الأحاديث لا إلى وضعها، وذكر أنه ألّف في بيان ضعفها رسالة مستقلة، يقول في :٥٧ «هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين، بل قيل: إنه موضوع، لكن الصواب ضعفه لا وضعه .وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً» وفي قول قائلهم الّذي أورده كفر، ومعاذ الله أن يشير إليه شيء من القرآن.

١ - هو الإمام الخطيب المفتي الشيخ مُحي الدين عبد القادر بن محمّد بن يحيى بن مكرم ابن المحب محمّد، الحسينيّ، الطبريّ الشافعيّ، المكيّ . إمام المقام، والمفتي والخطيب ببلد الله الحرام. ولد في السابع والعشرين من صفر «٩٧٦ هـ» ، بمكّة المكرمة وتوفّي «١٠٣٣هـ» ، ودفن بالمعلاة، وله عدة مؤلفات منها: مقامة سماها «الأصداف السنية في الأوصاف الحسنية» و «شرح الدريدية المسمى «الآيات المقصورة على الأبيات المقصورة» وله عدة رسائل منها: «تفصيل المقالة في التفصيل بين النبوة والرسالة» ومن ضمن هذه الرسائل رسالة صغيرة في الرد على مُلاّ عليّ القاريّ الهرويّ على رسالته المشؤومة في كفر الأبوين الشريفين». وله ترجمة في خلاصة الأثر ٢:٤٥٧- ٤٦٤، البدر الطالع ١:٣٧١، مختصر نشر النور ١:٢٢٢ – ٢٢٨، هدية العارفين ١:٦٠٠.

فصل :

في

بيان حقيقة الكفر

بيان حقيقة الكفر

قال الإمام حجة الإسلام الغزاليّ[1] في كتابه المسمىٰ (فيصل التفرقة بين الإسلام والكفر والزندقة): الكفر: هو تكذيب رسول الله ﷺ في شيء مما جَاء به.[2] والإيمان: تصديق الرسول فيما جَاء به [3] فاليهود والنصارىٰ كفار؛ لتكذيبهم الرسول.[4] والبراهمة[5] كفار بالطريق الأولىٰ؛ لأنهم يكذبون[6] مع رسولنا سائر الرسل.

والدهري[7] كافر بالطريق الأولىٰ؛ لأنه يكذب الرسل مع المرسل.[8]

---

١ – هو محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليّ، نسبة إلىٰ صناعة الغزل، أو إلىٰ غَزالة، من قرىٰ طوس، ولذا يقال له الطوسيّ، مولده ووفاته في طابران ـ(قصبة طوس، بخراسان) «٤٥٠ هـ ـ ٥٠٥ هـ» ، ثم رحل إلىٰ نيشابور، ثم بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، ثم عاد إلىٰ بلدته، صاحب مصنفات كثيرة، منها «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة». أُنظر وفيات الأعيان ١:٤٦٣، طبقات الشافعية ٤:١٠١، شذرات الذهب ٤:١٠ .

٢ – العبارة هكذا وردت «هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسّلام في شيء مما جاء به» .

٣ – العبارة هكذا وردت «تصديقه في جميع ما جاء به» .

٤ – في المصدر هكذا العبارة «فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول عليه الصلاة والسلام».

٥ – البراهمة: منسوبة للإله براهما، وتعد الديانة البراهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية، والبراهمة لهم علامة ينفردون بها، وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيف، وهو معروف بلفظ «جنيو»، ومهمة البراهمة الدراسة، وتقريب القربان، وإدارة الضحايا، ولهم الأخذ والعطاء. أُنظر الأسفار المقدسة :١٥١، الملل ٢:٢٥٠، قصة الديانات :٥٢، الفصل :٧١، وفي المصدر «والبرهمي» ، بدل والبراهمة والصحيح ما اثبتناه .

٦ – في المصدر «لأنه أنكر» .

٧ – الدهرية: هم أهم طائفة من الأقدمين الذين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر،

وهذا لأن الكفر حكم شرعي كـالرق، والحـرية مـثلاً، إذ مـعناه الحكـم[٩] بإباحة[١٠] الدم، والحكم بالخلود في النار، ومدركه حكم [١١] شرعي، فيدرك: أمّا بنص أو[١٢] قياس علىٰ منصوص. وقد وردت النصوص في اليـهود، والنـصارىٰ، وَأُلحق[١٣] بهم بالطريق الأُولىٰ البراهمة، والثنوية، والزنـادقة، والدهـرية، وكـلهم مشركون في أنهم[١٤] مكذبو الرسل[١٥] عليهم الصلاة والسّلام، وكلّ مكذب فـهو كافر[١٦].

وقال الخازن في تفسير قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَـفَرُوا۟﴾[١٧]، أي: جـحدوا وأنكروا ثم قال: والكفر علىٰ أربعة أضرب:

كفر إنكار: وهو أن لا يعرف الله أصلاً، ككفر فرعون.

وكفر جحود: وهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به، ككفر أُمية بن أبي الصلت.[١٨]

وزعموا أنّ العالم لم يـزل مـوجوداً كـذلك بـنفسه ولا بـصانع، ولم يـزل الحـيوان مـن النـطفة والنـطفة مـن الحـيوان كـذلك كـان وكـذلك يكـون. أُنـظر المـنقذ مـن الضـلال للـغزالي :١٠٣ـ١٠٥، الرد علىٰ الدهريين لجمال الدين الأفغاني .

٨ – في المصدر لاتوجد عبارة «والدهري.....» .

٩ – في المصدر لاتوجد كلمة «الحكم» .

١٠ – في المصدر «إباحة» .

١١ – في المصدر لاتوجد كلمة «حكم» .

١٢ – في الأصل «وأمّا» بدل أو .

١٣ – في المصدر «وأُلتحق» .

١٤ – في المصدر «فأنهم» .

١٥ – في الأصل للرسول وهو خطأ وما اثبتناه هو الصحيح .

١٦ – رسـالة الإمـام الغـزاليّ فـيصل التـفرقة :١٢٠/ دار الكـتب العـلمية / بـيروت «ضـمن مجموعة رسائل» .

١٧ – جزء من آية ٦ في سـورة البـقرة «إن الذيـن كـفروا سـواء عـليهم ءأنـذرتهم أم لم تـنذرهم لايؤمنون»، وقيل هي جزء منآية ٩١ في سـورة آل عـمران :«إنّ الذيـن كـفروا ومـاتوا وهـم كفار فلن يقبل من احدهم...» .

١٨ – في التفسير هكذا ورد تـعريف كـفر الجـحود: «وهـو أن يـعرف الله بـقلبه ولا يـقر بـلسانه، ككفر إبليس .ثم أضاف القسم الآخر، وهو الّـذي سـماه كـفر عـناد: وهـو أن يـعرف الله بـقلبه ويقر بلسانه ولايدين به ككفر أُمية بن الصلت، وكفر أبي طالب حين يقول في شعره:

وكفرنفاق: وهو أن يقر بلسانه، ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه.

فجميع هذه الأنواع كفر. وحاصله أنّ من جحد الله تعالىٰ، أو أنكر وحدانيته، أو أنكر شيئاً مما أنزله علىٰ رسوله، إذ أنكر نبوة محمّد، أو أحدٍ من الرسل، فهو كافر، فإن مات علىٰ ذلك فهو في النار خالداً فيها ولا يغفر الله له. انتهىٰ [١].

وقال الإمام الفخر الرازيّ[٢] رحمه الله تعالىٰ، بعد أنْ ذكر أنّ المتكلمين صعب عليهم حد الكفر: مايفيد الكفر في الشرع، إنكار ماعلم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به، قال: فإن قيل: إنَّ الشرع عَدَّ لبس الغيار، وشد الزنار ونحوهما كفراً، قلنا: هذه الاشياء في الحقيقة، ليست كفراً؛ لأن التصديق وعدمه، أمر باطن لا اطلاع للخلق عليه، ومن عادة الشرع أنْ لا يبني الحكم في أمثال هذه الأُمور علىٰ نفس المعنىٰ؛ لأنه لا سبيل إلىٰ الاطلاع عليه، بل يجعل لها معرفات وعلامات ظاهرة، ويجعل تلك المظان الظاهرة مداراً للأحكام الشرعية. وليس الغيار، وشد الزنار، من

ولقد علمت بأن دين محمّد ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

ثم قال الخازن في تفسيره: نزلت هذه الآية في مشركي العرب، وقيل في اليهود. وقال الشَّوْكَانيّ في تفسيره ١:٣٨، دار المعرفة «لبنان»: قال القرطبيّ: اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، فقيل: هي عامة ومعناها الخصوص فيمن سبقت عليه كلمة العذاب، وسبق في علم الله أنه يموت علىٰ كفره...وقال ابن عبّاس والكلبي: نزلت في رؤساء اليهود حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف ونظرائهم. وقال الربيع بن أنس: نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الأحزاب، والأول أصح. ولاندري كيف حشر صاحب تفسير الخازن أبا طالب في كفر العناد من خلال هذين البيتين، وهو الاعتراف الصريح بنبوة المصطفىٰ ﷺ. لأنه قد اعترف بأن دين محمّد خير الأديان، وهذا يدل علىٰ الاعتراف وليس علىٰ العناد كما يدعي المدعي، وسنقف معه فيما بعد إن شاء الله.

١ – تفسير الخازن ١:٢٤، دار الفكر «بيروت»، مع العلم أن المصنف ذكر ثلاثة أقسام من الكفر ولم يذكر الرابع، وهو الّذي سماه كفر عناد والّذي أشرنا إليه في الهامش السابق.

٢ – هو محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكريّ، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، المفسر الكبير، قرشي النسب، أصله من طبرستان، مولده في الري «٥٤٤هـ ـ٦٠٦هـ»، رحل إلىٰ خوارزم وماوراء النهر، وخرسان، توفي في هراة، له عدة مصنفات.

أنظر البداية والنهاية ١٣:٥٥، طبقات الشافعية ٥:٣٣، الوفيات ١:٤٧٤، لسان الميزان ٤:٤٢٦، طبقات الاطباء ٢:٢٣.

هذا الباب. فإنّ الظاهر أنّ من يصدقُ الرسول عليه السّلام فإنه لا يأتي بهذه الأفعال، فحيث أتىٰ بها دل علىٰ عدم التصديق، فلا جرم أنّ الشرع يفرع الأحكام عليها، لا أنها في نفسها كفر.[١] انتهىٰ .

أي كما جعل لا إله إلا الله دليلاً[٢] علىٰ التصديق، وفرع عليها أحكام الإسلام وإن لم يكن في نفسه تصديقاً[٣]، ألا ترىٰ أنّ المنافق يقولها مراراً وهو في الدرك الأسفل من النار؛ لعدم حقيقة التصديق في قلبه، فمدار أمر الدنيا علىٰ الأمارات والظواهر، ومدار أمر الآخرة علىٰ الحقائق والبواطن، فالمسلم بلسانه المكذب بقلبه مخلد في النار. والكافر بأقواله وأفعاله، المصدق بقلبه من أهل الجنة خالداً فيها، وهذا أصل عظيم يجب التنبه له .

ثم قال: فإنْ قيل: إنّ جعل ترك المأمور به ، وارتكاب المنهي عنه علامة للتكذيب، نازلٌ منزلته، يلزم أنْ يبطل التعريف؛ لصدقه علىٰ الفسقة من المؤمنين.

---

١ - هكذا في الأصل بدلاً من قول المصنف «فلا جرم فرع عليها الشرع أحكام الكفر، لأنها في نفسها كفر انتهىٰ» .

٢ - في المخطوط جميلاً بدل دليلاً، وما اثبتناه هو الصحيح .

٣ - قال القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» ٢: ١٠٠، الطبعة الثانية / دار الفيحاء مانصه:«قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله ... ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك، ثم الايمان به والتصديق له كما ورد في الحديث عن عبد الله بن عمر «أمرت أن أُقاتل الناس حتّىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله...وزاده وضوحاً في حديث جبريل، إذ قال: أخبرني عن الإسلام...ثم سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله... وأمّا الحال المذمومة، فالشهادة باللسان دون تصديق القلب...وهذا هو النفاق...وبقية حالتان:

«١» أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه، فاختلف فيه. فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به. ورآه بعضهم مؤمناً مستوجباً للجنة لقوله ﷺ «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» فلم يذكر سوىٰ ما في القلب. وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره...وهذا هو الصحيح في هذا الوجه .

«٢» أن يصدق بقلبه ويطوّل مهلة، وعلم مايلزمه من الشهادة، فلم ينطق بها جملة، ولا استشهد في عمره ولا مرة، فهذا اختلف فيه أيضاً، فقيل هو مؤمن؛ لأنه مصدق...

قلنا: يجوز أنْ يجعل الشارع بعض محظورات الشرع علامة للتكذيب وَمنزلتها منزلة نفس التكذيب، فيحكم بكفر من ارتكبه، كشد الزنار ونحوه، ولايجعل بعضها كذلك، ولا يحكم بكفر من ارتكبه، كالزنا، وشرب الخمر. انتهى[1].

---

١ - التفسير الكبير للفخر الرازيّ ١:٣٧، الطبعة الثانية./ دار الكتب العلمية. مع اختلاف عما هو مذكور هنا. فقد قال ففيه مسائل:

اعلم أنه صعب علىٰ المتكلمين ذكر حد الكفر، وتحقيق القول فيه أن كلّ ما ينقل عن محمّد ﷺ أنه ذهب إليه وقال به، فإما أن يعرف صحة ذلك النقل بالضرورة أو بالاستدلال أو بخبر الواحد.

أمّا القسم الأول: وهو الّذي عرف بالضرورة مجيء الرسول عليه السّلام به، فمن صدقه في كلّ ذلك فهو مؤمن، ومن لم يصدقه في ذلك، فإما أنْ لا يصدقه في جميعها، أو أنْ لا يصدقه في البعض دون البعض . فذلك هو الكافر، فإذن الكفر عدم تصديق الرسول في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به، ومثاله من أنكر وجود الصانع، أو كونه عالماً قادراً مختاراً، أو كونه منزهاً عن النقائص والآفات، أو أنكر نبوة محمّد ﷺ، أو صحة القرآن الكريم أو أنكر الشرائع الّتي علمنا بالضرورة كونها من دين محمّد ﷺ، كوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج وحرمة الربا والخمر، فذلك يكون كافراً؛ لأنه ترك تصديق الرسول فيما علم بالضرورة أنه من دينه. فأما الّذي يعرف بالدليل أنه من دينه، مثل كونه عالماً بالعلم أو لذاته وأنه مرئي أو غير مرئي، وأنه خالق أعمال العباد أم لا فلم ينقل بالتواتر القاطع، لعذر مجيئه عليه السّلام بأحد القولين دون الثاني، بل إنما يعلم صحة أحد القولين وبطلان الثاني بالاستدلال، فلا جرم لم يكن إنكاره ولا الاقرار به داخلاً في ماهية الإيمان فلا يكون موجباً للكفر، والدليل عليه أنه لو كان ذلك جزء ماهية الإنسان لكان يجب علىٰ الرسول ﷺ أن لا يحكم بإيمان أحد إلا بعد أن يعرف أنه هل يعرف الحق في تلك المسألة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر قوله في تلك المسألة بين جميع الأُمّة، ولنقل ذلك علىٰ سبيل التواتر، فلما لم ينقل ذلك دل علىٰ أنه عليه السّلام ما وقف الإيمان عليها، وإذا كان كذلك وجب أن لا تكون معرفتها من الإيمان، ولا إنكارها موجباً للكفر، ولاجل هذه القاعدة لا يكفر أحد من هذه الأُمّة ولا نكفر أرباب التأويل.

وأمّا الّذي لا سبيل إليه إلا برواية الآحاد، فظاهر أنه لا يمكن توقف الكفر والإيمان عليه. فهذا قولنا في حقيقة الكفر.

فإن قيل: يبطل ماذكرتم من جهة العكس بلبس الغيار وشد الزنار وأمثالهما، فإنه كفر مع أن ذلك شيء آخر سوىٰ ترك تصديق الرسول ﷺ فيما علم بالضرورة مجيئه به .

قلنا: هذه الأشياء في الحقيقة ليست كفراً؛ لأن التصديق وعدمه أمر باطن لا اطلاع للخلق عليه، ومن عادة الشرع أنه لا يبني الحكم في أمثال هذه الأُمور علىٰ نفس المعنىٰ؛ لأنه لا سبيل إلىٰ الاطلاع عليه، بل يجعل لها معرفات وعلامات ظاهرة ويجعل

وقول الخازن السابق: أنْ لا يعرف الله أصلاً، المراد به: أنْ لا يصدق به، فإن المعرفة تطلق على التصديق.

قال التفتازانيّ[١] في شرح المقاصد: يقع في كلام كثير من عظماء الملّة، وعلماء الأُمّة، مكان لفظ التصديق، لفظ المعرفة والعلم، والاعتقاد، فينبغي أنْ يحمل على العلم لا على التصديق. انتهى[٢].

قال بعضهم: ويؤيده أنهم نقلوا عن الأشعري[٣]: أنّ أوّل ما يجب على المكلف شرعاً معرفة الله، ثم قالوا: مراده بمعرفة الله هنا التصديق بوجوده، وصفاته الكمالية الثبوتيه، والسلبية بقدر الطاقة البشرية. انتهى[٤].

قال المصنف مُتَعَقّباً كلام الخازن السابق: والصواب في التقسيم أنْ يقال:

تلك المظان الظاهرة مداراً للأحكام الشرعية، وليس الغيار وشد الزنار من هذا الباب، فإن الظاهر أن من يصدق الرسول عليه السّلام فإنه لا يأتي بهذه الأفعال، فحيث أتى بها دل على عدم التصديق فلا جرم أن الشرع يفرع الأحكام عليها لا أنها في نفسها كفر، فهذا هو الكلام الملخص في هذا الباب والله أعلم.

١ - هو سعد الدين عمر بن مسعود بن عبد الله الهرويّ الخراساني الحنفيّ الشهير بالتّفتازاني «٧٢٢هـ-٧٩١هـ» ، تقريباً، توفي بسمرقند، وقد وصفه ابن حجر، بالإمام العلاّمة، عالم النحو والتصريف والمعاني والبيان، أخذ العلم عن القطب والعضد، وتقدم في الفنون واشتهر ذكره وطار صيته، وكان في لسانه لكنه وانتهت إليه معرفة العلم بالمشرق. راجع الدرر الكامنة ٤: ٣٥٠، بغية الوعاة: ٣٩١، شذرات الذهب ٦: ٣١٩، البدر الطالع ٢: ٣٠٣، مفتاح السعادة ١: ١٦٥.

٢ - شرح المقاصد ٥: ١٧٦، الطبعة الأُولى / طبعة عالم الكتب / بيروت.

٣ - أبو الحسن هو عليّ بن اسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ، أمضى فترة على مذهب الأعتزال مع أبي عليّ الجبائيّ، ثم ترك مذهب الأعتزال. وسلك طريق أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر. الخطط للمقريزي ٢ / ٣٥٨، ثم انتقل بعد ذلك عن مذهب ابن كلاب إلى مذهب السلف. فكان يقول بقول الإمام أحمد بن حنبل وأهل الحديث، يدل على ذلك ما جاء في كتابه مقالات الإسلاميين حين سرد مقالة أهل الحديث حيث قال: وبكل ما قالوا نقول وإليه نذهب. وما جاء في كتابه الإبانة، فهو موافق لمذهب السلف في جميع المسائل العقدية.

٤ - شرح البخاريّ للعينيّ ١: ١٠٢، دار الفكر، المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن المتوفى «٤٠٣ هـ» ، للحليمي ١: ١٩، تحقيق: حليمي محمّد فوده، الطبعة الأُولى عام ١٩٧٩م / دار الفكر «بالمضمون لا بالنص».

إمّا مكذب باللّه ورسوله، كالدهرية.

وإمّا مكذب بالرسل وهو قسمان:

مكذب بجميع الرسل كالبراهمة.

ومكذب ببعضهم دون بعض، كاليهود والنصارىٰ.

وإمّا مقر بالقلب، تارك للشهادة باللسان، بغير عذر بين.

وإمّا مقر باللسان مكذب بقلبه كالمنافق.

فهذه الأقوال في حدّ الكفر، وأنه الإنكار لما جاء به النبي ﷺ، وعلم مجيئه به ضرورة، وإنكار المجمع عليه، إنْ كان قطعياً ضرورياً فهو كفر، وإلاّ فلا كفر بإنكاره.

والمعتمد في مثل هذا مما يتعلق بالاعتقاد الإجماع [١] القولي الكلي القطعي، لا السكوتي، ولا الأكثري، ولا الفعل، ولا الظن.

وشرط حصول مثل هذا الإجماع: أن يجتمع أهل الحل والعقد في زمان

---

١ - المتتبّع لتعريف الإجماع عند الأُصوليّين من الإمامية يجده يلتقي عند مدلولٍ واحدٍ، وهو: الكشف عن رأي المعصوم علية السّلام. أمّا عند غير الإمامية: فقد حصر الإمام مالك الإجماع بإجماع أهل المدينة فقط، بينما حصره آخرون بإجماع الشيخين، أو إجماع الخلفاء الأربعة، أو أهل مكّة، أو إجماع أهل الكوفة، أو إجماع الأئمة، أو إجماع مجتهدي الأُمّة علىٰ الإطلاق علىٰ حكم شرعي .هذه حدود القائلين بحجيته، وهناك من اعتبروا وجوده محض خرافة. راجع التعريفات للجرجاني عليّ بن محمّد :٥ .

ولقد نسب إلىٰ النظام المعتزليّ القول باستحالة تحقّق الإجماع. راجع مخاصمات المجتهدين للشويهي ٣٢٧:٢. والحق أنّ الإجماع ممكن في حدّ ذاته عقلاً، إذ لا مانع - بحسب العقل أو العادة -من جواز اطّلاع كلّ مجتهد علىٰ دليل حكم يعتقده، وتتفق جميع الآراء علىٰ ذلك، ولا تحقّق للإجماع سوىٰ هذا.

ونحن نعلم: أنّ الإجماع قسمان: محصّل، ومنقول .

فالمحصل: هو الّذي يحصله الشخص بنفسه، وذلك بأن يطّلع علىٰ آراء المجتهدين فرداً فرداً، ويجد فتواهم متطابقة، ولا شك في حجية هذا النوع من الإجماع .راجع الإجماع في التشريع الإسلامي محمّد صادق الصدر :٩٧ .

وأمّا الإجماع المنقول: فهو ما وصل إلىٰ الشخص عن طريق النقل، فإن كان النقل متواتراً، فهو كالمحصل من حيث الحجية. وأمّا المنقول بطريق الآحاد فالأكثرون علىٰ عدم حجيته. راجع الإجماع لمحمد صادق الصدر :٩٧ .

واحد، فيتفقون علىٰ أمر واحد، اتفاقاً صريحاً، ثم يستقرون عليه عند قوم، وإلىٰ تمام انقراض العصر عند قوم. ويكاتبهم الإمام في أقطار الأرض، فيأخذوا فتاواهم في زمان واحد، بحيث تتفق أقوالهم اتفاقاً صريحاً حتّىٰ يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده.

والمراد بأهل الحل والعقد: علماء الشريعة، الواصلون رتبة الاجتهاد بالمذاهب أو في المذهب. فلا عبرة باجتماع الأعوام، والمقلدين، والمتبحرين، إذا لم يبلغ رتبة الاجتهاد بأحد الوجهين، ولا باجماع علماء غير الشريعة، كالعلوم العقلية والنقلية والأدبية، مما لا دخل له في الأحكام الشرعية.

وخرج به أيضاً إجماع بعضهم ولو كان الأكثر؛ لأنه لا يقال أهل الحل والعقد إلا للكل.

وقوله في زمان واحد: أي بأن يجمع زمان أقوالهم قاطبة، فلو تقدم بعضهم علىٰ بعض في زمان، كأن قال به اليوم واحد، ثم رجع عنه قبل أن يقول به الباقي، فلا يكون اجماعاً.

وقوله اتفاقاً صريحاً: خرج به الإجماع السكوتي، والفعلي؛ لأنهما ليسا صريحين في بيان ما في الضمير.

وقوله: ثم يستمرون عليه مدة، احترازاً مما لو اتفقوا، ثم رجعوا كلهم، أو بعضهم عن القول الأوّل، وقبل انقضاء العصر علىٰ القول الآخر، فإنه لا عبرة بمثل هذا الاجماع.

ومن أراد بقية الكلام علىٰ الاجماع، فاليراجع جمع الجواهر وحواشيه .

قال المصنف: قد عُرف من تعريف الكفر؛ أنّ أهل الفترة[1] قبل بلوغ الدعوة ليسوا كفاراً، بالمعنىٰ الّذي يوجب دُخولهم للنار، إذ لا كفر قبل التكذيب والإنكار، ولا تكذيب ولا إنكار إلا بعد بلوغ الدعوة. ولا دعوة إلاّ بعد بعثة الرسول، فالمتقدم علىٰ التكذيب بمراتب، لا يكون كافراً بالمعنىٰ المذكور.

---

١ - المقصود بذلك فترة ما قبل البعثة المحمدية؛ لأن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً حتّىٰ يمتحنه الله يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصىٰ دخل النار «بتصرف» راجع السيوطيّ، الحاوي للفتاوي ٢:٤٠٣ـ٤١٣ .

فالكافر إذا أُطلق لا يحمل إلاّ علىٰ المذكور، وهو المكذب بالرسول، جاحد لنبوته، منكر لما جاء به.

قال: والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١]

روىٰ ابن جرير[٢] وابن أبي حاتم [٣] عن قتادة [٤] في تفسير الآية، أنّ الله تعالىٰ ليس بمعذب أحداً حتّىٰ يسبق إليه من الله خَبَر، وتأتيه من الله بينة[٥].

---

١ – الإسراء: ١٥، راجع التفاسير للآية كتفسير ابن كثير٣:٤٨/إحياء التراث. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي٢:١٣١، كلّ التفاسير تؤكد علىٰ أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبل البعثة، ولقد أطبقت أئمة الأشاعرة، كما جاء في مقالات الإسلاميين، من أهل الكلام والأُصول، والشافعية من الفقهاء علىٰ أن من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً، ونص عليه الشافعيّ وسائر الأصحاب، بل زاد بعض الأصحاب، وقال: إنه يجب في قتله القصاص، ولكن الصحيح خلافه؛ لأنه ليس بمسلم حقيقي وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه علىٰ أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه، وهذا المسلك قال به شرف الدين المناوي عندما سئل عن والد النبي ﷺ هل هو في النار؟ فزأر السائل زأرة شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال إنه مات في الفطرة ولا تعذيب قبل البعثة، ونقل هذا الكلام ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» عن جماعة فإنه حكىٰ كلام جده علىٰ حديث إحياء أمه ﷺ، ثم قال مانصه «وقد قال قوم: قد قال الله تعالىٰ «وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً» والدعوة لم تبلغ أباه وأُمّه فما ذنبهما، وجزم به الآبي في شرح صحيح مسلم.

٢ – هو محمّد بن جرير الطبريّ « ٢٢٤ـ٣١٠هـ » ، صاحب تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أملاه في بغداد من سنة ثلاث وثمانين إلىٰ سنة تسعين، كما ذكر ابن النديم في الفهرست :٢٣٥ ،كان مولده بآمل طبرستان، وكان أول ما رحل إلىٰ الري وما جاورها من البلاد، فأخذ من شيوخها وأكثر، ودرّس فقه العراق علىٰ أبي مقاتل، ثم عزم الرحيل إلىٰ بغداد ولم يكد يصل إليها حتّىٰ علم بوفاة أحمد بن حنبل، ثم عدل إلىٰ البصرة، وسمع من شيوخها، ثم رحل إلىٰ الكوفة وأخذ من شيوخها، أُنظر معجم الأُدباء ١٨:٤٨، تاريخ بغداد ٢:١٦٤، بروكلمان ١:٢٤٩،«الملحق» .

٣ – هو عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميميّ الحنظليّ، الإمام ابن الإمام حافظ الري من تصانيفه «التفسير المسند» و «الجرح والتعديل» و «الرد علىٰ الجهمية» و «الزهد» و «الكنىٰ». أُنظر طبقات المفسرين للسيوطي .

٤ – هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه، عربي الأصل، كان يسكن البصرة «ت١١٧ هـ» .

٥ – في تفسير الطبريّ ٨:٤١، طبعة دار المعرفة بيروت / لبنان ، بلفظ : «أو تأتيه من الله

وقوله تعالىٰ:﴿وَلَوْلاَ أنْ تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ... وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

روىٰ ابن أبي حاتم في تفسيرها سند حسن، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله تعالىٰ عنه[٢] رفعه.

الهالك في الفترة يقول: لم يأتني كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية[٣].

بينة وليس معذباً أحداً إلا بذنبه»، وفي البحر المحيط ٦:١٦، دار الفكر، وقال الحافظ السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٣/ دار الكتب العلمية «بيروت» في قوله تعالىٰ «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» هذه الآية هي الّتي أطبقت أئمة السنة علىٰ الأستدلال بها في أنه لاتعذيب قبل البعثة، وردوا بها المعتزلة، ومن وافقهم في تحكيم العقل فقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في قوله «وما كنا معذبين» قال الآية ليس بمعذب أحداً حتىٰ يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه من الله بينة .

١ - القصص:٤٧ .

٢ - هو سعد بن مالك، منسوب إلىٰ «الخُدرة»، وهم من اليمن، مات سنة أربع وسبعين. راجع المعارف :٢٨٦ .

٣ - البحر المحيط ٧:١٢٣، ولكن ابن حيّان لم ينقل شيئاً عن أبي سعيد الخدريّ، وانما قال هكذا «لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير» القصص:٤٦ / قال: أي في الفترة بينك وبين عيسىٰ وهو خمسمئة وخمسون عاماً.

وقد أجاد الحافظ السيوطيّ في كتابه الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٢ـ٢٣٤، في رسالته الّتي عنونها «مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ» عندما سرد في طياتها الأدلة الدالة علىٰ نجاة الأبوين الشريفين، وذكر كذلك الأدلة من القرآن والسنة علىٰ أن أهل الفترة لا يعذبون وقد ذكر ثماني أدلة قرآنية علىٰ ذلك منها:

«١» قوله تعالىٰ: «وماكنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» فقال هذه الآية هي الّتي أطبقت أئمة السنة علىٰ الإستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة...أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، في تفسيريهما عن قتادة...قال: إنّ الله ليس بمعذب أحداً حتّىٰ يسبق إليه من الله الخبر أو تأتيه من الله بينة .

«٢» قوله تعالىٰ: «ذلك إنْ لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم وأهلها غافلون» أورد هذه الآية:١٣١ من سورة الأنعام، الزركشي في شرح جمع الجوامع، مستدلاً علىٰ قاعدة: إن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً، بل بالسمع .

«٣» قوله تعالىٰ: «ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» أورد هذه الآية ٤٧ من سورة القصص، الزركشي، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسند حسن عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال

قال الإمام النوويّ[١] في شرح مسلم [٢] في مسألة أطفال المشركين:
المذهب الصحيح المختار الّذي صار إليه المحققون: أنهم في الجنة، لقوله تعالىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٣]، وإذا كان لا يعذب البالغ، لكونه لم

رسول الله ﷺ :«الهالك في الفترة يقول ربِّ لم يأتني كتاب ولا رسول» كما جاء في صحيح البخاريّ ومسلم. ثم قرأ الآية «ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» .

«٤» قوله تعالىٰ: «وما أهلكنا من قريةٍ إلاّ لها منذرون، ذِكرىٰ وما كُنّا ظالمين»، الشعراء: ٢٠٨ ـ ٢٠٦، أخرج عبد بن حميد، وابن منذر، وابن أبي حاتم في تفسيرهم عن قتادة فيالآيه قال: ما اهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتّىٰ يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة للّة ذكرىٰ وما كنا ظالمين. يقول: ماكنا لنعذبهم إلاّ من بعد البينة والحجة .

وقد ذكر الحافظ السيوطيّ في كتابه الحاوي للفتاوي ٢: ٢٠٤ـ٢٠٩، مجموعة من الأحاديث وأقوال العلماء علىٰ أنّ أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع منهم أُدخل الجنة، ومن عصىٰ أُدخل النار، منها:

عن الإمام أحمد بن حنبل، ٤: ٢٤، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما، والبيهقيّ في كتاب الاعتقاد...أن النبي ﷺ قال: «أربعة يمتحنون يوم القيامة...ورجل مات في فترة» وأخرج البزاز في مسنده عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتىٰ بالهالك في الفترة...فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول» .

وعن أبي هريرة في مجمع الزوائد ٧: ٢١٦، قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة...والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، فيقولون كيف ولم تأتنا رسل؟ قال: وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً..»، السنن الكبرىٰ ٩: ١٠٦ .

١ – هو يحيىٰ بن شرف الحورانيّ، ولد في «نوا» القرية الواقعة في منطقة حوران بسورية «٦٣٢هـ ـ ٦٧٦هـ»، ودرس في دمشق وأقام بها زمناً طويلاً، وألّف عشرات الكتب في الحديث والفقه والعلوم الإسلامية، منها «رياض الصالحين»، «الأربعون حديثاً النووية». أُنظر الأعلام ٩: ١٨٤ .

٢ – شرح صحيح مسلم للنوويّ ١: ١١٤ ط، الهند، وج ٨: ٥٤، ط / استانبول، أبو داود، ح ٣١٢٤، النسائيّ ١: ٢٨٢، ابن سعد ١: ١٢٣،ابن أبي شيبة في المصنف ٤: ٩٥ ط، الهند، مسند الطيالسيّ ح ١٢٠، سنن البيهقيّ ٣: ٣٩٨، وج ٩: ١٣٠ ، مسند أحمد ١: ٩٧و١٠٣، صحيح البخاريّ ٧: ٢١٠، مستدرك الحاكم ٢: ١٢٣ .

٣ – الإسراء: ١٥ .

تبلغه الدعوة فغيره أولىٰ. فهذه أقوال الفقهاء.[١] انتهىٰ.

قال العلاّمة ابن حجر [٢] في شرح الهمزية: وأمّا الذين صح تعذيبهم، مع كونهم من أهل الفترة، فلا يردون نقضاً علىٰ قاعدة[٣] الأشاعرة من أهل الكلام والأُصول، والشافعية من الفقهاء: إنّ أهل الفترة لا يعذبون، وسبب ذلك أننا عهدنا في

---

١ - صحيح مسلم بشرح النوويّ م ٨ ١٦:٢٠٧ـ٢٠٨ . ورب سائل يسأل هل هذا عام في أهل الجاهلية كلهم؟ قلت لا: بل هو خاص لمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً، أمّا من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين، ثم أصر علىٰ كفره فهو في النار قطعاً. وهذا لا نزاع، فيه وأمّا الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد، وذلك لمجموع أُمور منها: تأخر زمانهما وبُعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ عيسىٰ عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثته ﷺ نحو ستمئة سنة، ثم أنهما كانا في زمن جاهلية، وقد أطبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً، وفُقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة علىٰ وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب مزقت في أقطار الأرض كالشام وغيرها .

وقال عز الدين بن عبد السّلام في أماليه: «كلّ نبي إنما أُرسل إلىٰ قومه إلاّ نبينا ﷺ قال: فعلىٰ هذا يكون ما عدا قوم كلّ نبي من أهل الفترة إلاّ ذرية النبي السابق، فإنهم مخاطبون ببعثة السابق، إلا أن تدرس شريعة السابق فتصير الكل من أهل الفترة بلا شك، لأنهما ليسا من ذرية عيسىٰ ولا من قومه، ثم ترشح مما قال ابن حجر، كما ورد في مسالك الحنفا للسيوطي :١٧ «إنّ الظن بهما أنْ يطيعا عند الامتحان أمران:

أحدهما: ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ابن مسعود قال: قال شاب من الأنصار: لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول الله ﷺ منه: يارسول الله أرأيت أبويك في النار....» .

ثانيهما: ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالىٰ « ولسوف يعطيك ربك» قال من رضىٰ محمّد أنْ لا يدخل أحد من أهل بيته النار، ولهذا عمم الحافظ ابن حجر قوله «الظن بأهل بيته كلّهم أنْ يطيعوا عند الامتحان». وقد أخرج أبو سعيد في شرف النبوة والملا في سيرته عن عمران بن حصن قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أنْ لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأُعطىٰ ذلك» .

٢ - هو أحمد بن محمّد بدر الدين بن محمّد شمس الدين بن عليّ نور الدين السعديّ المكيّ الشافعيّ الهيتميّ، نسبة لمحلة أبي الهيتم من أقاليم مصر الغربية، ولد بها، «٩٠٩ هـ ـ ٩٧٥هـ» . الرسالة المستطرفة :١٥٨، الأعلام للزركلي ١: ٢٣٤ .

٣ - في المصدر «ماعليه» بدل قاعدة.

الغلام[١] الّذي قتله الخضر عليه السلام، أنه حكم بكفره مع صباه، لأمر يعلمه الله تعالىٰ وحده، ورسوله [٢]. فلايرد هؤلاء نقضاً علىٰ ما أُستفيد من الآيات، ومشىٰ عليه أُولئك الأئمة، أنّ أهل الفترة لا يعذبون. وهذا الّذي ذكرته في الجواب أولىٰ من الجواب بأن أحاديثهم أخبار آحاد. فلا تعارض القطع، بأن أهل الفترة لا يعذبون أو بأن التعذيب المذكور في الأحاديث، مقصور علىٰ من غَيَّرَ، أو بَدَّلَ، من أهل الفترة بما لا يُعذر به، كعبادة الأوثان، وتغيير الشرائع، وكان قائل هذا ممن يرىٰ وجوب الإيمان بالعقل [٣]. والّذي عليه أكثر أهل السُّنة والجماعة: أنه لا يجب توحيد، ولا

---

١ – عن ابن عباس قال: كان غلاماً لم يبلغ الحنث...وقيل كان اسمه حيسور، وقيل كان فتىً يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلىٰ أبويه، وقيل كان غلاماً يعمل بالفساد ويتأذىٰ منه أبواه. عن أُبي بن كعب قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:«إن الغلام الّذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً» أُنظر تفسير الخازن ٧:٢٠٦، مسلم في صحيحه بشرح النوويّ م٨ ج ١٦: ٢١١/ دار إحياء التراث العربي «بيروت».

٢ – لا توجد في المصدر كلمة «ورسوله».

٣ – وردت أحاديث كثيرة بخصوص الإيمان، فقد ورد في صحيح مسلم ١:٤١، باب من لقي الله بالإيمان...قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة...» وهو صريح في أن العلم بالوحدانية كاف في الخلاص من النار، ودخول الجنة، ومرافقة الأنبياء، والأولياء، سيما فيما إذا كان الكتمان إعزازاً للدين، وحفظاً علىٰ الأنبياء والمرسلين، كما في مؤمن آل فرعون، قال تعالىٰ:«وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله...»الآية ٢٨ من سورة المؤمن.

وفي الفتاوىٰ السراجية قال أبو حنيفة: إن الإيمان هو الإذعان بالجنان، وإنما الإقرار باللسان لإجراء الأحكام. فإذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وقال في ٤:١٥٥ قول أبي الحسن بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابه: إن الإيمان عقد بالقلب وإنْ أعلن، وقال المحشي لتاريخ البغداديّ ١٣:٣٧٥ عند رأي أبي حنيفة في الإيمان: وبعد! فاعلم أنّ أبا حنيفة قال: « إن الأعمال ليست داخلة في حقيقة الإيمان، ولكنها شرايع الإيمان، وقد قال بهذا جمهور الأشاعرة، وأبو منصور الماتريديّ.

أمّا المفسر الكبير الفخر الرازيّ شيخ الأشاعرة فقال في تفسيره ١:١٦٤ إن الإيمان عبارة عن التصديق، وإحتج لما ادعاه بوجوه.

وقال المولوي الشاه عبد العزيز الدهلويّ في سفر السعادة: إن حقيقة الإيمان هو التصديق القلبي، وشرط الإقرار لصحة إجراء الأحكام في الدنيا، فمن حصل له التصديق فهو مؤمن بالله.

وقال ابن حزم في الفصل في الملل والنحل ٣:١٠٥ «إن مذهب أبي الحسن

الأشعري: أن المسلم من عرف الله بقلبه، وإن أظهر اليهودية والنصرانية، فإذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة. وقال في ٤:١٥٥ قول أبي الحسن عليّ بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابه «إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزوجل، ولي لله من أهل الجنة .

يتبين لنا من هذه التعاريف أن الإيمان هو مجرد عقد القلب مع عدم الإظهار،بل حتّىٰ لو أعلن الكفر، وعبد الأوثان ولزم اليهودية والنصرانية، فالحمد لله رب العالمين، فأبو طالب لم يظهر الكفر ولم يتخذ النصارىٰ واليهود، بل دافع ونصر بيده ولسانه وتحدىٰ قريش ورجالاتها، ألم يكف هذا؟ أم لكونه والد البحر الأطم ، ليث بني غالب، ممزق الكتائب عليّ بن أبي طالب ؟ الله أكبر كبيراً! فمالكم كيف تحكمون كبر مقتاً عندالله أنْ تقولوا ما لا تفعلون؟

ثم ما هذا التناقض من الإمام الأكبر في فقهه الأكبر، فتارة يقول :إن الإيمان هو الإذعان بالجنان، ومرة يقول: فإذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، ومرة ثالثة يقول: إن الأعمال ليست داخلة في حقيقة الإيمان، ومرة رابعة ينسىٰ كلامه هذا عندما يصل إلىٰ والدي النبي عليهم السلام ويقول ماتا علىٰ الكفر؟ ولكن نقول حقاً أن الإمام الأكبر قد نبش قبر والدي النبي عليهم السلام؛ لأنه يجوز نبش القبور، حسب الرؤية الّتي رآها بأنه ينبش قبر الرسول عليهم السلام ففسرت رؤياه بأنه ينبش علم رسول الله عليهم السلام وينشره بعد أن طمس ودرس، ولذا دخل في قبرهما ثم شق قلبهما فوجدهما ـ والعياذ بالله ـ لايؤمنان بالله ولا برسالة ابنهما؟ أو أنه أصبح منكراً ونكيراً ،وأخذ يسألهما ثم أعطىٰ نتيجة المسائلة وكتبها في فقهه الأكبر؟ ثم بعد ذلك عرج إلىٰ قبر أبي طالب وفعل مثل فعله الأول؟ ولذا حكم بكفرهم جميعاً.

أمّا تخرصات ابن حزم في الفصل في الأهواء والملل ٤:١١٣ فهي كثيرة، ولكن نقف معه وقفه قصيرة، فقد اعتبر حبّ النبي عليهم السلام لعمّه أبي طالب حباً باطلاً، ثم يقارن بين كفر فرعون وأتباعه وبين أبي طالب؟ تلك إذن قسمة ضيزىٰ؟ وكلامه باطل من وجوه:

«١» إن فرعون وقومه كانوا مشركين شركاً عبادياً لا خالقياً؛ لأنه جوز لنفسه أن يعبد، وهذا حاصل عند العرب أيضاً في زمن الجاهلية إذ جوزوا عبادة الأصنام حول الكعبة، وهذا شرك بالله .

«٢» إن فرعون ادعىٰ الربوبية بقوله لموسىٰ: «ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين» الآية ١٨ من سورة الشعراء، ولذا قال الفخر الرازيّ في التفسير ٦:٤١ إنما قال فرعون: فمن ربكما؟ ولم يقل: فمن الٰهكما؛ لأنه أثبت نفسه رباً في قوله: «ألم نربك فينا وليداً، كأنه قال له: أنا ربك، فَلِم تدعي رباً آخر؟ وهذا الكلام يشبه كلام نمرود

غيره، إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

ومن المقرّر أنّ العرب لم يُرسل إليهم رسول بعد إسماعيل، وأنّ إسماعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام[١].

فلا فرق بين من غَيَّر وَبَدَّل، وَبَين غيره، ماعدا من صح تعذيبه، فيقصر ذلك عليه؛ لأنه لا قياس في ذلك.

وقول أبي حيَّان: إن الرافِضِيَّةِ هم القائلون: إنّ آباء النبي ﷺ غير مُعذبين[٢] مستدلين بقوله تعالىٰ:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٣]، فلك رده بأن مثل أبي حيَّان[٤]

لإبراهيم عليه السلام عند قوله: «ربي الّذي يحيي ويميت»الآية ٢٥٨ من سورة البقرة. قال: «أنا أُحيي وأُميت». ثم إن فرعون كان يرىٰ نفسه شريكاً مع الله بقوله تعالىٰ: «حتّىٰ إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الّذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين »الآية ٩٠ من سورة يونس.

«٣» ثم ما وجه المقارنة بين فرعون الّذي كان يظهر الإنكار والتجبر والزور والطغيان والاستعلاء كما قال تعالىٰ: «إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً» الآية ٤ من سورة القصص .وقال تعالىٰ: «إذهبا إلىٰ فرعون إنه طغىٰ» الآية ٣٣ من سورة طه .وقال تعالىٰ: «واستكبر هو وجنوده في الأرض» الآية ٣٩ من سورة القصص. ولا نريد التعليق علىٰ هذه المقارنة، بل نسأل أصحاب الضمائر الحية والأقلام الشريفة، فهل توجد صفة واحدة من هذه الصفات عند أبي طالب؟ أم أنها مجرد أوهام وأحقاد؟

١ – دلت الأدلة علىٰ أنّ العرب لم يكونوا مخاطبين ولا مكلفين باتباعها، ولهذا وردت أحاديث في الهالك في الفترة صريحة، ولو كان المراد بالفترة ماقبل بعثه رسول في الدنيا أصلاً لاستحال وجودها، إذ ما زمان من فترة إلاّ قبلها رسول إلىٰ آدم وهو أوّل الأنبياء وليس قبل آدم بشر، والقرآن ناطق بذلك، ولذا قال السيوطيّ: والمسألة لها نظير وهي مسألة أطفال المشركين، فقد وردت رويات كثيرة الجزم بأنهم في النار وفي أحاديث قليلة أنهم في الجنة، وصححوا هذا ممن صححه النوويّ وقال إنه المذهب المختار الّذي صار إليه المحققون؛ لقوله «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولىٰ، ثم إن أحاديث كونهم في النار منسوخة بحديث خديجة « هم مع آبائهم» وقوله تعالىٰ «ولا تزرو وازرة وزر أُخرىٰ» وقال ﷺ «هم علىٰ الفطرة» وفي رواية هم في الجنة، وهذا يدل علىٰ النسخ. ومن جملة الأقوال الّتي سبق أن أشرنا إليها «هم يمتحنون في الآخرة فمن أطاع أُدخل الجنة ومن عصىٰ أُدخل النار». فأبوا النبي ﷺ أحق أنْ يكونا أوّل من يبادر إلىٰ الإيمان فيكونا من أهل الجنة.

٢ – في المصدر «مؤمنون» بدل غير معذبين.

٣ – الآية ٢١٩ من سورة الشعراء، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته ١: ٢٥، والبزار،

والطبرانيّ في مجمع الزوائد ٨٦:٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة ح١٧، تاريخ الخميس ٥٦:١، عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ:«وَتَقَلُّبَكَ في الساجدين» قال:«من نَبيّ إلىٰ نَبيّ ومن نَبيّ إلىٰ نَبِيّ حتّىٰ أخرجتُك نَبِيّاً» فسر «تقلبه في الساجدين» بتنقله في أصلاب الأنبياء. ويمكن أن يحمل علىٰ أعم منهم وهم «المصلون» الذين هم لم يزالوا في ذرية إبراهيم. ويوضحه أنه ليس في أجداد النبي عَلَيْهِ‌السَّلَامُ بكثرة، بل إسماعيل، وإبراهيم، ونوح، وشيث، وآدم، وإدريس. في قول.أنظر الفوائد الكامنة، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣٤:١، وهناك دليل علىٰ إيمان آباء النبي عَلَيْهِ‌السَّلَامُ وإيمان أبي طالب من الحديث الّذي رواه أخطب خوارزم في المناقب :٨٧ والنطنزيّ في الخصائص العلوية، وفرائد السمطين، والرياض النضرة، ورياض الفضائل، وجواهر النفائس، وتسديد القدس، والشيخ القندوزيّ في ينابيع المودة في الباب الأول قائلاً: وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن سلمان، عن النبي عَلَيْهِ‌السَّلَامُ قال:« كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزوجل، يسبح الله ذلك النور، ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم عَلَيْهِ‌السَّلَامُ أودع ذلك النور في صلبه، فلم نزل أنا وعليّ شيئاً واحداً، حتّىٰ افترقنا في صلب عبد المطلب، ففيَّ النبوة وفي عليّ الإمامة» .

وفي حديث آخر من قوله عَلَيْهِ‌السَّلَامُ : «حتّىٰ أقرنا في صلب عبدالمطلب، ثم قسمه قسمين، فأخرج قسماً في صلب أبي ـ عبدالله ـ وقسماً في صلب عمي أبي طالب...الحديث » . وهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة علىٰ أن تلك الأصلاب هي الحاملة لنور النبوة والإمامة معاً، فكيف تكون مشركة وساجدة للأصنام النجسة، والأوثان الرجسة .

قال ابن حيّان في تفسيره٤٧:٧، الطبعة الثانية، دار الفكر / للآية الشريفة «وتقلبك في الساجدين» مانصه: «وذهبت الرافضة إلىٰ أن آباء النبي عَلَيْهِ‌السَّلَامُ كانوا مؤمنين واستدلوا بقوله تعالىٰ «وتقلبك في الساجدين» قالوا فاحتمل الوجوه الّتي ذكرت، واحتمل أن يكون المراد أنه تعالىٰ نقل روحه من ساجد إلىٰ ساجد كما نقول نحن، فإذا احتمل كلّ هذه الوجوه وجب حمل الآية علىٰ الكل ضرورة؛ لأنه لا منافاة ولا رجحان، وبقوله عليه الصلاة والسّلام «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات...» وقال شيخ الإسلام محمّد الحنفيّ في هامش مختصر التذكرة :٢٢ ، طبعة دار الفكر. في رد كلام ابن حجر حول ابن حيّان «ومن المناسب هنا رد كلام ابن حجر في كلامه بان أبا حيّان يرجع إليه في النحو فقط لأن أبا حيّان له مصنفات ومؤلفات في التفسير والحديث.. كما يشير إليه تراجمة أهل السير ولعله اشتبه الإمر علىٰ ابن حجر وذهب إلىٰ أن المراد من أبي حيّان هو عليّ بن محمّد بن العباس أبو حيّان التوحيديّ للاشتراك في الكنية، فهذا أبو حيّان التوحيديّ واسمه محمّد بن يوسف بن عليّ...هذا أولاً.

وثانياً: فقول ابن حجر فنسبته إلىٰ الرافضة وحدهم ـ أي إيمان آبائه عَلَيْهِ‌السَّلَامُ ـ مع أنّ

إنما يرجع إليه في علم النحو، وما يتعلق به.

وأمّا المسائل الأُصولية: فهو عنها بمعزل. كيف والأشاعرة، ومن ذكر معهم، فيما مرّ آنفاً قائلون بذلك، علىٰ أنهم مؤمنون، ونسبة ذلك للرافِضيّة وحدهم. مع أنّ هؤلاء الذين هم أئمة أهل السُّنة، قائلون به.

قصور وأيّ قصور، وتساهل وأيّ تساهل، انتهىٰ[٥].

هؤلاء أئمة أهل السنة...بأن الرافضة كمايسميهم...قالوا بنزاهة آبائه ﷺ، مما دفع هذا بعض علماء السنة إلىٰ الطعن في الشيعة من هذه الناحية. فهذا بن كثير في سيرته ١:٢٣٨ يقول: والمقصود أنّ عبد المطلب مات علىٰ ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب...وقال البيهقيّ بعد روايته هذه الأحاديث «أي أحاديث كفر الأبوين» في كتابه دلائل النبوة: وكيف لا يكون أبوه وجده عليه الصلاة والسّلام بهذه الصفة وقد كانوا يعبدون الوثن.

٤ - هو محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الجياني الإمام أبو حيان، أثير الدين الأندلسي الشافعي، الغرناطي، الأديب، النحوي،اللغوي، المفسر، المحدث، المقرىء، المؤرخ، وقيل: ولد بمطنخشارش من أعمال غرناطه في «ت٦٥٤هـ ـ ٧٤٥هـ»، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الابذي، وابن الصائغ، وغيرهما. وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس، وأفريقيا، والاسكندرية، والقاهرة،والحجاز من نحو أربعمئة وخمسين شيخاً، منهم القطب القسطلاني، وأخذ عنه تقي الدين السبكي...وتولىٰ تدريس التفسير بالمنصورية. انظر هدية العارفين ٦:١٥٢/ مكتبة المثنىٰ بيروت، معجم المؤلفين ١٢:١٣٠ / دار إحياء التراث العربي / بيروت، والدرر الكامنة، وابن شبة في طبقات النحاة.

٥ - شرح الهمزية في مدح خير البرية :٢٢، طبعة محمّد أفندي سنة ١٣٠٩هـ.

تنبيه (حول إطلاق الكفر)

لا يجوز أطلاق الكفر علىٰ والدي النبي ﷺ، ولو مجازاً، وإنْ قلنا: إنهما من أهل الفترة، وأنه يجوز إطلاق الكفر علىٰ أهل الفترة مجازاً؛ لأنه إيذاءٌ لرسول الله ﷺ، وإيذاؤه ﷺ حرام، كما سيأتي. علىٰ أنّا سنبين أنهما ماتا موحدين، أو مؤمنين به ﷺ[1]، علىٰ أن الحافظ جلال الدين السيوطيّ [2] أنكر ثبوت إطلاق

---

١ - فحكم الأبوين الشريفين وإيمانهما، وكذا جميع أُصوله أنهم علىٰ الإيمان إلىٰ آدم وحوّاء عليهما السّلام، أمّا أبواه ﷺ فانهما قد ماتا علىٰ الملة الحنيفية دين إبراهيم مؤمنين موحدين، وأنّ حكمهم حكم من تحنف في الجاهلية، وكان علىٰ دين إبراهيم عليه السّلام وترك عبادة الاصنام، إن لم نقل بإحيائهما كرامة له ﷺ. وقد أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالىٰ «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وجنبني وبني أن نعبد الأصنام» فاستجاب اللّه لإبراهيم عليه السّلام.

ومن هذا وذاك نفهم أنّ آباء النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك، فقد ثبت في كلّ منهم أنه خير أهل زمانه، فإن كان الناس الذين هم علىٰ الفطرة هم أبويه، فهو المدعىٰ، وإنْ كانوا غيرهم وهم علىٰ الشرك لزم أحد أمرين: إمّا أنْ يكون المشرك خير من المؤمن، فهو باطل بالإجماع، وإمّا أنْ يكون غيرهم خيراً منهم فهو باطل أيضاً؛ لمخالفة الأحاديث الصحيحة، فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض في كلّ الأزمان بدليل قوله ﷺ «بعثت من خير قرون بني آدم ...» راجع المقامة السندسية :١٦، وحديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن معمر بن راشد الازدي الحراني البصري «ت ١٥٢هـ» عن ابن جرير قال: قال ابن المسيب قال عليّ : «لم يزل علىٰ وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً». فعرف من كلّ هذه الآثار أنهما لم يثبت عنهما الشرك، بل كانا علىٰ الحنيفية دين جدهما إبراهيم . راجع المقامة السّندسية في النسبة المصطفوية أو نسب النبي ﷺ لجلال الدين السيوطيّ / تحقيق وتعليق: د. محمّد زينهم عزب /دار الأمين القاهرة.

٢ - هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الإمام كمال الدين الخضيري السيوطيّ العالم المحدث المفسر، المتفنن الجامع المختصر، صاحب التصانيف المشهورة «٨٤٩هـ-

الكفر، علىٰ من لم تبلغه الدعوة في شيء من الحديث.

قال: وأنا لا أُثبته، وكفىٰ به حافظاً متضلعاً في الحديث، مطلعاً علىٰ خباياه[١] انتهىٰ.

ثم قال المصنف: اعلم أنه لم يثبت لا مِن الكتاب، ولا من السنة، ولا من الاجماع، ولا من القياس، دليل علىٰ أن الأبوين الشريفين في النار، وأنهما كافران، ولم يذكر ذلك أحدٌ من الأئمة المجتهدين المتبوعين، لا من الأربعة، ولا من غيرهم.

وليس هذا من المسائل الّتي تتعلق بالاعتقاد الواجب في الشرع، بل الواجب إعتقاد نجاتهما، كما سيأتي.

وبيان ذلك:

أمَّا من الكتاب: فواضح أنه لا دليل علىٰ ذلك، وَمن قرأ القرآن علم أنه ليس فيه أنّ أبَوَيِ النبي ﷺ في النار، لا صريحاً، ولا كناية، ولاتعريضاً، ولا منطوقاً، ولا مفهوماً، ولا إشارة، ولا رمزاً، ولا إيماءً، ولا دلالة مطابقة، ولاتضمن، ولا التزام، ولا بوجه من وجوه الدلالة، ومن ادعىٰ شيئاً من ذلك، فعليه البيان لينظر فيه، بل في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[٢] إشارة إلىٰ أمره ﷺ بالدعاء والاستغفار لهما، فإنه أوّل مخاطب بهذه الآية، وقد خصّ في هذه الآية بالخطاب، لئلا يظن أن المراد بها الأُمّة فقط، بعد أنْ عمّه بقوله تعالىٰ:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوَاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾[٣].

والمعلوم من أحواله ﷺ أنه قالها؛ لأنه ﷺ كان من عادته، إذا مَرّ بآية رحمةٍ سألها، أو آية عذابٍ استعاذ، أو آية دعاءٍ دعا، كما ثبت ذلك في الصحيح.[٤]

٩١١هـ» نشأ يتيماً له تصانيف كثيرة منها: الإتقان في علوم القرآن، المزهر في أُصول اللغة، الأشباه والنظائر في دقائق النحو وأُصوله، والهمع علىٰ الجمع في فروع النحو وأُصوله والصرف، الجامع الكبير .دفن بالمقبرة المنسوبة إليه شرقي القاهرة الجنوبي.

١ – مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ، ضمن كتاب الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٦ـ٢١٨،دار الكتب العلمية / بيروت، التعظيم والمنة ص:٧٢، مكتبة الساعي / الرياض.

٢ – الإسراء:٢٤.

٣ – الإسراء:٢٣.

٤ – صحيح مسلم ٢:١٨٦، مسند أحمد ٥:٣٨٢، سنن الدارميّ ١:٢٩٩، سنن أبي داود

نكتة جليلة:

وهي أنه أمر بالترحم لهما دون الاستغفار؛ لأن المغفرة فرع وجـود الذنب، وهو فرع التكليف، وهو فرع البعثة. كما سيأتي تفصيله. وهما قد ماتا قبل البعثة[١]، فلا تكليف، فلا ذنب ولا استغفار حقيقة .

وأُخرىٰ:

وهي أنه أتىٰ بـ «أنْ» الدالة علىٰ الشك في الوقوع، وأكدها بـ « ما» الزائـدة، لتأكيد الشّك، في قوله تعالىٰ:﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاَهُمَا﴾[٢] إشارة إلىٰ أنّ أبويه ﷺ، لم يبلغا الكبر عنده. فالآية نظير قوله تعالىٰ:﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٣]. ومن تأمل دقائق القرآن وجدها بحراً لا ساحل له .

ثم قال: ولا يقاسان علىٰ من أدرك النبوة، وبلغته الدعوة، وَمات علىٰ الكفر؛ لأن القياس لا مدخل له هنا؛ لعدم الجامع، ولا يصح الحكم علىٰ عموم أهل الفترة بالنار، كما سيأتي بأدلته. والقياس علىٰ والدِي الأنبياء يقتضي نجاتهما، فإنهم كلهم ناجون.

حكم أُمّهات الأنبياء:

أمّا أُمّهاتهم، فقد قال الحافظ السيوطيّ: اسـتقرأت أُمّـهات الأنـبياء عـليهم الصلاة والسّلام، فوجدتهن كلّهن مؤمنات، فأُمّ إسحاق [٤] وموسىٰ[٥] وعـيسىٰ[٦]

١:٣٣٢، حلية الأبرار وشعار الأخيار في تـلخيص الدعـوات والأذكـار المسـتحبة مـن اللـيل والنهار للنووي، باب ٣٧ و٣٨ و٤٠:ح ٥ / ١٠٩، تحفة الأحوذي ب ١١ ح ٢٥٩

١ - الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٢/دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ - الإسراء:٢٣.

٣ - الزمر:٦٥.

٤ - أُمّ إسحاق ﷺ «سارة» مـذكورة فـي القـرآن كـما قـال تـعالىٰ:« وامـرأتـه قـائمة فـضحكت فبشرناها بإسحاق» الآية ٧١من سورة هود.

وحوّاء أُمّ شيث (٧)، مذكورات في القرآن، بل قيل بنبوتهن (٨). ووردت الأحاديث بإيمان «هاجر» أُمّ «إسماعيل»(٩)، وأُمّ «يعقوب»، وأُمّهات أولاده، وأُمّ «داود» و «سليمان» و «زكريا» و «يحيىٰ» و «شمويل» و «شمعون» و «ذي الكفل».

ونص بعض المفسرين علىٰ إيمان أُمّ نوح (١٠) وأُمّ إبراهيم (١١)، ورجحه أبو حيّان في تفسيره(١٢).

وأخرج الحاكم في المستدرك، وصححه عن ابن عبّاس، قال: «كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومحمّد، عليهم الصلاة والسّلام»(١٣).

وبنو إسرائيل كلّهم كانوا مؤمنين، لم يكن فيهم كافر، إلىٰ أن بعث الله عيسىٰ

---

٥ – أُمّ موسىٰ وكذلك هارون مذكورة في القرآن، كما قال تعالىٰ:«وأوحينا إلىٰ أُمّ موسىٰ أنْ أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » كما فيالآية ٧ من سورة القصص.راجع قصص الأنبياء للثعلبي :١٧٣ ط السعيدية، العرائس للثعلبي:١٧٥.

٦ – أُمّ عيسىٰ عليه السلام «مريم» الصديقة كما نصَّ القرآن علىٰ ذلك في قوله تعالىٰ:« وأُمّه صديقة» الآية ٧٥ من سورة المائدة.

٧ – وهي أُمّ البشر، كما ورد ذكرها في القرآن الكريم.

٨ – أُنظر الفوائد الكامنة للسيوطي :٥٩.

٩ – قصة هاجر أُمّ إسماعيل ذكرتها التوراة بشكل تفصيلي، كما ذكرها القرآن في مواضع شتىٰ، قال تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم:«ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقني من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفىٰ علىٰ الله من شيء في الأرض ولا في السماء»، الآيتان ٣٧ـ٣٨ من سورة إبراهيم .

١٠ – لقوله تعالىٰ «رَبّ اغفر لي ولوالديّ» الآية ٢٨ من سورة نوح .

١١ – أُمّ إبراهيم «نوبا» وقيل:«أبيونا»، كما جاء في البحر لتفسير سورة إبراهيم، والّذي رجحه أبو حيان، وحكاهما ابن سعد في الطبقات من بين ولد أرفخشد بن سام بن نوح، الفوائد الكامنة :٥٩ / مكتبة الساعي .

١٢ – تفسيره المسمىٰ بالبحر المحيط ٥:٤٣٤ الطبعة الثانية / دار الفكر .

١٣ – المستدرك٢: ٦٠٠ ،الفوائد الكامنة : ٦٠، وقال الطبريّ في تفسيره ٢:١٩٥ «كان الناس أُمة واحدة، قال: آدم وقال: كان بين آدم ونوح عشرة أنبياء عليهم السلام». وقال السيوطيّ في الدر المنثور ١:٢٤٣ «كان بين آدم ونوح عشرة أنبياء».

فكفر به من كفر، فأُمّهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلّهن مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسىٰ أحد في الأشهر.

وأمّا العشرة: فقد ثبت إيمان أُمّ إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وذكر إيمان أُمّ نوح، وإبراهيم، وبقىٰ أُمّ هود، وصالح، ولوط، وشعيب، يحتاج إلىٰ نقل، أو دليل. والظاهر ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ إيمانهن[١]. انتهىٰ.

حكم آباء الأنبياء:

قال المصنف: وأمّا الآباء فآدم وعيسىٰ لا أبَ لهما.

وأمّا شيث، فأبوه آدم.

وأمّا أدريس ونوح، فقد صح عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، أنه لم يكن بين نوح وآدم[٢]، والد كافر، ولهذا قال نوح: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ

---

١ - مستدرك الحاكم ٢: ٣٧٣، «عن ابن عبّاس في قوله عزَّ وجلَّ «واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً». قال كان الأنبياء من بني إسرائيل إلاّ عشرة: نوح وصالح وهود ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمّد عليهم الصلاة والسّلام، ولم يكن من الأنبياء من له اسمان إلاّ إسرائيل وعيسىٰ فإسرائيل يعقوب وعيسىٰ المسيح .وقال هذا حديث صحيح... ولم يذكر الحاكم (بنو إسرائيل كلهم مؤمنين...الخ) ولكن السيوطيّ في الفوائد الكامنة : ٦٠ نقل نفس كلام المصنف إلىٰ «فكفر به من كفر»، ثم أضاف: فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسىٰ أحد في الأشهر. والظاهر أنه يريد بذلك عدا نبينا محمّد ﷺ، وساق الكلام عن أُمّهات الأنبياء، ونسب ذلك كله إلىٰ الحاكم.

٢ - أخرج البخاريّ في صحيحه ٤: ١٦٦، وأحمد في مسنده ٢: ٤١٧، وكنز العمال ١١: ٤٢٧، وأحمد في الزهد والحافظ أبو محمّد الحسن بن أبي طالب محمّد بن الحسن ابن عليّ البغداديّ، المعروف بالخَلاّل في «كرامات الأولياء» بسند صحيح علىٰ شرط الشيخين عن ابن عبّاس قال «ماخلتِ الأرضُ من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض». وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض، ويخرج بركتها إلاّ زمن إبراهيم فإنه كان وحده. وأخرج أحمد في الزهد عن كعب قال: «لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب». وأخرج الخلال في «كرامات الأولياء» عن زاذان قال: «ماخلت

الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً إلاّ يدفع الله بهم عن أهل الأرض».
إذاً هذه الآثار تدل علىٰ أن من ذرية إبراهيم أناساً علىٰ الفطرة يعبدون الله. وتدل أيضاً علىٰ أن أجداد النبي ﷺ كانوا علىٰ الحنيفية دين إبراهيم، ولو كانوا علىٰ الكفر فلا يخلو إمّا أن يكون الذين علىٰ الفطرة، والذين يدفع بهم غيرهم، أو لا يكون أحد كذلك. والثاني باطل؛ لأنه خلاف الوارد من هذه الآثار الصحيحة. والأول باطل أيضاً؛ لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيراً منهم، إذ لايكون كافر خيراً من مسلم. وهذا اللازم باطل لمخالفته الحديث المروي في البخاريّ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، والترمذيّ كتاب المناقب قوله ﷺ «إن الله اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفىٰ من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفىٰ من بني كنانة قريشاً، واصطفىٰ من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» فالخيرية، والاصطفاء تُشعر بالإسلام. وأخرج الحديث مسلم، باب فضل نسب النبي ﷺ ح ١: ١٧٨٢، الترمذيّ كتاب المناقب ٥: ٥٨٣، مسند أحمد ٤: ١٠٧، وأخرج البيهقيّ في دلائل النبوة ١: ١٧٤ عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلاّ جعلني الله في خيرهما، ما خرجت من بين أبَوَيّ، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتّىٰ انتهيت إلىٰ أبي وأُمّي، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وعن الزبير بن بكار في عيون الأثر لابن سيّد الناس ، ١: ٢٤، دار المعرفة قال: حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» قال أحدكم من أنفسكم لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية. قال: وكان رسول الله ﷺ «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح...» وروي مرفوعاً من حديث ابن عبّاس وعائشة أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح غير سفاح...» وفي البداية والنهاية ٢: ٢٥٥/ دار الفكر. وذكر السيوطيّ في الخصائص ١: ٦٣، طبعة دار الكتب العلمية / بيروت «جميع الروايات المتعلقة بذلك. وأُنظر الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ٦٠، طبعة دار الصادر / بيروت. وقال عبد الباسط الحنفيّ في غاية السؤول في سيره الرسول : ٢٥، طبعة دار الكتب / بيروت «إن نسب رسول الله ﷺ وشرف وكرم أشرف نسب وأفخره بين الأعراب...وقال السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢: ٢١٠، طبعة دار الكتب العلمية /بيروت « الأُولىٰ أنّ الأحاديث الصحيحة دلت علىٰ أنّ كلّ أصل من أُصول النبي ﷺ من آدم إلىٰ أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرنه وأفضلهم..قال وأخرج البخاريّ في صحيحه ٤: ١٦٦، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتّىٰ بعثت من القرن الّذي كنت فيه»، والحديث الّذي أخرجه البخاريّ في صحيحه بلفظ «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» راجع كتاب الشهادات، باب «٩» ج ٥: ٢٥٨ تحت رقم «٢٦٥١»، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب «٥٢» ج ٤: ١٩٦٣، تحت رقم «٢٥٣٣»، سنن أبي داود ج ٥: ٤٤ تحت رقم «٤٦٥٧»

مُؤْمِناً﴾[١].

وأمّا والد [٢] إبراهيم فقد قال:﴿رَبَّنَا اغْفِرْلِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٣]، وآزر كان عمَّه كما سيأتي .

لمن كان النهي؟

النهي عن الاستغفار: إنما هو لعمه آزر، لا لأبيه، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب وأولاده، وسائر أنبياء بني إسرائيل، لا يسئل عن آبائهم، فإنهم كلّهم مؤمنون. وبقي أبو هود، وصالح، ولوط، وشعيب، مبهمة حالهم، فلا يحكم بكفرهم. والرجاء في الله تعالىٰ أنهم مؤمنون، فإن الأب لا يستنكف عن كمال ابنه، بل يبوح له وَيَوَدُّ أن يكون أحسن منه، فلا يحسده، وإنما يمنع من الاتباع غالباً الحسد، وإذا

والترمذيّ في سننه ٥: ٥٠٠ تحت رقم «٢٢٢٢»، مسند أحمد ١: ٣٧٨،و٤١٧ وسنن ابن ماجة ٢: ٧٩١، وأخرج البيهقيّ في دلائل النبوة عن أنس أنّ النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلاّ جعلني الله في خيرهما، فأُخرجت من بين أبَوَي، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدنْ آدم حتّىٰ انتهيت إلىٰ أبي وأُمّي فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً» وقال محب الدين الطبريّ في ذخائر العقبىٰ : ١٠، انتشارات جهان، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله اصطفىٰ من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً، واصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفىٰ من ولد إسماعيل نزاراً، ثم اصطفىٰ من ولد نزار مضر، ثم اصطفىٰ من ولد مضر كنانة، ثم اصطفىٰ من كنانة قريشاً، ثم اصطفىٰ من قريش بني هاشم، ثم اصطفىٰ من بني هاشم بني عبد المطلب، ثم اصطفاني من بني عبد المطلب». أُنظر البخاريّ ٥: ٣٠، الإنباه علىٰ قبائل الرواة، لابن عبد البر : ٤١، مختصر تاريخ دمشق ٢: ٢٧،دلائل النبوة للبيهقي ١: ١٦٥، السيرة النبوية ١: ٢٠١، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي ١: ٢٧٥، سيرة ابن هشام ١: ١١٠ / تراث الإسلام، ابن كثير في سيرته ١: ١٩٠ / دار إحياءالتراث، وغير ذلك من الأحاديث الّتي سبق أن ذكرناها.

١ - نوح:٢٨. وبهذا يكون أجداده ﷺ من آدم إلىٰ نوح وابن نوح سام مؤمنين بنص القرآن والإجماع؛ لأنه نجا مع أبيه في السفينة، ولم ينج فيها إلاّ مؤمن، كما قال تعالىٰ «وجعلنا ذريته هم الباقين».

٢ - لا توجد في المصدر والظاهر أنها زائدة؛ لأن القائل هو إبراهيم .

٣ - إبراهيم:٤١.

ثبت إيمان والدِي الأنبياء وهو لا شك كمال للولد. والّذي نعتقده: أنّ الله تعالىٰ قد جمع كمالات الأنبياء كلّها، في محمّد ﷺ، بل واعطاه أقصىٰ مراتب الإمكان من الكمال، فلا أكمل منه في سائر الممكنات، فينبغي أن يكون الله تعالىٰ أعطاه ذلك الكمال أيضاً.«انتهىٰ» .

تنزيه آباء النبي ﷺ وأُمّهاته:

أخرج الإمام أحمد [١]، والبزار[٢]، والطبرانيّ[٣]، والحاكم[٤]، والبيهقيّ[٥]، عن العرباض بن سارية رضي الله تعالىٰ عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأُخبركم عن [٦] ذلك، أنا دعوة أبي[٧] إبراهيم، وبشرىٰ[٨] عيسىٰ، ورؤيا أُمّي آمنة [٩]، الّتي رأت»[١٠] .

١ – مسند أحمد ٤:١٢٧، والإمام أحمد بن حنبل أصله من مرو، وكان والده والي سرخس «١٦٤هـ ـ٢٤١هـ» نشأ في بغداد، وسافر في سبيل طلب العلم إلىٰ معظم البلاد الإسلامية صنف المسند (الأعلام ١:١٩٢).

٢ – هو الحافظ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ويكنىٰ «أبا بكر»، «ت ٢٩٢هـ»، وله مسندان: كبير وصغير ويسمىٰ الكبير «البحر الزاخر» و«الكبير المعلل».أُنظر الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانيّ « ت ١٣٤٥هـ» :٥١.

٣ – هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامي اللخمي، أصله من طبرية الشام وإليها نسبته، ولد بعكا، صاحب المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير، « ٢٦٠ هـ ـ٣٦٠هـ». راجع الأعلام للزركلي ٣:١٢١.

٤ – هو الحافظ الكبير أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدون نعيم الضبي الطهماني النيسابوريّ المعروف بابن البيع «ت ٤٠٥هـ» كتابه معروف بالمستدرك علىٰ الصحيحين .أُنظر المستدرك ٢:٦٠، الحلية لأبي نعيم ٤:٢٣٨.

٥ – هو أحمد بن الحسين بن عليّ، أبو بكر، منسوب إلىٰ بيهق، وهي قرية مجتمعة بنواحي نيسابور، علىٰ عشرين فرسخاً منها، وللبيهقي كتب كثيرة منها: كتاب السنن الكبرىٰ، ودلائل النبوة، «ت ٤٥٨هـ».الرسالة المستطرفة :٢٥ـ٢٦.

٦ – في الوفا بأحوال المصطفىٰ «بأول» بدل عن .

٧ – هكذا في المصدر كلمة «أبي» وهو الصحيح .بينما في المخطوط «أبو» .

٨ – في المصدر بشارة بدل بشرىٰ .

٩ – هكذا في المصدر كلمة «أُمّي»، وهو الصحيح بينما في المخطوط «أم» .

وكذلك أُمّهات الأنبياء يرين [١١].

فانظر إلىٰ قوله: وكذلك أُمّهات الأنبياء يَرَيْنَّ، يشير بذلك لما قلناه.

ويستفاد منه إيمان أُمّ هود، وصالح. ولوط، وشعيب.

دقيقاً أُنظر إلىٰ فضل آمنة، حيث قرنها النبي صلى الله عليه وآله في الأخبار بنبوته، بنبيين من أُولي العزم، إبراهيم وعيسىٰ، وعدل بشارتها ببشارتهما .

ومن فروع جمع جميع الكمالات له صلى الله عليه وآله، أنه كما ورد في أحاديث بلغت حد التواتر، لم يجتمع له قط أبوان علىٰ السفاح، إلىٰ أن خرج من بين أبويه عليهما السلام، ورد ذلك عن عليّ وابن عبّاس وعائشة ومحمّد الباقر وأبي هريرة وواثلة بن الأسقع وأنس وغيرهم [١٢].

---

١٠ - الوفا بأحوال المصطفىٰ لابن الجوزيّ :٣٦، وفي مسند أحمد ١٢٧:٤ «أنا دعوة أبي إبراهيم»، وأخرجه الطبريّ ٤٣٥:١، الحاكم في المستدرك ٢: ٦٠٠، وصححه وأقره الذهبيّ. وصححه الشيخ أحمد شاكر أيضاً، في تعليقه علىٰ «تفسير الطبريّ»والحديث بنحوه رواه الإمام أحمد في المسند ٢٦٢:٥، من حديث أبي أُمامة قال قلت: يانبي اللّه ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ، ورأتْ أُمّي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام. وروي في الخصائص الكبرىٰ مثله في ٧:١/ دار الكتب العلمية، وزاد: أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية قال لما قال إبراهيم عليه السّلام «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» قيل له قد استجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان. والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤٨:١ الطبعة الرابعة /إسماعيليان.

١١ - الحاكم في مستدركه ٤١٨:٢ و :٦٠٠، السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢٢٣:٢.

١٢ - قال ابن هشام في سيرته ١١٠:١، تراث الإسلام:«فرسول الله صلى الله عليه وآله أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمّه عليهما السلام» وقد ورد عنه عليه الصلاة والسّلام أنه قال:«ما ولدتني بغي قط، منذ كنت في صلب آدم، فلم تزل تنازعني الأُمم كابراً عن كابر، حتّىٰ خرجت في أفضل حيين في العرب، هاشم، وزهرة»، وفي السيرة لابن كثير ١٩٠:١، نقل مجموعة من الأحاديث بهذا الخصوص منها: أخبرنا ابن عيينة، عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالىٰ «لقد جاءكم رسول من انفسكم »قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية. وقال صلى الله عليه وآله :«إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»، وعن عليّ بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأُمّي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء». وقال في عيون الأثر ٢٤:١، عن ابن عبّاس وعائشة مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال:«خرجت من نكاح غير سفاح»، وفي تاريخ دمشق ٢٧:٢، ودلائل النبوة ١٦٥:١، وعن ابن سعد في

وأخرج ابن سعد،[١] وابن عساكر،[٢] عن الكلبي قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أمّ،[٣] فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية.[٤]

ثم قال: وقال الحافظ السيوطيّ وجدت بخط الشيخ كمال الدين الشمني الحنفيّ[٥] مانصه: سُئل القاضي أبوبكر بن العربي[٦] عن رجل قال: إنّ أبا النبي ﷺ في النار؟ فأجاب: بأنه ملعون؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٧]. ولا أذىً أعظم من أنْ يقال

الطبقات الكبرىٰ ١: ٦٠ / دار الصادر، وكذلك محب الدين الطبريّ في ذخائر العقبىٰ: ١٠ / عن واثلة بن الأسقع، قال: أنبأ هشام بن محمّد السائب الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أمّ. فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية.

١ - هو محمّد بن سعد الزهري، مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد بالبصرة، وعاش في بغداد «ت ٢٣٠هـ» (الأعلام ٧:٦)

٢ - تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧:٢، وابن عساكر: هو بهاء الدين القاسم بن المظفر بن محمود بن أحمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن محمّد بن عساكر الدمشقيّ «٦٢٩هـ ـ٧٢٣هـ». راجع المنهل الصافيّ ١٤٨:١.

٣ - البداية والنهاية لابن الأثير الدمشقيّ ٣١٤:٢ و٣٧٥ و٣٩٢، مجمع الزوائد ٢٢٣:٨، كنز العمال ٤١٨:١١ و٤٤٩، الدر المنثور ١٣٩:١ وج ٢١٤:٦، بحار الأنوار ٢٨٤:٣٩، وورد بلفظ «مئة» بدل خمسمئة، في كتاب المنحة الشمسيّة في فضائل خير البرية ملاّ حسن المقرحي «مخطوط» ورق «٣».

٤ - عيون الأثر ٢٤:١، ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٦٠:١، محب الدين الطبريّ في ذخائر العقبىٰ: ١٠.

٥ - هو الشيخ كمال الدين أبو عبدالله محمّد بن الحسن بن عليّ بن يحيىٰ بن محمّد بن خلف الله بن خليفة التميمي الداري المالكيّ المغربي الأصل، الشمني، بضم الشين المعجمة وتشديد النون، نسبة لمزرعة بباب قسطنطينية يقال لها شمنة، الإسكندري، نزيل القاهرة «ت ٨٢١هـ» وقد ترجمه ابن حجر في معجمه. وراجع الرسالة المستطرفة: ١٧٥.

٦ - هو الحافظ والقاضي محمّد بن عبد الله بن محمّد الإشبيلي «٤٦٨هـ ـ ٥٤٣هـ» أحد أئمة المالكية، ورحل إلىٰ المشرق وسمع من طراد الزينبي ونصر بن البطر ونصر المقدسي وأبي الحسن الخلعي، ولي قضاء إشبيلية، صنف في الحديث والفقه والأُصول وعلوم الحديث والقرآن والأدب. مات بفاس.

٧ - الأحزاب: ٥٧.

عن أبيه إنه في النار[١].

قلت: قد رأيت في مختصر تذكرة الإمام القُرطبي، للقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعرانيّ [٢] قدس الله سره العزيز، في باب الأُمور الّتي تذكر الموت قال بعض العارفين: وإذا كان أحد من الأموات،[٣] مسرفاً علىٰ نفسه، وزاره أحد لا ينصرف من قبره، حتّىٰ يشفع فيه عند الله عزَّ وجلَّ، ويجد أمارات القبول، كما زار ﷺ قبر أُمّه وأبيه، وسأل الله تعالىٰ أن يحييهما حتّىٰ يؤمنا به ففعل ذلك، لكونهما ماتا في أيام الفترة، فكان في ذلك كمالهما، وكأنهما أدركا زمن رسالته ﷺ، وآمنا به،[٤] وكذلك ذكر سلمة بن سعيد الجعفي رضي الله تعالىٰ عنه أنّ الله تعالىٰ أحيىٰ

---

١ - راجع السهيليّ في الروض الأُنف ٢:١٨٦،مكتبة ابن تيمية في القاهرة قال ـ بعد أنْ أورد حديث إن أبي وأباك في النار ـ وليس لنا أنْ تقول نحن هذا في أبويه ﷺ لقوله ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات...» وأُنظر رد حديث «إنْ أبي وأباك في النار» في كتاب الحاوي للفتاوي ٢:٢٢٦، وقد جاء ذلك رداً علىٰ حديث مسلم والنوويّ الّذي أطلق وقال: إنّ من مات كافراً في النار ولا تنفعه قرابة الآخرين، وإنّ هذه اللفظة وهي قوله «إن أبي وأباك في النار» لم يتفق علىٰ ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة بن دينار البصري «ت ١٦٧هـ» عن ثابت عن أنس، وهي الطريق الذي رواه مسلم منه وقد خالفه معمر بن ثابت، فلم يذكر أن أبي وأباك في النار، ولكن قال له «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وهذا اللفظ لا دلالة فيه علىٰ والده ﷺ بأمر ألبته، وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمراً أثبت من حماد، فإن حماداً تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها. ومن ثم لم يخرج له البخاريّ شيئاً ولا أخرج له مسلم في الأُصول من روايته عن ثابت .راجع المقامة السندسية للسيوطي.

٢ - هو القطب سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ «الشعرانيّ» المصريّ الشافعيّ الأنصاري، صاحب كتاب البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير، انتخبها من جوامع السيوطيّ مع المقاصد الحسنة، والغَمَّاز علىٰ اللَّمَّاز لجلال الدين السمهوديّ، وذكر هو في بعض كتبه أنه من ذرية محمّد بن الحنفية، «ت ٩٧٣هـ». أنظر الرسالة المستطرفة :١٥٦.

٣ - في المصدر «الموتىٰ» بدل الأموات .

٤ - المستدرك علىٰ الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوريّ ١:٣٧٥.لقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه زار أُمه فبكىٰ...ولقد صح عند أهل الكشف وبعض علماء الإسلام إن البكاء ليس علىٰ كفرها، كما زعمه من خذله الله تعالىٰ، بل علىٰ فراقها أو ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به قبل موتها، وفي الحديث دليل علىٰ جواز البكاء

للنبي ﷺ، عمّه أبا طالب وآمن به. وكراماته ﷺ، ومعجزاته أكثر من ذلك.[١]

وقد صنف شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطيّ في ذلك عدة مؤلفات[٢] وذكر اثني عشر حافظاً، من حفاظ الإسلام، كلّ منهم قائل بذلك، وهو اعتقادنا الّذي نلقىٰ الله تعالىٰ به إن شاء الله. «انتهىٰ» .

وكذلك في اليواقيت والجواهر،[٣] نقلاً عن الشيخ الأكبر سيدي مُحي الدين ابن العربي قدس سره العزيز، بعد كلام ذكره قال: وأمّا وجوب الكف عن الخوض في حكم أبَوَيِ النبي ﷺ في الآخرة، فللشيخ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ رحمه الله تعالىٰ في هذه المسألة ستة[٤] مؤلفات، وقد طالعتها كلّها فرأيتها ترجع إلىٰ أن الأدب مع رسول الله ﷺ واجب. وأنّ من آذاه فقد آذىٰ الله تعالىٰ، وقال

عند القبر...وما قيل من أنّ الله تعالىٰ قال «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» نزل في أبويه ﷺ فأثر معضل ضعيف الإسناد جداً فلا يعول عليه، والمقطوع به أنّ الآية في كفار أهل الكتاب، كسابقها ولاحقها، كما قال السيوطيّ.

١ - مختصر التذكرة للشعراني :٦،دار الفكر بيروت. وقال محب الدين الطبريّ في ذخائر العقبىٰ :٢٥٨، عن عائشة إن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عزّوجلّ، ثم رجع مسروراً، قال سألت ربي عزَّ وجلَّ فأحيا لي أُمّي فآمنت بي ثم ردها» وذكر السهيليّ في الروض الأُنف ١٨٧:٢، قال: عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ سأل ربه أنْ يحيي أبويه، فأحياهما له، وآمنا به، ثم أماتهما، مسالك الحنفا :٨٨، التعظيم والمنة :١١٨، مع مجموعة من الرسائل، ثم قال صاحب الروض الأنف: والله قادر علىٰ كلّ شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيّه عليه السّلام أهل أنْ يخصه بما شاء من فضله...ثم نقل السهيليّ ١٨٧:٢، مطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، قصة إحياء أمه ﷺ عن القرطبيّ في تذكرته، وابن الخطيب في كتاب السابق واللاحق :٣٧٧، طبعة دار طيبة الرياض ملحق رقم «٢» وابن شاهين في كتابه الناسخ والمنسوخ :٤٩٠، وابن سيّد الناس في عيون الأثر ١٣١:١، وذكر السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢٣٠:٢، وفي الفوائد الكامنة : ٥٣، وفي المقامة السندسية :٥٧٥، مؤسسة الرسالة، أيضاً إحياء الأبوين.

٢ - الفوائد الكامنة، التعظيم والمنة في أنّ أبوي المصطفىٰ ﷺ في الجنة، مسائل الحنفا في إسلام والدي المصطفىٰ ﷺ، وتنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء...الخ. أُنظر مختصر التذكرة للشعراني ص:٦،دار إحياء الفكر / بيروت .

٣ - ٥٦:٢ـ ٥٩.

٤ - تقدمت الإشارة إليها.

تعالىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾[١]. الآية في القرآن العظيم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢].

ومن طالع فيما نقله أهل السير، من كلام عبد المطلب، لما أراد نحر عبد الله في قصة حفر بئر زمزم،[٣] شهد له بالتوحيد، وصاحب التوحيد، سعيد بأي وجه كان توحيده. كما سيأتي قريباً في حكم أهل الفترات.

---

١ - الأحزاب:٥٧، وسئل القاضي أبو بكر بن العربي المالكيّ، أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي ﷺ في النار، فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون؛ لقوله تعالىٰ «إن الذين يؤذون الله ورسوله...». وهناك من توقف كالشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه «الفجر المنير» حين قال: والله أعلم بحال أبويه». وقال الباجي في شرح الموطأ: قال بعض العلماء: إنه لا يجوز أن يؤذى النبي ﷺ بفعل المباح ولا غيره، وأمّا غيره من الناس فيجوز أن يوذى بمباح وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإنْ وصل بذلك أذى إلىٰ غيره.

٢ - الإسراء:١٥.

٣ - تشير المصادر إلى أن عبدالمطلب، كان قد نذر حين لقي من قريش مالقي عند حفر زمزم، لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتّىٰ يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافىٰ بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ـ بعد حفر زمزم بنحو ثلاثين سنة ـ وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء به، فأطاعوه، ودخل بهم جوف الكعبة، وضرب بالقداح عليهم فخرج القدح علىٰ عبدالله ـ هذا ـ فأقبل به أبوه ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، ونهوه عن ذبحه حتّىٰ يعذر فيه، وقدموا به إلى عرافة بخيبر، أشارت عليهم بأن يضربوا علىٰ «عبدالله» وعشر من الإبل، فإن خرجت القداح علىٰ «عبدالله» ضربوا علىٰ الإبل وقد زيدت عشراً عشراً حتّىٰ تخرج القداح عليها، ففعلوا، وظلت القداح تخرج علىٰ عبدالله إلى أن وافت الإبل مائة، خرجت علىٰ الإبل ثلاثاً، فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولاسبع.

واستنت من يومئذ الدية في قريش مائة من الإبل.

وتشير المصادر ـ كذلك ـ إلى أن «عبدالله ـ الذبيح» مات شاباً في نحو الخامسة والعشرين من عمره بعد أن نكح «آمنة بنت وهب»، وحملت بالنبي ﷺ.

راجع: ابن هشام في السيرة ١: ١٥١ ـ ١٥٥، ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١: ٨٨ ـ ٨٩، الطبريّ في التاريخ ٢: ٢٣٩ ـ ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢: ٥ ـ ٨، الصالحيّ، سبل الهدى والرشاد ١: ٢٨٧ ـ ٢٨٩، الروض الأُنف ٢: ١٣١ـ١٣٥.

حكم الإحياء:

قال الجَلال السيوطيّ: وقد ورد في الحديث أنّ الله تعالىٰ أحيا له أبويه ﷺ حتّىٰ آمنا به، وعلىٰ ذلك جماعة من الحفاظ منهم: «الخطيب البغداديّ[١]، وأبو القاسم بن عساكر[٢]، وأبو حفص بن شاهين[٣]، والسهيليّ[٤]، والقرطبيّ، ومحب الدين الطبريّ[٥]، وناصر الدين بن المنير[٦]، وابن سيّد الناس [٧] والصفديّ[٨]، وابن ناصر الدين الدمشقيّ»[٩]، وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين [١٠].

ولفظ السهيليّ بعد إيراد حديث الحاكم، وصححه عن ابن مسعود قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ

---

١ – السابق واللاحق :٣٧٧/ طبعة دار طيبة الرياض، ملحق. وهو أبو بكر أحمد بن عليّ ابن ثابت الخطيب البغداديّ، الشافعيّ «ت٤٦٣هـ» ببغداد ودفن بباب حرب جنب قبر بِشر الحافي. أُنظر ترجمة الخطيب في الرسالة المستطرفة :٤٥.

٢ – هو حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسىٰ السهمي الجرجاني من ذرية هشام بن العاص صاحب كتاب غرائب مالك، «ت ٤٢٧هـ».

٣ – ناسخ الحديث ومنسوخه :٤٩٠.

٤ – الروض الأنف ١:١٩٤ للسهيلي «أبو القاسم، أبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، الخثعمي، السهيليّ، الأندلسيّ، المالكيّ (٥٠٨هـ ـ٥٨١ هـ) راجع ابن القفطي، إنباه الرواة ٢:١٦٢، وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣:١٤٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤:١٣٤٨، البداية والنهاية لابن كثير ١٢:٣١٨، الديباج المذهب لابن فرحون :١٥٠.

٥ – ذخائر العقبىٰ :٢٥٨.

٦ – المقتفىٰ في شرف المصطفىٰ

٧ – عيون الأثر ١:١٣١، هو فتح الدين بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد اللّه بن يحيىٰ المشهور بابن سيّد الناس اليعمري الأندلسيّ الأصل، المصريّ الشافعيّ. أحد أعلام الحفاظ «٦٧١هـ ٧٣٤هـ»له (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير). راجع المنهل الصافيّ ١:٤١.

٨ – هو إبراهيم بن أيبك بن عبد الله الصفديّ «٧٠٠هـ ـ ٧٤٢هـ» راجع المنهل الصافيّ ١:٤٠.

٩ – المقامة السندسية:٥٧٥، مؤسسة الرسالة، الحاوي للفتاوي٢:٢٣٠ / دار الكتب العلمية بيروت. قال :ان الله أحيا أبويه حتّىٰ آمنا به وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم منهم ابن شاهين و...»

١٠ – الفوائد الكامنة :٥٢.

المقام المحمود».[١]

قال: ففي هذا الحديث، تلويح بأنه ﷺ، يشفع فيهما في ذلك المقام، ليوفقا للطاعة عند الامتحان الّذي يقع يوم القيامة، كما ورد في عدة أحاديث.[٢]

قال المحب الطبريّ: والله تعالىٰ قادر علىٰ أنْ يحيي أبويه ﷺ حتّىٰ يؤمنا به ثم يموتان، ويكون ذلك مما أكرم الله به سيّد الأولين والآخرين.

وقال القرطبيّ: ليس إحياؤهما وإماتتهما له[٣] ﷺ، بممتنع عقلاً، ولا شرعاً.

فقد ورد في القرآن، أحيا قتيل بني إسرائيل حتّىٰ أخبر بقاتله[٤]. «انتهىٰ»

قلت وعلىٰ القول بصحة إحيائهمابعد موتهما، فيكون ذلك الإحياء مثل إحياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم.[٥] أي إلىٰ تكملة آجالهم، وعلىٰ ذلك فما آمن أبوا النبي ﷺ، إلاّ في زمن تكليفهما، فكأنهما آمنا به قبل أن يموتا، كما قال بعض المحققين في سجدة أهل الأعراف[٦] من أنّ ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة، ثم يدخلون بها الجنة، فلولا أنّ هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة ، مع أنها ما وقعت إلا بعد موتهم ، فيوم القيامة برزخي له وجه إلىٰ الدنيا، ووجه إلىٰ الآخرة. والله أعلم [٧].

---

١ - الروض الأُنف ٢:١٨٧، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، المقامة السندسية: ٢٥.

٢ - هذا الحديث أورده الحاكم في المستدرك ٢: ٦٠٠.

٣ - في المصدر «وإيمانهما به» بدل وإماتتهما له.

٤ - القرطبيّ في التذكرة، ١:٣١، المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط» ورق ٢٥/ب، وإذا أردت معرفة من أحياهم الله لأجله ﷺ فراجع كتاب الحجة البالغة: ٤٧٠ / الفصل الثاني. وكذلك الباب الرابع في معجزاته ﷺ المتعلقة بشفاء الأسقام والعاهات وتبديل الأخلاق والأعيان والصفات، وراجع دلائل النبوة للبيهقي فيمن أحياهم الله له ﷺ، والقاضي عياض في الشفاء عن الحسن البصري، وأبو نعيم عن أنس، وابن عدي، وابن أبي الدنيا.

٥ - نقلاً عن اليواقيت والجواهر في اعتقاد الأكابر، للشعراني الّذي هو مختصر الفتوحات المكية ٢: ٥٦ ـ ٥٩، المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط» ورق ٢٥ / ب .

٦ - الأعراف: سور بين الجنة والنار، قيل: هو جبل أُحد يوضع هناك، رُوي عن النبي ﷺ من طريق أنس وغيره، ذكره عمر ابن عبد البر، وغيره. راجع «جامع أحكام القرآن للقرطبي» والتذكرة ١: ٣٩٢.

٧ - في المخطوط «يرجىٰ»» بدل برزخي. وقال في اليواقيت والجواهر: إنّ التكليف

وكان الإمام أبو بكر بن العربي المالكيّ الفقيه المحدث[١] يقول: « ما عندي أحد أشد أذىً لرسول الله ﷺ ممن يقول: إنّ أبويه في النار»[٢].

وفي حديث مسلم « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»[٣]. فيحرم جزماً أنْ

ينقطع بالموت ما عدا أهل الأعراف، فإلىٰ أن يخروا ساجدين يوم القيامة فيرجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فلولا أنّ تكليفهم باق ما تنفعهم تلك السجدة. وأمّا وقت التكليف بها للروح فأوله من يوم «الست بربكم قالوا بلىٰ» فلولا أنّ تكليفها وعقلها موجود ذلك الوقت ما خوطبت ولا أجابت. فقد قال ﷺ «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن السيئات والحسنات. فمن رجحت حسناته علىٰ حسناته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته علىٰ حسماته مثقال صؤابة دخل النار. قيل: يارسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»، وأهل الأعراف يقال لهم مساكين أهل الجنة. وقد اختلف العلماء في تعيينهم علىٰ اثني عشر قولاً، وقد يشفع لهم الأولياء بعد النبي ﷺ كالإمام عليّ بن أبي طالب، وجعفر ذي الجناحين وحمزة والعباس. فهؤلاء يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه، ذكر ذلك الثعلبيّ عن ابن عباس، كما ورد في التذكره للقرطبي ٣٩١:١ «بتصرف»

١ - الفتوحات المكية / السفر الثاني / الباب العاشر: ٣٠٥-٣٠٧.

٢ - صحيح مسلم ١٣٣:١.

٣ - صحيح مسلم ١٣٣:١، كنز العمال ٥٤١:١٣، و٦٠٨:٣، ولكن بلفظ «بشتم» بدل بسب سنن الترمذيّ ٢٠٢:٦، تنزيه الأنبياء: ٣٩، الروض الأنف ١٨٦:٢، وقال السهيليّ يوجد حديث آخر مايصححه هو: إنّ رجلاً قال له: يارسول الله: أين أبي؟ فقال في النار. فلما ولىٰ الرجل، قال عليه السلام: إن أبي وأباك في النار. وقال العقيلي: وليس لنا أنْ نقول نحن هذا في أبويه ﷺ. لقوله ﷺ «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات. والله عزَّ وجلَّ يقول:«إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة»، وقد رواه معمر بن رشد بغير هذا اللفظ. فلم يذكر أنه قال له: إن أبي وأباك في النار، لكن ذكر أنه قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وحديث إن أبي وأباك في النار، قد رواه الطبرانيّ في الكبير ٤:ح ٣٥٥١ -٣٥٥٣ و١٨:ح٥٤٨ و٥٤٩ / دار الطباعة بغداد. وكذا أورده البيهقيّ والبزاز. وأورده السيوطيّ في تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء: ٣٩ طبعة ١ مكتبة دار العروبة للنشر / الكويت. وقال السيوطيّ في الجامع الصغير ٧٣٥:٢ ط ١ دار الفكر بيروت:« لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء» وقال الحاكم في المستدرك ٣٢٩:٣ ط دار المعرفة بيروت، عن ابن عبّاس «إنّ رجلاً ذكر أبا العباس، فنال منه فلطمه العباس فاجتمعوا فقالوا والله لتلطمن العباس كما لطمه...فإن العباس مني وأنا منه لاتسبوا أمواتنا فتأذوا به الأحياء» والسيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٣٤١:١ ط دار الكتب العلمية ذكر

يقال: إنّ أبَوَيِ النبي ﷺ في النار[1]. «انتهىٰ».

قال الشيخ جلال الدين السيوطيّ خاتمة حفاظ مصر رحمه الله تعالىٰ: وقد صرح جماعات كثيرة، بأن أبَوَيِ النبي ﷺ، لم تبلغهما الدعوة والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2]، وحُكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب، ويدخل الجنة.

قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية، في الفقه والأشاعرة في الأُصول. ونصّ علىٰ ذلك الإمام الشافعيّ رضي الله تعالىٰ عنه وتبعه علىٰ ذلك الأصحاب.

ثم قال جلال الدين السيوطيّ : ومما يوضح ذلك (أنهما لم تبلغهما الدعوة) أنهما ماتا في حداثة سنه ﷺ[3].

وصحح العلائي[4]، وغيره: أن والد رسول الله ﷺ عبد الله عاش من العمر

مثله .

١ - نقلاً عن الحاوي للفتاوي ٢:٢٣١، اليواقيت والجواهر للشعراني ٢:٥٦ - ٥٩.

٢ - الإسراء:١٥.

٣ - الفوائد الكامنة :١٦،وقال ابن كثير في السيرة النبوية ١:٢٠٥ / دار إحياء التراث العربي، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلىٰ الشام إلىٰ غزوة في عير من عيران قريش يحملونه تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة، وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال أتخلف عند أخوالي بني عديَّ بن النجار. فاقام عندهم مريضاً شهراً ومضىٰ أصحابه فقدموا مكّة، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله.... ورسول الله ﷺ يومئذ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفىٰ خمس وعشرون سنة...قال الواقديّ: هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله..وكذلك في غاية السؤول في سيرة الرسول :٢٧ ماتت أمه ﷺ في نفاسها به...ومن العلماء من قال: إنهما ـ أي والديه ﷺ ـ ماتا في زمن الفترة، وقال المسعوديّ في مروج الذهب ٢:٢٨٠ مطبعة السعادة بمصر..وكان أبوه عبدالله غائباً بأرض الشام فانصرف مريضاً، فمات بالمدينة ورسول الله ﷺ حمل...وفي السابعة توفيت أُمه .

٤ - هو صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كَيْكَلْدِي بن عبد الله، العلائي الشافعيّ، عالم ببيت المقدس «٦٩٤هـ-٧٦١هـ»، محدث فقيه أصولي. من آثاره: الأشباه والنظائر في فروع الفقه الشافعيّ، وتهذيب الأصول (مختصر جامع الأُصول لابن الأثير الجزريّ) و(برهان التيسير في عنوان التفسير)و(الدرة السنية في مولد سيّد البرية) . أُنظر شذرات الذهب

ثماني عشرة سنة[١]، ووالدته ماتت في حدود العشرين، ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب في التوحيد،[٢] على القول: بأن الله تعالىٰ لم يحيهما حتىٰ

٦:١٩٠، المعجم المختص :٩٣، الدرر الكامنة ٢:١٧٩، طبقات الشافعية للسبكي ٦:١٠٤، عمر كحالة في معجم المؤلفين.

١ – الدرة السنية في مولد سيّد البرية، لصلاح الدين العلائي، وقد أضاف العلائي «...فلو كان ـ عبد الله وآمنة وغيرهم عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم علىٰ وجهها لدثورها، وفقد من يعرفها، إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم أزيد من ثلاثة آلاف سنة. فاتضح صحة دخولهما في مسلك من لم تبلغه الدعوة.

٢ – الخصائص الكبرىٰ ١:٨٠، بل نقول: إنها ماتت موحدة، كما أخرج السهيليّ في الروض الأُنف، والحاوي للفتاوي ٢:٢٢، وأبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أمّ سماعة بنت أبي دهيم، عن أمها قالت: شهدت آمنة أمّ الرسول ﷺ وهي في علتها الّتي ماتت فيها ومحمّد ﷺ غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرة وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الّذي مِن حومة الحِمامِ
نجا بعون الملك العلام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمئة من إبل سوام ... إنْ صح ما أبصرتُ في المنام
فأنت مبعوث إلىٰ الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين إبيك البرا براهام ... فالله أنهاك عن الأصنام
أنْ لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت كلّ حي ميت * وكلّ جديد بال * وكلّ كبير يفنىٰ* وأنا ميتة وذكري باق * وقد تركت خيراً* وولدت طهراً* ثم ماتت فرحمة الله عليها* فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة ... أُمّ نبيّ الله ذي السكينة

آمنا به مع أنّ ذلك الزمان الّذي كانا فيه، كان زماناً قد عمَّ فيه الجهل والفترة «انتهىٰ».

حكم أهل الفترات:

ولنذكر لك جملة من أحوال [١] أهل الفترتين، ليدخل أبوا النبي ﷺ في أشرف أقسامهم، فنقول: وبالله التوفيق:

اعلم أن الموحد سعيد بأي وجه كان توحيده، وإنْ لم يكن مؤمناً بكتاب، ولا رسول، ويدخل الجنة.

وذلك إنّ متعلق الإيمان: أنما هو الخبر الّذي يأتي به الأنبياء عن ربهم عزَّ وجلَّ، وليس بين ظهراني أهل الفترتين كتاب، ولا رسول حتّىٰ يؤمنوا بهما. وحينئذ يصح أن يلغز بذلك. فيقال لنا: شخص مات علىٰ غير الإيمان ويدخل الجنة، مؤمن وحدَّ الله تعالىٰ بنور وجده في قلبه، وَمات علىٰ ذلك.[٢]

وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدىٰ حفرتها رهينة

فهذا القول من أمّ النبي ﷺ صريح في أنها موحدة، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها ﷺ من عند ذي الجلال والإكرام ونهيه عن الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا، فإن التوحيد هو الاعتراف بالله وإلٓهينه وأنه لاشريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها، وهذا القدر كاف في البراءة من الكفر وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة، وإنما يشترط قدر زائد علىٰ هذا بعد البعثة، ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً علىٰ العموم، فقد تحنف فيها جماعة، فلا بدع أن تكون أُمّه ﷺ منهم، إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من الكهان قرب زمنه ﷺ من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وأُمّه ﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها، وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل علىٰ التحنف ضرورة ورأت النور الّذي خرج منها أضاءت له قصور الشام. راجع السيرة لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١:٥٧.

١ – في المصدر «أحكام» بدل أحوال.

٢ – ونقل القاضي البيضاويّ قول موحد ممن يوحد ربه، نقلاً عن المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط».

أربـاً واحـداً ام ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأُمور

تركت اللات والعزىٰ جميعاً ... كذلك يفعل الرجل الخبير

وقد قسم الشيخ مُحي الدين [١] أهل الفترتين في الباب العاشر من الفتوحات إلىٰ ثلاثة عشر قسماً، وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة، ولأربعة بالشقاء، ولثلاثة بأنهم تحت المشيئة.

فأمّا السعداء: فالقسم الأول: مَن وحدّ الله تعالىٰ بنور وجده في قلبه، كقس ابن ساعدة[٢]، وزيد[٣] بن عمرو بن نفيل[٤]. فإن قِسّاً كان يقول إذا سُئل هل لهذا

---

١ - الفتوحات المكية / السفر الثاني، الباب العاشر: ٣٠٥، هو مُحي الدين أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن محمّد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسيّ المرسي، نسبة إلىٰ مُرْسِيَّة من بلاد الأندلس؛ لكونه ولد فيها، المكيّ، الدمشقيّ، «ت٦٣٨هـ» أُنظر الرسالة المستطرفة :٦٨.

٢ - هو قس بن ساعدة الأبادي، ذكره جمع من أهل السير والتواريخ، منهم ابن كثير في السيرة النبوية ١:١٤١ ـ١٥٣، وذكر أنه من أهل التوحيد، وأدرج مجموعة من أشعار منسوبة له .ونقل عن الجارود أنه قال: كان قيس يارسول الله سبطاً من أسباط العرب، عمر ستمئة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والأقفار، يضج بالتسبيح علىٰ أمثال المسيح ... وهوأول رجل تأله من العرب ووحد، وأقر وتعبّد... وله أشعار وردت في السيرة النبوية لابن كثير ١:١٤١ – ١٥٣، وهو القائل

ذكر القلب من جواه ادّكار ... وليال خلا لهنّ نهارُ
وقصور مشيدة............
وجبال شوامخ............ ....
فالذي قد ذكرت دل علىٰ الله ... نفوساً لها هدىٰ واعتبار

٣ - في المصدر واليواقيت والجواهر: سعيد بن زيد بن نفيل ولكن الاصح كما اثبتناه لأن زيد هو الّذي عاش في الفترة، والتقىٰ مع الرسول ﷺ، قبل البعثة وسعيد ابنه هو زوج أخت عمر بن الخطاب، فتامل.

٤ - هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزىٰ بن رياح بن عبد الله بن قرظ...القرشي العدوي...وقد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلا ما ذبح علىٰ اسم الله وحده...وكان يصلي إلىٰ الكعبة ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم. كما جاء في السيره النبوية لابن كثير ١:١٥٣ ـ١٦٦، وقد ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين» وكذلك عن جابر قال:سألتُ رسول الله ﷺ عن زيد بن عمر بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول: إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم ويسجد، فقال رسول الله ﷺ «يحشر ذاك أُمة وحده بيني وبين عيسىٰ بن مريم...» وذكر ابن هشام ذلك أيضاً في السيرة ١:٢٢٤، والبخاريّ في صحيحه ٧:١٤٢.

العالم إله؟ يقول: البعرة تدل علىٰ البعير، وأثر الأقدام علىٰ المسير، إلىٰ آخر ما قال.

وأمّا سعيد بن زيد، فكان يسجد ويقول: «إلٓهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، كما في صحيح البخاريّ. وكان يقول أيضاً: أني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل، من بني عبدالمطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به، وأصدقه، وأشهد أنه نبي، ومن طال به عمره ورآه مدة، فليقرئه مني السّلام».« انتهىٰ»[١]

ذكره ابن سيّد الناس في سيرته، قال الشيخ مُحي الدين، وسمي مَن وحدَّ الله تعالىٰ مثل قس [٢] صاحب دليل ممتزج بفكر، وذلك لأنه ذكر المخلوقات، واعتباره فيها، ولذلك كان يبعث أُمة وحده كماورد، لا تابعاً، ولا متبوعاً .

والقسم الثاني: مَن وحدَّ الله تعالىٰ بما تجلىٰ لقلبه من النور، الّذي لا يقدر علىٰ دفعه من غير فكر، ولا روية، ولا نظر، ولا استدلال، فهذا علىٰ نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر في كون من الأكوان، ويحشر هذا يوم القيامة، مع الأصفياء الأبرار .

والقسم الثالث: مَن أُلقي في نفسه، واطلّع في كشفه، لشدة نوره، وصفا سره، وخلوص يقينه علىٰ منزلة محمّد ﷺ، وسيادته، وعموم رسالته باطناً من زمن آدم عليه السلام، إلىٰ زمن هذا المُكاشَف، فآمن به في عالم الغيب علىٰ شهادةٍ منه، وبيّنةٍ من ربه، وهو قوله تعالىٰ:﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٣] أي شهد له في قلبه بصدق ماكوشف به، فهذا يحشر يوم القيامة في خباءين من خلقه، وفي باطنية محمّد ﷺ.

والقسم الرابع: مَن أتبع ملة حق، ممن تقدمه كمن تهود، أو تنصر، أو أتبع ملة إبراهيم، أو من كان من الأنبياء، حين علم وأُعلم، أنهم رسل الله تعالىٰ يدعون إلىٰ الله تعالى طائفة مخصوصة. فتبعهم وآمن بهم، وسلك سنتهم، فحرم علىٰ نفسه ما حرم ذلك الرسول، وتعبد نفسه بشريعته، وإن كان ذلك ليس هو بواجب عليه، إذ لم يكن

---

١ - الطبقات الكبرىٰ ١١٨:١، مجمع الزوائد ٤١٥:٩، الدلائل لابي نعيم ح ١٩٨، مستدرك الحاكم ٦٠٩:٢.

٢ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣٤:١.

٣ - هود:١٧.

ذلك الرسول مبعوثاً إليه، فهذا يحشر مع مَن اتبع ذلك النبي يوم القيامة، ويتميز في زمرته في ظاهريته، إذا كان شرع ذلك النبي، قد تقرر في الظاهر .

والقسم الخامس: مَن طالع في كتب الأنبياء، فعرف شرف محمّد ﷺ، وشرف دينه، وثواب من أتبعه فآمن به، وصدق علىٰ علم، وإن لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم، لاسيما إذا كان متخلقاً بمكارم الأخلاق، كحكيم بن حزام[١] وأضرابه. فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد ﷺ، لا في العاملين بشريعته، ولكن في ظاهرية محمّد ﷺ.

والقسم السادس : مَن آمن بنبيه الّذي أُرسل إليه، وأدرك رسالة محمّد ﷺ، وآمن به، فله أجران.[٢]

فهؤلاء ستة أقسام كلّهم سعداء عند الله تعالىٰ يوم القيامة لتوحيدهم، وإن لم يتصفوا بالإيمان.[٣]

وأمّا الأشقياء:

فقسم عطل لا عن نظر، بل عن تقليد، فذلك شقي مطلق .

وقسم أشرك لا عن استقصاء نظر، فذلك شقي.

وقسم عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء نظر وتقليد، فذلك شقي .

وقسم أشرك عن تقليد محض، فذلك شقي.[٤]

وأمّا مَن هو تحت المشيئة:

فقسم عطل، فلم يقر بوجود عن نظر قاصر، ذلك القصور بالنظر إليه لضعف

---

١ - هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أُسد بن عبد العزّىٰ، بن أخي خديجة أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح، توفي بالمدينة. راجع تهذيب التهذيب ٢:٤٤٧، الإصابة ٢:٣٤٩.

٢ - قال القاضي البيضاويّ في قوله تعالىٰ «والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك» هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه معطوف علىٰ الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين. ففي عد هؤلاء من أهل الفترة تسامح. راجع كتاب المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط» ورق «٩»أ

٣ - القسم السادس متصف بالإيمان كما لا يخفىٰ كيف، والآية المذكورة مصرحة بذلك. والله تعالىٰ أُعلم.

٤ - وفي عد هذا قسماً برأسه تأمل.

في مزاجه عن قوة غيره، فهو تحت المشيئة .

وقسم أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق، مع بذل المجهود الّذي يعطيه قوته، فذلك تحت المشيئة .

وقسم آخر عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصىٰ القوة الّتي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه، فهو تحت المشيئة [١].

فهذه أقسام الفترات، بين إدريس ونوح، وبين عيسىٰ ومحمّد عليهما السلام.

فإياك أن تحكم علىٰ أهل الفترات كلّهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل، فتخطىء طريق الصواب، فرحم الله تعالىٰ الشيخ مُحي الدين ماكان أوسع أطلاعه! فإنّ هذا التقسيم لم نجده لغيره، والله تعالىٰ أعلم، انتهت عبارة اليواقيت[٢].

ثم رأيت في حاشية خاتمة المحققين شيخ مشايخنا الشيخ عليّ الشبراملسيّ[٣] عليّ الرمليّ في باب الجنائز مانصه: قال العلاّمة شهاب الدين الرمليّ[٤] رحمه الله تعالىٰ في مولده، مانصه: كثر الاختلاف عند الناس في أبويه عليهما السلام، هل هما مؤمنان في الجنة، أو لا؟

والّذي عليه جماعة: محققون، محدثون، جامعون بين المعقول والمنقول: أنهما ناجيان «انتهىٰ».[٥]

---

١ – الفتوحات المكية، السفر الثاني، الباب العاشر: ٣٠٥ ـ ٣٠٧.

٢ – اليواقيت والجواهر ٢: ٥٦ ـ ٥٩، للشعراني، وهذا التقسيم ينافيه ما ذكره السيوطيّ في رسالة له من أن أهل الفتره المختار فيهم أنهم جميعهم معذورون داخلون تحت آية «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» سواء غير وبدل ومن لم يبدل ولم يغير ومن أشرك أو عطل لعموم الآية من غير مخصص إلا من ورد النص بتعذيبه وعدم إيمانه.

٣ – نورالدين عليّ بن عليّ الشَّبْرامَلِّسي، «نسبة الىٰ شبرا كسكرىٰ مضافة الىٰ ملس، بفتح الميم وشد اللام المكسورة مركبة تركيب مزج قرية بمصر»، القاهري الأزهريّ الشافعيّ، «ت ١٠٨٧ هـ». أُنظر الرسالة المستطرفة: ١٦٣

٤ – هو شمس الدين محمّد بن أحمد بن حمزة الرَّملي المنُوفي المصريّ الأنصاري الشافعيّ الصغير «ت ١٠٠٤هـ» فقيه مشارك في بعض العلوم، أُصولي، من آثاره: نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج للنووي، فتاوىٰ شمس الدين الرمليّ / له ترجمة في خلاصة الأثر ٣: ٣٤٢ ـ ٣٤٨، الفتح المبين ٣: ٨٤.

٥ – حاشية الشيخ عليّ الشبراملسيّ علىٰ نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج ٣: ٢٣، للعلامة

وكتب العلاّمة ابن قاسم علىٰ قوله:«ناجيان»، لا شك في ذلك، وأنّ لهما من فراديس الجنان غاية التنعيم، ومزيد التكريم.

قال الشبراملسيّ أقول: مَن لم يقل بما قاله ابن قاسم والجماعة، فهو من المسيئين الأدب في حق سيّد المؤدبين والعالمين، فالذي أمتلأ قلبه بحبه، يجب عليه اعتقاداً، أنه ﷺ، لا يؤذىٰ في أبويه، فَلَئِنْ عُذِّبا فَأنَا عَنْهُما فداءٌ كلاً، بل هما في أعلا عليين مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين. وهذا إن شاء الله تعالىٰ يقين. كيف وأشرف الخلق بضعتهما، وقد حصل لهما بذلك مزيد الافتخار، فنعوذ بالله من سوء فكر، أو حكم يؤول بصاحبه إلىٰ النار، والله الموفق .

ما الحكم قبل ورود الشرع؟

قال ابن حجر[١] في مولده: اعلم أن الّذي قرره وأطبق عليه الأئمة الأشاعرة الشافعية وغيرهم، من أئمة الأُصول، والنقل، والفقه، أنه لا حكم قبل ورود الشرع. وأنَّ تحكيم المعتزلة العقل باطل، وكذا قول بعض: إن الإيمان وحده يجب بالعقل؛ لأن أدلته بلغت من الشهرة مبلغاً لا يخفىٰ علىٰ أحد، وليس كما زعموا؛ لأنهم إنْ أرادوا فرض ذلك بعد ورود الفرع، فإن كان الشرع بَلَّغَهُ فلا كلام فيه؛ لأنا لا نمنع أن الدليل العقلي يؤيد الدليل الشرعي، وإنْ كان لم يُبلِّغه، فأيُّ دليل يدل علىٰ الإيمان بخصوص ذلك الشرع.

فإن أرادوا فرضه قبل ورود الشرع: فقد قامت الأدلة المقرّرة في الأُصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع، ومن جملتها قوله تعالىٰ:﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

شهاب الدين الرمليّ «الشافعيّ الصغير» قال:«قوله لاستغفر لأُمي فلم يأذن لي» ألموتها علىٰ الكفر. ولا يقال: هي ماتت زمن الجاهلية ولا شريعة، ثم تخاطب بها؛ لأنا نقول: شريعة عيسىٰ كانت باقية، إذ لم تنسخ إلا ببعثته عليه الصلاة والسلام، هذا وقد صح أن أبويه أُحييا وآمنا به معجزة له ﷺ . وعليه فلعل عدم الاذن كان قبل ذلك .

١ – شرح الهمزية لابن حجر :٢٢، مطبعة محمّد أفندي سنة ١٣٠٩ هـ «بالمضمون لا بالنص».

رَسُولاً﴾[١]، معناه لا عذاب علىٰ أحد في شيء فعله إلا بعد أنْ تبلغه دعوة نبي له ولم يؤمن به.

وإذا تقررت هذه القاعدة الّتي مهدها الأشاعرة، والآية ظاهرة، أو صريحة فيه.

اعلم أن الحق الواضح الجلي الّذي لا غبار عليه: أنّ أَبَوَيِ النبي ﷺ، ناجيان لا عقاب عليهما، وكذا أهل الفترة[٢] جميعهم. وهم مَن لم يُرسل إليهم رسول يبلغهم الإيمان به، فلا يرد من كان في زمن عيسىٰ ﷺ، ومن قبله من العرب؛ لأنهم ـ أعني بني إسرائيل ـ لم يرسلوا إلىٰ العرب. فالعرب في زمن اوّلئك أهل الفترة، كما أنّ الصحيح أنَّ أحداً غير نبينا ﷺ، لم يرسل إلىٰ الجن وإنما كان إيمان فرقة من الجن بموسىٰ ﷺ، تبرعاً منهم، كما أنّ تنصر أو تهود بعض العرب تَبَرع منهم، فهم مع ذلك باقون علىٰ كونهم من أهل الفترة؛ لأن أُولئك الرُسل لم يؤمروا بدعائهم إلىٰ الله تعالىٰ وتكليفهم بالإيمان، فلزم بقاؤهم علىٰ الفترة، وقد تقرر في أهلها أنهم لا عذاب عليهم. نعم، مَن ورد فيه حديث صحيح، من أهل الفترة، بأنه من أهل النار فإنْ أمكن تأويله فذلك؛ وإلا، لزمنا أنْ نؤمن بهذا الفرد بخصوصه، ونحيل الأمر فيه علىٰ أمرٍ عَلِمَهُ الله تعالىٰ منه، عذبه به.

فتأمل هذا الّذي قررته ووضحته، لتستريح من اختلافات مبنية علىٰ مجرد الظواهر من غير تحقيق للمأخذ، ولا تمهيد للقواعد، ومَن سلك في الأدلة مسلك القول بمجرد الظواهر، ولم ينظر لما قرره الأئمة أتعب نفسه، بل ربما وقع في ورطة، ومنع استدراكها «انتهىٰ».باختصار[٣].

---

١ – الإسراء:١٥.

٢ – تقدم الكلام عن أهل الفترة، وراجع شرح الهمزية : ٢٠ ـ ٢٢، الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٦ ـ ٢١٨، مسند أحمد ٤: ٢٤ مجمع الزوائد ٧:٢١٦.

٣ – شرح الهمزية :٢٢.

سؤالٌ وجوابٌ؟

وقفت علىٰ صورة فتوىٰ رفعت لشيخ الإسلام العلاّمة محمّد بن العجميّ[١] رحمه الله تعالىٰ صورتها: مايقول سيّدنا ومولانا، شيخ الإسلام فيما ذُكر عن بعض العلماء في باب مايتعلق بأهل النار، إنّ النبي ﷺ لما اطلع علىٰ النار ليلة الأسراء، رأىٰ والده ووالدته فيها فلم يعرفهما، فسأل مالكاً عنهما، ثلاث مرات فلم يجبه، وقال: إني أستحيي منك يارسول الله، ثم قال: له سلهما من أنتما؟ فأجابتهُ والدته: أنا أُمّك آمنة، وهذا أبوك عبد الله، ثم قالا له: قد وهب الله لك، مائة ألف عاص من أُمتك، ونحن محرومان، فجاء الندا من قبل الله تعالىٰ: أنت مخير بين أمرين:

إمّا أن تقبل شفاعتك في أُمّك وأبيك، أو في أُمّتك، فاختار شفاعته في أُمّته، وفوض أمر أُمّه وأبيه إلىٰ الله تعالىٰ صحيح أو لا؟.

فأجاب رحمه الله تعالىٰ: الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيّدنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، هذا كلام باطل، لا أصل له البته، ولا رواه أحد أئمة الحديث مطلقاً، فنسبة هذا اللفظ إلىٰ النبي ﷺ كذب عليه، وعلىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ ملائكته، والناس أجمعين، لا تحل روايته، إلا مقروناً ببيان أنه من البهتان.

قال الإمام أبو بكر بن العربي من قال: إنّ آباء النبي ﷺ، أو أحدٌ منهم في النار، فهو ملعون لقوله تعالىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٢].

ولا أذىٰ أعظم من أنْ يقال عن أبيه: إنه في النار،[٣] وقد ورد من عدة طرق أعتمد عليها الجَلال السيوطيّ، وحافظ الشام بن ناصر، وغيرهما من المتقدمين

---

١ - هو الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمّد الحلبيّ سبط بن العجمي«ت٧٥٣هـ ٨٤١هـ» الّذي شرح كتاب الشّفا وسماه (المقتفىٰ في حل ألفاظ الشّفَا)، قرأ الحديث علىٰ الشيخ كمال الدين عمر بن العجمي، والمحدث شرف الدين الحسين بن عمر بن حبيب، وعلىٰ القاضي كمال الدين عمر المعري وعلىٰ الظهير بن العجمي. راجع المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردىٰ الأتابكيّ ١: ١٣١.

٢ - الأحزاب:٥٧.

٣ - أحكام القرآن ٣: ٥٨٠، المقامة السندسية :٤٦.

والمتأخرين، إن الله تعالىٰ أحياهما له، وآمنا به، ونفعهما إيمانهما، معجزة وخصوصية له ﷺ(١)، ولم يثبت عنهما، بل ولا عن أحد من آبائه من آدم إلىٰ عبد الله، ما مِن أحد منهم كان يعبد الأصنام(٢)، إلاّ ماثبت في آزر بناءً علىٰ أنه أبو

---

١ - تقدمت الأخبار والأحاديث الدالة علىٰ الإحياء، ومن المناسب أنْ تنقل هنا لطيفة نقلها الشيخ سليمان البيجرمي ٢٤٩:٢ «حكىٰ أن شخصاً نزل هو ومحبوبه يسبحان في البحر فغرق محبوبه فأشار إلىٰ البحر وانشد شعراً

ياماء مالك قد أتيت بضد ما	قد قيل فيك مخبراً بعجيب
الله أخبر أن فيك حياتنا	فلأي شيء مات فيك حبيبي

فلما قال ذلك أحياه الله تعالىٰ وطلع له من البحر. فإذا كان هذا حاصل ـ كما تقولون وتنقلون هذه الكرامات للناس العاديين ـ فمن باب الأولوية ـ كما عند أهل الفن والأصول ـ أنْ الله يحيي والدي الرسول الأعظم ﷺ وعمّه أباطالب كرامة له ﷺ».

٢ - راجع نزاهة آبائه ﷺ :٩، وكذلك رسالة الشيخ الصدوق في الاعتقادات، وكنز الفوائد للمحقق الكراجكيّ :١١٠، البحار للعلامة المجلسيّ ٤٠:١٥، وقد ثبت من خلال الآثار أنّ أجداده ﷺ كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلىٰ زمن نمرود، وفي زمنه كان إبراهيم وآزر فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنىٰ من سلسلة النسب، وإن كان عمّه فلا استثناء في هذا القول ـ أعني أن آباءه مؤمنين بيقين ـ كما روي عن جماعة من السلف، وينتصر لهذا المسلك آيات وآثار في ذرية إبراهيم وعقبه.

قوله تعالىٰ:«وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الّذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه» فقد أخرج عبد بن حميد في تفسيره (وجعلها كلمة باقية) قال: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد (وجعلها كلمة باقية) قال: لا إله إلا الله. ومثل ذلك عن قتادة، وأضاف: والتوحيد لا يزال في ذرية من يقولها بعده. وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وجعلها كلمة باقية) قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده. وأخرج ابن المنذر عندما قال ابن جريج في الآية: في عقب إبراهيم، فلم يزل بعد ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله. قال آخر فلم يزل ناس من ذريته علىٰ الفطرة يعبدون الله حتىٰ تقوم الساعة.

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال: العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور. وأخرج عن عطاء قال: العقب ولده وعصبته. وقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالىٰ «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي» قال: فلن تزال ذرية إبراهيم ناس علىٰ الفترة يعبدون الله تعالىٰ.

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن عليّ قالت سارة: لما بشرتها الملائكة «ياويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب» فقالت الملائكة ترد

إبراهيم عليه الصلاة والسّلام.

وقد رجح بعض الأئمة أنه كان عمّه لا أباه.[١] وثبت أنّ أهون أهل النار عذاباً أبو طالب[٢]، فلو كان الأبوان في النار لكانا أهون عذاباً من أبي طالب،

على سارة «أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» قال هو قوله تعالىٰ (وجعلها كلمة باقية في عقبه) فمحمّد وآله من عقب إبراهيم داخل في ذلك. راجع المقامة السندسية للسيوطي.

١ - قال ابن حجر في شرح الهمزية: ٢١، مانصه «ولا يرد علىٰ الناظم ـ أي البوصيريّ ـ آزر فانه كافر مع أن الله تعالىٰ ذكر في كتابه العزيز أنه أبو إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لأن أهل الكتابين أجمعوا علىٰ أنه لم يكن آباه حقيقة وإنما كان عمه، والعرب تسمي العم أباً، بل في القرآن ذلك قال تعالىٰ «وآله آبائك إبراهيم وإسماعيل» مع أنه عم يعقوب. وقد أخرج عن محمّد بن كعب القرطبيّ قال الخال والد، والعم والد وتلا هذه الآية. وقال السيوطيّ عن سليمان بن صرد قال لما أرادوا أنْ يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتّىٰ أنْ كانت العجوز لتجمع الحطب فلما أرادوا أن يلقوه في النار، قال حسبي الله ونعم الوكيل فلما ألقوه قال الله تعالىٰ يانار كوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم فقال عم إبراهيم من أجلي دفع عنه، فارسل الله تعالىٰ عليه شرارة من النار فوقعت علىٰ قدمه فأحرقته، فقد صرح في هذا الأثر بعم إبراهيم، ثم إنه هلك في أيام القاء إبراهيم في النار، وقد أخبر الله تعالىٰ في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو الله، ثم لما مات تبرأ منه ثم هاجر إبراهيم عقب واقعة النار إلىٰ الشام ... فيستنبط من ذلك أنّ المذكور في القرآن بالكفر والتبرؤ منه ومن الاستغفار له هو عمّه لا أبوه الحقيقي، وقد استغفر لأبيه الحقيقي في هذه الآية بعد هلاك عمّه الكافر بزمان طويل. ثم إن بين هجرته من بابل عقب واقعة النار وبين الدعوة الّتي دعاها بمكّة بضعاً وخمسين سنة، ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل.

٢ - لا ندري كيف يكون ذلك الاستثناء، وقد ظهر من اتفاق الفريقين أنّ آباء النبي ﷺ والولي من لدن آدم عليه السلام إلىٰ عبد الله كانوا مسلمين، فكيف يكون إلا كان أبو طالب مسلماً عند بعضٍ من الكتاب؛ لاننا نعلم أن المسلمين علىٰ ثلاثة أقسام حقيقي وتحقيقي وتقليدي:

فأما الحقيقي: فهم المسلمون الذين جعلهم الله تعالىٰ مسلمين داعين إلىٰ الإسلام فطرة ـ فهم كانوا أنبياء.

وأمّا التحقيقي: فهم المسلمون الذين جعلهم الله تعالىٰ مدعوين إلىٰ الإسلام فطرة، فلما قبلوا دعوة الإسلام صاروا مسلمين فهم غير الأنبياء، جعلهم الله مدعوين إلىٰ الإسلام.

وأمّا التقليدي: فهم المسلمون الذين صاروا مسلمين لتقليد آبائهم المسلمين حقيقياً

وأحق بذلك منه. والّذي نَدِينُ الله تعالىٰ به: أنهما من الناجين والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

وقال الشرف البوصيريّ في همزيته:[١]

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... رلك الأُمهات والأباءُ

مامضت فترة من الرسل إلا ... بشرت قومها بك الأنبياء

تتباهىٰ بك العصور وتسمو ... بك علياء من[٢] بعدها علياء

وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء

حبذا عقد سؤددٍ وفخارٍ ... أنت فيه اليتيمة العصماء

فهنيئاً به لآمنة الفضـ ... ـلُ الّذي شرفت به حوّاءُ

مَن لحواءُ أنها حملت أحـ ... ـمَدَ أو أنها به نفساء

يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخارٍ مالم تنله النساء

وأتت قومها بأفضل مما ... حملت قبلُ مريمُ العذراءُ[٣]

كانوا أم تحقيقياً. فظهر أنّ آباء النبي ﷺ والولي كانوا مسلمين حقيقياً.

١ - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن محمّد بن إسماعيل بن سليم بن قيماز بن عثمان بن عمر بن طلحة الكناني البوصيريّ الشافعيّ، نزيل القاهرة «ت ٨٤٠هـ». راجع الرسالة المستطرفة: ١٣٩.

٢ - لا توجد في المصدر كلمة «من»

٣ - ديوان البوصيريّ: ٢ ـ ٣، مطبعة مصطفىٰ البابيّ الحلبيّ وأولاده / بمصر.

تنبيه علىٰ ما ورد في الشعر

قال المصنف: أُنظر إلىٰ قوله: حبذا عقد سؤددٍ «البيت»، فإن فيه نكتة جليلة، لم أرَ مَن نبَّه عليها، مِن شُراح القصيدة ولا من غيرهم، وذلك: أن العِقد لا بد أن يكون واسطة وأفراداً، وأنْ يكون من جانبي الواسطة كلّ جوهرتين متقابلتين، وكلما قرب من الواسطة كان أفخر في العِقد.

وقد روىٰ بن أبي حاتم في تفسيره عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: بين النبي ﷺ، وبين آدم تسعة وأربعون أباً[1]، فيكون آدم تمام الخمسين وهو ﷺ، الحادي والخمسين، ومن الأُمّهات مثل الآباء، فإذا جعلنا الآباء أحدها بُني العِقد، والأُمّهات في الجانب الآخر، يكون هو ﷺ الواسطة اليتيمة العصماء، والأنبياء في عمود، نسبه فواضل العِقد فاستفيد أن الآباء الكرام غير الأنبياء، وكلما دنوا منه ﷺ كانوا أشرف وأفخر، فعبد الله، أشرف من عبد المطلب، وهو أشرف من هاشم، وهو أشرف من عبد مناف، وهكذا إلىٰ آخره .

تنبيه آخر

قال الحافظ جَلال الدين السيوطيّ نور الله تعالىٰ ضريحه بالرحمة «ناظماً غالب ما تقدم هذه الأبيات »[2]:

إن الّذي بعث النبي محمّداً	أنجىٰ به الثقلين مما يجحفُ
ولأُمّه وأبيه حكم شائع	أبداه أهل العلم فيما صنفّوا
والحكم في مَن لم تنجه دعوة	أنْ لا عذاب عليه حكم يؤلف
فبذاك قال الشافعية كلّهم	والأشعرية مابهم متوقف
فجماعة أجروهما مجرىٰ الّذي	لم يأته خبر الدعاء المسعف

---

١ – الحاوي للفتاوي ٢: ٢٢٢ / دار الكتب العلمية بيروت. قال: قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي ... عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً.

٢ – مسالك الحنفا :٨٩ـ ٩١، تحقيق: د. محمّد زينهم محمّد عزب .

وبسورة الإسراء فيها[1] حجة   وبنحو ذا في الذكر آيٌ تعرف

ولبعض أهل الفقه في تعليله   معنىٰ أرق من النسيم وألطف

ونحا الإمام الفخر رازي الورىٰ   معين[2] به للسامعين تشنف

إذ هم علىٰ الفطر الّذي ولدوا ولم   يظهر عناد منهم وتخلف

قال الأُلىٰ ولدوا النبي المصطفىٰ[3]   كلّ علىٰ التوحيد، إذ يتحنف

من آدم لأبيه عبدالله ما   فيهم أخو شرك ولا مستنكف

فالمشركون كما بسورة توبة   نجس، وكلّهم بطهر يوصف

وبسورة الشعراء فيه تقلب   في الساجدين فكلّهم متحنف

هذا كلام الشيخ فخر الدين في   اسراره هطلت عليه الذرف

فجزاه رب العرش خير جزائه   وحباه جنات النعيم تزخرف

فلقد تَدَيّن في زمان الجاهلية   فرقة دين الهدىٰ وتحنفوا

زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا   الصديق ماشرك عليهم يعكف

قد فسر السبكيّ[4] بذاك مقالة   للأشعري وما سواه مزيف

إن لم يكن عين الرضا منه علىٰ   الصديق وهو بطول عمر أحنف

عادت عليه صحبة الهادي، فما   في الجاهلية للضلالة يعرف

فلأُمه وأبوه أحرىٰ بالرضا[5]   فرأت[6] من الآيات مالا يوصف

وجماعة ذهبوا إلىٰ إحيائه   أبويه حتّىٰ آمنا وتشرفوا[7]

---

١ – في مسالك الحنفا«فيه» بدل فيها .

٢ – في المساك «منحا» بدل معين .

٣ – في المخطوط «محمّداً» بدل المصطفىٰ.

٤ – هو تقي الدين أبو الحسن عليّ بن عبد الكافيّ بن سليم الأنصاري شيخ الإسلام، ولد بسبك من أعمال المنوفية (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ)، له من المصنفات «الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم»، «رفع الشقاق في مسألة الطلاق»، وغيرهما.

٥ – في المسالك «سيما» بدل بالرضا.

٦ – في المسالك «دارت» بدل فرأت .

٧ – في المسالك «ولا خوفوا» بدل وتشرفوا.

وروىٰ ابن شاهين [١] حديثاً مسنداً في ذاك لكن الحديث مضعف
هـذي مسالك لو تفرد بعضها لكفىٰ فكيف بها إذا تتألف
يحسب من لا يرتضيها صمته[٢] أدباً، ولكن أين هو من[٣] منصف
صلىٰ الإله علىٰ النبي محمّد ماجدد الدين الحنيف محنف [٤]

إشكالٌ وردٌّ ؟

قال المصنف: والعجب من مُلاّ عليّ القاريّ الهرويّ، من متأخري الحنفية، أنه شرح الفقه الأكبر، ظناً منه أنه للإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالىٰ عنه[٥] وإنما الّذي شرح عليه نسخة أُخرىٰ تسمىٰ بالفقه الأكبر، لأبي حنيفة محمّد بن يوسف البخاريّ،[٦] فيها ومابُني عليه قوله: من كفر الأبوين الشريفين كما ذكر ذلك العلاّمة ابن حجر في فتاويه، فقد صح أنّ النسخة الّتي شرح عليها الهرويّ ليست لأبي حنيفة رضي الله عنه، غايته أنما نشأ الاشتباه من اشتراك تأليفين في الاسم واشتراك المؤلفين في الكُنية، ولم يظفر مُلاّ عليّ إلا بنسخة واحدة، فظن أنها هي الّتي للإمام فشرحها، وقد تعدىٰ فيه طوره في الإساءة في حق الأبوين الشريفين.

ثم إنه ماكفاه ذلك حتّىٰ ألّف فيه رسالة. وقال في « شرحه علىٰ الشفا» متبجحاً مفتخراً بذلك: إني ألفت رسالة في كفرهما. فليته إذ لم يراع الأدب في حق

---

١ – عمر بن أحمد بن شاهين البغداديّ «ت ٣٨٥ هـ» واعظ علامة، من حفاظ الحديث، له نحو من ثلاثمئة مصنف منها «ناسخ الحديث ومنسوخه» ،كما جاء في الأعلام ٥:١٩٦، الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانيّ «ت ١٣٤٥هـ»، والمنهل الصافيّ ١:١٠٩.

٢ – في المخطوط «نصحه» بدل صمته .

٣ – في المساك «من هو» بدل «هو من»، و هو الصحيح.

٤ – الفوائد الكامنة :١٩ مكتبة الساعي، الحاوي للفتاوي ٢:٢٣٢ / دار الكتب العلمية

٥ – هو النعمان بن ثابت. من موالي «تيم الله بن ثعلبة»، وكان خزازاً بـ«الكوفة»، مات في بغداد سنة ١٥٠هـ وهو يومئذ ابن سبعين سنة، ودفن في مقابر الخيزران. راجع المعارف ٤٩٥:.

٦ – لم أعثر علىٰ هذه النسخة الّتي نسبها ابن حجر لأبي حنيفة محمّد بن يوسف البخاريّ.

رسول الله ﷺ، حيث آذاه بذلك، كان استحيا من ذكر ذلك في « شرح الشفا» الموضوع لبيان شرف المصطفىٰ ﷺ».[١] وقد سلط الله عليه بعض معاصريه وهو الإمام عبد القادر الطبريّ فألف في الرد عليه رسالة [٢]، أغلظ عليه فيها، وشنع عليه تشنيعاً بليغاً، وسنذكر بعض كلامه ونرد عليه في محله، قال الإمام عبدالقادر المذكور في آخر رسالته.

ومن غريب الاتفاق أنني تصديت للرد عليه، وعقدت مجالس درس، بالمسجد الحرام في بعض ليالي شهر ربيع الأوّل للتكلم علىٰ أحكام المولد الشريف وصرحت بالرد في تلك المجالس، لأن يظهر نفسه للمناظرة في الجم الغفير رأيته في المنام، كأنه ساكن بالمحل المسمىٰ بقصر الغوري،[٣] بباب إبراهيم وكأني صعدت إليه للتكلم معه فرأيت المحل علىٰ خلاف ماكنت أعهده في اليقظة، كأن درجه من حديد شُبك علىٰ صفة مقام، سيّدنا إبراهيم صلىٰ الله علىٰ نبينا وعليه وسلم وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين، فصرت أدخل في كلّ مقعد لأُفتش عنه فَلَمْ أجده فيه، حتّىٰ صعدت إلىٰ أعلا المحل، فوجدته فكأني ضربته، ودفعته بيدي فإذا هو ساقط من شاهق القصر، فاستيقظت فأُخبرت في الصباح، بأنه متوعك من سقطة وقعت له، فما عاش بعد ذلك إلاّ يسيراً ومات. «انتهىٰ» .

قال المصنف: قال ابن سعد في الطبقات: أُنبَأنا عفان بن مسلم، عن عمار بن

---

١ – شرح الشفا من نجاة أبَوَيِ المصطفىٰ ١:٦٠١ و ٦٤٨، ط استانبول . خلاصة الأثر ٣:١٨٦.

٢ – للشيخ رسائل متعددة، منها: تفصيل المقالة في التفصيل بين النبوة والرسالة. ومنها هذه الرسالة المذكرة، أُنظر هذه الرسائل في مختصر نشر النور ١:٢٢٤.
مع العلم أن الشيخ محمّد المرعشيّ المعروف بـ«ساجاقلي زاده» قد ألّف رسالة سماها «الفرح والسرور» والّتي انتهىٰ فيها إلىٰ أن والدي رسول الله ﷺ في الجنة. وجاءت هذه الرسالة رداً علىٰ الملا عليّ القاريّ. وتوجد من هذه الرسالة نسخة خطية في مكتبة يوسف آغا في قونيا تحت رقم «٥٩٩٥».

٣ – نسبة إلىٰ شهاب الدين الغُوري سلطان غزنة، والغُوري نسبة إلىٰ الغُور بضم الغين، وهي بلاد في الجبال بخراسان، قريبة من هراة، وفي التاج ٣:٤٥٩، الغُور ناحية متسعة بالعجم وإليها نسب السلطان شهاب الدين الغُوري وآل بيته ملوك الهند ورؤساؤها. أُنظر الأعلام ٦:٢٣، الحاشية رقم «١».

سلمة، عن ثابت، عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث،[١] قال: «العباس يارسول الله ترجو لأبي طالب خيراً؟ قال: كلّ الخير أرجوه من ربيّ»[٢].

فإذا كان هذا رجاؤه لأبي طالب مع كونه أدرك البعثة، فلأبويه أولىٰ. «انتهىٰ».

قال الحافظ بن ناصر الدمشقيّ في كتابه مورد الصادي في مولد الهادي، بعد أنْ أورد حديث إحياء الأبوين الشريفين، من طريق الخطيب:

حـبا الله النـبي مـزيد فـضل ... علىٰ فضل وكان به رؤوفـاً[٣]

فـاحيا أُمّـه وكـذا أَبـاه ... لإيـمانٍ بـه فَـضْلاً مـنيفاً[٤]

فَسَـلِّمْ فـالقديم[٥] بـذا قـديرٌ ... وإن كان الحديثُ به ضَعِيفاً[٦]

---

١ - هو أبو يعقوب: روىٰ عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن أبيه، وعن ابن عباس، وأبي هريرة، وصفية زوجة النبي ﷺ، ويروي عنه قتادة، وثابت، وحميد، وغيره، مات بعد المئة، ويظهر من ذلك أنّ روايته عن العباس مرسلة، وثقه العجلي وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة. راجع تهذيب التهذيب ١٣٩:١، تهذيب الكمال : ٢٤.

٢ - الطبقات الكبرىٰ ١٢٤:١ / دار الصادر، بسند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصّحاح، قال :أخبرنا عفان بن مسلم، أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس: يارسول الله «أترجو لأبي طالب؟ قال: كلّ الخير أرجو من ربي»، شرح النهج لأبي الحديد ٣١١:٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١٣٨:١، الحجة :١٥، تذكرة الخواص :١٠، ابن طولون في الروض النزيه ح ٣، ابن حجر في الإصابة ١١٦:٤، غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب للشيخ محمّد الخطيب، منال الطالب لابن الأثير :٥٥٥، ط مصر. والسؤال الّذي نطرحه: فهل يرجو رسول الله ﷺ الخير، بل كلّ الخير لأحد، وجهت إليه الدعوة للدخول في الإسلام، ولم يستجب إليها؟

٣ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣٦:١، مورد الصادي في مولد الهادي، الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة للسيوطي :٥٣، مسالك الحنفا :٨٨، التعظيم والمنة :١١٨. ضمن مجموعة من الرسائل.

٤ - في الفوائد الكامنة «لطيفاً» بدل منيفاً، وكذلك في مورد الصادي في مولد الهادي .

٥ - في كتاب الحجة البالغة : ٤٦٤ «فالإله» بدل فالقديم، وذلك نقلاً عن قصيدة شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقيّ والّذي سبق أن ترجمنا له. وراجع الدرج الميفة :١٥.

٦ - شرح مقامات السيوطيّ المقامة السندسية ٥٧٧:١ ط مؤسسة الرسالة، ضمن مجموعة من الرسائل، أو الطبعة الجديدة : ٢١، تحقيق وتعليق: د. محمّد زينهم محمّد عزب / دار الأمين القاهرة، الفوائد الكامنة :٥٢، الحاوي للفتاوي ٢٣١:٢، المنحة الشمسية في فضائل خير البرية «مخطوط» ورق ٣٦ / أ. والحديث الضعيف: هو الّذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن، فهو أدنىٰ في سنده من رتبة

ومما أفاده العلاّمة الشيخ الزَيَّات، عن بعض مشايخه: أنّ ابن الشيخ اللَّقَّاني بات ذات ليلة يتصفح الأحاديث الواردة في إسلام أبَوَيِ النبي ﷺ، ليعلم رتبتها عند المحدثين، فحصل له نعاس، واحترقت عمامته من المصباح، فلما أصبح غَيَّر العمامة وخرج مُجِيباً دعوة بعض حكام مصر، فلقيه بياع «فجل» فقال له: قل آمنت أنَّ أبا النبي، وأُمّه أحياهما الحي القديم، البارىء حتّىٰ شهدا له بصدق رسالته حقاً، فذاك كرامة المختار. الحديث.

ومن يقول بضعفه فهو الضعيف، وعن الحقيقة عارٍ .

ثم قال: أذهب الطعام الحرا وسر. فالتفت إليه الشيخ، فلم يجده «انتهى»[١].

قال ولنذكر ما وعدنا بذكره قال: المعترض في رسالته فأقول وبحوله سبحانه أصول قال المصنف: قد صال علىٰ أبَوَيِ النبي ﷺ، فوجب علىٰ كلّ عالم دفعه دفع الصائل المعترض، إنّ هذا الكلام من حضرة إمام لا يقود «لا يفوز» في هذا المقام، إلاّ أنْ يكون قطعي الدراية، لا ظني الرواية.

أقول: المشار إليه بهذا قول: الفقه الأكبر الّذي شرحه وهو أنّ أبَوَيِ النبيﷺ، وأبا طالب، ماتوا علىٰ الكفر، وقد مرّ الجواب عن ذلك مفصلاً.

قال المعترض: لأنه في باب الإعتقاد لا يكفي العمل بالظّنّيات.

أقول: ما المراد بالإعتقاد هنا.

إن كان أراد أنه يجب علىٰ كلّ مسلم إعتقاد كفرهما، فلعمري إنّها لأحدىٰ الكبر! إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أو أنه يدرك بالقلب، فهو من الأعمال القلبية، فليس مايذكر بالقلب، يجب فيه ماذكره من عدم الاكتفاء بالظنيات، إذ لم يقل أحد بأن إعتقاد هلاك شخص، أو نجاته، من أهل الفترة بخصوصه، من الواجبات، وإن أدعىٰ ذلك فعليه البيان.

الصحيح والحسن، أو وجد فيه علة قادحة .

١ – الحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تأذىٰ ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة. وقد قال ﷺ :«لا تؤذوا الاحياء بسب الأموات...» ولاريب ولا شك أنّ أذاه ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب .

قال المعترض: إذ من المقرر في الأُصول المحررة، أنه ليس لأحد من أفراد البشر، أنْ يحكم علىٰ أحد بأنه من أهل الجنة، أو من أهل العقوبة، إلاّ في من ثبت بنص من الكتاب، أو تواتر من السنة، أو إجماع علماء الأُمّة، بالإيمان المقرون بالموافاة، والكفر المعظم، إلىٰ آخر الحياة.

أقول: هذا الكلام إنصاف، فليجعل الأصل الّذي ينبغي عليه البحث، وكأني به وقد نسيه، ومن المهم اللازم بيان معنىٰ النص، والتواتر، والإجماع، هنا حتّىٰ يكون مرجعاً لنا عند الاختلاف.

فأعلم أنّ النص بأتفاق أهل الأُصول هو: اللفظ الدال علىٰ المنطوق، أي علىٰ المعنىٰ في محل النطق المفيد معنىً لا يحتمل غيره كزيد، وهذا زيد. فإن أحتمل غيره احتمالاً لا مرجوحاً، فالظاهر كالأسد للحيوان المفترس، المحتمل للرجل الشجاع، بدله من غير قرينة صادقة عن الحقيقة، أو احتمالاً مساوياً للآخر فحمل، والمتواتر حده معلوم، وشرطه الكثرة المحيلة في العادة التواطئ علىٰ الكذب في جميع المراتب، وانتهاؤه إلىٰ الحس، والإجماع المفيد للقطع هو: الإجماع القولي الكلي، القطعي، وقد تقدمت محترزاته.

فيمن نزلت الآية؟

قال المعترض: أمّا الكتاب قال الله تعالىٰ:﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[1].

أقول: ما أسرع مانسىٰ الشرط الّذي شرطه علىٰ نفسه، من الإتيان بالنص، وأي دلالة في الآية علىٰ الأبوين، فإنّ دخولهما في أصحاب الجحيم فرع ثبوت كفرهما، وهو فرع التكذيب، وهو فرع بلوغ الدعوة، وهو فرع البعثة، فإنّ الآية لاتدل علىٰ كفرهما، أصلاً فضلاً، عن أنْ تكون نصاً، فإنما النص: أنْ يقول عبد الله ابن عبد المطلب، وآمنة ابنة وهب، من أصحاب الجحيم، حتّىٰ لوقال: أبو النبي ﷺ

١ - البقرة:١١٩.

من أصحاب الجحيم لا يكون نصاً، بل يكون ظاهراً الاحتمال المعنىٰ المجازي، من العم، والخالة، والأمّ من الرضاع، فشرطه علىٰ نفسه الإتيان بالنص، ثم ذكره ما لا يدل عليه فضلاً عن أن يكون نصاً، غاية في التهافت. وأدل دليل علىٰ أنّ غرضه نسبة الاسم إلىٰ الأبوين الشريفين قال: ويكتفي بمثل ذلك في أسباب النزول، كما هو منقول عند أرباب النقول.

قلت الجواب: أنّ غالب مايروىٰ في ذلك ضعيف، ولم يصح في أُمّ النبيﷺ، سوىٰ حديث: أنه استأذن في الاستغفار لها، فلم يؤذن له، ولم يصح أيضاً في أبيه، إلا حديث مسلم خاصةً، وسيأتي الجواب عنهما.

وأمّا الأحاديث الّتي ذكرها: فحديث ليت شعري مافعل أبوايّ [١] فنزلت الآية[٢]. لم يخرج في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وإنما ذكر في بعض النفائس منقطعاً لا يحتج به، ولا يُعوّل عليه، ولو جئنا نحتج بالأحاديث الواهية لعارضناه، بحديث رواه ابن الجوزيّ [٣] من حديث عليّ مرفوعاً هبط عَليَّ

---

١ – الحديث ذكره ابن كثير في تفسيره لسورة البقرة آية ١١٩ في ١:١٦٢ حيث قال:أخبرنا الثوري عن موسىٰ بن عبيدة عن محمّد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ:«ليث شعري ما فعل أبواي. ليت شعري ما فعل أبواي. ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت:(ولاتسأل عن أصحاب الجحيم) فما ذكرهما حتّىٰ توفاه الله عزَّ وجلَّ » ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسىٰ عن عبيدة. وقد تكلموا فيه عن محمّد بن كعب بمثله. وقد حكاه القرطبيّ عن ابن عبّاس ومحمّد بن كعب. قال القرطبيّ: وهذا كما يقال: لا تسأل عن فلان: أي قد بلغ فوق ما تحسب. وقد ذكره في التذكرة ١: ٣٠: «أن الله أحيا له أبويه حتّىٰ آمنا به. وقد أجاب عن قوله :إن أبي وأباك في النار...» قال: والحديث المروي في حياة أبويه عليه السّلام ليس في شيء من الكتب الستة، ولا غيرها وإسناده ضعيف. وقال السيوطيّ أنّ حديث «ليت شعري ما فعل أبواي» أُنظر هذا الموضوع في تنزيه الشريعة ١: ٢٣١،اللآلىء١:٢٦٦،التمييز :١١،المقاصد : ٢٥. تذكرة الموضوعات :٨٧، الغمّاز علىٰ اللّمّاز :٢٨. ومُعْضَلٌ ضعيف لا تقوم به حُجَةَ. والمعضل (بفتح الضاد)هو الّذي سقط من سلسلة إسناده راويان متتاليان فأكثر.

٢ – يقصد الآية ١١٩ من سورة البقرة «ولاتسأل عن أصحاب الجحيم».

٣ – هو عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد الجوزيّ القرشي البغداديّ. علامة عصره في التاريخ والحديث. مولده و وفاته ببغداد. من آثاره: «روح الأرواح» و«تلبيس إبليس» و «كتاب الضعفاء والمتروكين» في رجال الحديث ـ «ت ٥٧٩ هـ». (الأعلام ٧١/٤).

جبرائيل فقال: إنّ الله يقرئك السّلام ويقول: «إنّي حرمت النار علىٰ صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»،[١] ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي، إلاّ أنّا لا نرىٰ ذلك، ولانحتج به، ثم إنّ هذا السبب مردود بوجوه أُخرىٰ من جهة الأُصول والبلاغة، وأسرار البيان، وذلك:

أن الآيات من قبل هذه الآية، ومن بعدها كلّها في اليهود، من قوله تعالىٰ:﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ...﴾[٢]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[٣]. ولهذا ختمت القصة بمثيل ماصدرت به، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾،[٤] الآيتان.

فتعين أنّ المراد بأصحاب الجحيم كذا، وأهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر.

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر[٥] في تفاسيرهم عن مجاهد[٦] قال: من أوّل البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين، ومن أربعين إلىٰ عشرين ومائة في نعت

---

١ - هذا الحديث كتبه ابن الجوزيّ في كتابه الموضوعات ١:٢٨٣ دار الفكر، وذكره ابن الجوزيّ نقلاً عن كتاب الحجة علىٰ الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب لشمس الدين أبي عليّ فخار بن معد «ت ٦٣٠هـ» تحقيق: السيد محمّد بحر العلوم، ط دار الزهراء / بيروت :٧٥، الغدير ٧:٣٧٩، أبو الفتوح الرازيّ في تفسيره الكبير ٤:٢١٠، السيوطيّ في التعظيم والمنة :٢٥، ابن أبي الحديد ٣:٣١١.

٢ - البقرة: ٤٠.

٣ - البقرة: ١٢٤.

٤ - البقرة: ٤٠.

٥ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد ابن حزام الأسدي المدني، أحد كبار العلماء المحدّثين الثقات «ت ٢٣٦هـ». راجع المنهل الصافيّ ١:١٤٧.

٦ - هو ابن جبر، أبو الحجاج، من علماء التابعين، توفي في أوائل القرن الثاني الهجري، وله ثلاث وثمانون سنة.

بني إسرائيل. إسناده صحيح[١].

ومما يؤيد ذلك: أنّ السورة مدنية، وأكثر ماخوطب فيها اليهود، ويرشح ذلك من حيث المناسبة، أنّ الجحيم اسم لما عظم من النار.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، في قوله تعالىٰ:﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ﴾[٢] قال أولها: جهنم، ثم لظىٰ، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم فيها أبوجهل، ثم الهاوية. إسناده صحيح[٣].

واللائق بهذه المنزلة من عظم كفره، واشتد وزره، وعاند عند الدعوة، وبدل وحرف، وجحد بعد علم، لا من هو في مظنة التخفيف. وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً[٤] لقرابته من بره به ﷺ، مع إدراكه الدعوة، وامتناعه من الإجابة، وطول عمره، فما ظنك بأبويه؟ هُما أشد قرابة وآكد حباً، وأبسط عذراً، وأقصر عمراً. فمعاذ الله أن يظن بهما في أنهما في طبقة الجحيم، وأنْ يشدد عليهما العذاب الأليم، هذا لا يفهمه من له أدنىٰ ذوق سليم انتهىٰ الغرض منه.

فانظر إلىٰ هذا البيان الثاني السائغ للشاربين، فيقال لهذا القائل: إنّك قلت السيوطيّ في تخريج الأحاديث، ورويتها من كتابه الدر المنثور، بلفظه، ولم تقدر أنْ

---

١ – الحاوي للفتاوي ٢: ٢٢٤ / دار الكتب العلمية، بيروت، مسالك الحنفا : ٧٤.

٢ – الحجر: ٤٤.

٣ – تفسير الطبريّ ١٤: ٢٥ / دارالمعرفة بيروت، لبنان. عن ابن حريح...وساق الخبر .

٤ – صحيح مسلم ١:باب الإيمان : ١٩٤،وهنا نذكر ماقاله العلاّمة القرطبيّ في التذكرة بعد أن نقل قول القاضي عياض في شفاعة نبينا محمّد ﷺ وتقسيمه إلىٰ الشفاعة إلىٰ خمسة أقسام قال: قلت: وشفاعة سادسة لعمه أبي طالب في التخفيف عنه، كما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ ذكر عنده عمّه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاخ من نار...فان قيل: فقد قال الله تعالىٰ «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» قيل له، لاتنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة..الخ وقد ناقشنا هذا الحديث في حديث الضحضاح فتأمل.

لطيفة :

نقل الزركشي في الخادم عن ابن دحية :أبي الخطاب عمر بن حسن بن عليّ بن محمّد بن فرج بن خلف الأندلسيّ الداني السبتي «ت ٦٣٣هـ» أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كلّ يوم اثنين لسروره بولادة النبي ﷺ واعتاقه ثويبة حين بشر به، قال :إنما هي كرامة له ﷺ. راجع مسالك الحنفا :٣٧.

تتصرف فيها بزيادة نقد الرجال، أو وصل السند، أو زيادة طرق بِعُلُوٍ، كما هو دأبُ الحفاظ، ثم لم تجبه عن تضعيفه، فالذي ضعفه ولم تقلده في عدم جواز الاحتجاج بها، فأوردت الأحاديث بعينها، فأي فائدة استمهدتها، بإعادة تلك الأحاديث الضعيفة، أم ظننت أن أحداً لا يأتي بعدك يفهم الحديث، أم قلت في نفسك: هذا شيء يروج علىٰ الضَعَفَة، فيعتقدون في الأبوين الشريفين أنهما كذا ويحصل المقصود؟

ثم إنّ الحديث الّذي أورده السيوطيّ في أنّ الآية[1] نزلت في اليهود، حديث صحيح، وقد رواه أربعة من المفسرين[2] وهو في سبب النزول، وَأعددتُ مخرجوها، فيقال علىٰ طريقة هذا القائل: إنه يحتج به بغير العلل الّتي ذكرها، وانضم إليه صحة الإسناد، وقد عارضه الحديث الّذي استدل به، فما جوابه؟

ثم تقوىٰ ذلك بموافقة اللغة، وأساليب البلاغة، وبحديث طباق النار...[3] خفيف عذاب أبي طالب الّذي في الصحيحين.[4]

فإن كان مارأىٰ هذه الأجوبة، فهذا دليل في القصور علىٰ اطلاعه.

وإن كان رآها وأصر علىٰ قوله، فقوله أجلىٰ برهان علىٰ عناده، مع قصور باعه.

---

١ - الآية ١١٩ من سورة البقرة «ولاتسأل عن أصحاب الجحيم».

٢ - قال ابن حيّان في تفسيره ١:٣٦٨ / دار الفكر «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم»..قال محمّد بن كعب القرظي: قال النبي ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي، فنزلت الآية...واستبعد في المنتخب هذه؛ لأنه عالم بما آل إليه أمرهما، وقد ذكر عياض أنهما أُحييا له. فأسلما وقد صح أنّ الله أذن له في زيارتهما، واستبعد أيضاً ذلك؛ لأن سياق الكلام يدل علىٰ أنّ ذلك عائد علىٰ اليهود والنصارىٰ ومشركي العرب الذين جحدوا نبوته وكفروا عناداً وأصروا علىٰ الانقطاع...وكذا رجح ابن جرير في تفسيره ١:٤٠٩، ط دار المعرفة بيروت. أنّ الآية نزلت في اليهود والنصارىٰ.

٣ - بعد كلمة «النار» مطموس.

٤ - صحيح مسلم ١: باب الإيمان : ١٩٤، صحيح البخاريّ ٥: مناقب الأنصار باب ٣٩ :٦٥، دار إحياء التراث.

احتجاجٌ وجوابٌ

قال السيوطيّ رحمه الله تعالىٰ في المقامة السندسية: وأمّا احتجاج المنكر في هذا المقام العظيم، بأنه نزل فيهما قوله تعالىٰ:﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[١] فنقول: قد تقرر في علوم الحديث: أنّ سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، ولا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد، لا ضعيف ولا مقطوع، وهذا السبب لا يعرف له في الدنيا إسناد صحيح متصل يذكره. والمنكر يعرف ذلك ويعترف به، إذا عرض عليه، ولا ينكره، فإن أحتج في التعذيب، بضعيف، فأحاديث النجاة، مع كونها أمثل منه، وأولىٰ بالقبول، وإنْ تشبث في النيران، بهذا المقطوع فهلا تشبث في الجنان بذلك الموصول، ينضم إلىٰ ذلك من حيث بلاغة الخطاب[٢]. وساق نحو ما مرّ عن المسالك.

قال المعترض: والحاصل أنّ عامة المفسرين، كالمجمعين علىٰ أنَّ هذا سبب نزول الآية، ومن المقرر في علم الأُصول: أنّ نقل الصحابي سبب النزول، ولو كان موقوفاً، فهو في حكم المرفوع الموصول، فكيف وقد ثبت رفعه بطرق متعددة وأسانيد مختلفة.

قال أقول: أمّا كونه في حكم المرفوع، فقد ذكروه لكن بشروط: أنْ لا يكون للرأي فيه مدخل.

وأمّا كونه في حكم الموصول، فلم يذكره أحد، وكيف يكون المقطوع في حكم الموصول، هذا باطل.

ثم إنّ دعواه تعدد الطرق باسانيد مختلفة، دعوىٰ بلا دليل، وهل ذكر له سنداً واحداً فضلاً عن أسانيد. إنّ هذا من العثور في المقال، ودعوىٰ بلا استدلال، والدعاوىٰ مالم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء.

ودعوىٰ أنّ المفسرين كالمجمعين علىٰ كون سبب النزول ماذكر أعجب وأغرب، وهل حاط بالمفسرين حتّىٰ يدعي إجماعهم، وكم ألّف مفسّر، وإذا ذكر

---

١ – البقرة:١١٩.

٢ – شرح مقامات السيوطيّ، المقامة السندسية في والدي خير البرية ﷺ :٦٠٠، ط مؤسسة الرسالة.

سبعة، أو عشرة، كلاماً تبع فيه بعضهم بعضاً، يلزم أنْ يكون ذلك اجماعاً؟ وهل ابن عبّاس إلا واحد من أربعين ألف صحابي، وقد ورد عنه أحاديث تدل علىٰ خلاف هذا القول:

منها: في تفسير قوله تعالىٰ:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[١].

ومنها: في تفسير قوله تعالىٰ:﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٢]،وقد مرّ.

ومنها: في بيان نسب الأبوين الشريفين، إن آباءه مصطفون، مختارون، طاهرون،[٣] ولا اصطفاء، ولا خيار، ولا كرم، ولا طهارة، مع الكفر والشرك[٤]، وقد استدل الإمام علىٰ عصمة الأنبياء بقوله تعالىٰ:﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[٥] وقد مرّ ذلك عن ابن حجر، ثم تلاميذة ابن عبّاس أجلهم مجاهد، وقد ذهب إلىٰ أنَّ الآية[٦] في اليهود، وقد ذكر ذلك أربعة من الأئمة في تفسيرهم، وهم عبد بن حميد، والعرباني، وابن جرير، وابن المنذر، كما مرّ آنفاً[٧]، نقله عن السيوطيّ، وإنّ ابن جرير زيف القول المقابل الّذي رواه من طريق محمّد بن كعب

---

١ - الأحزاب:٣٣.

٢ - الضحىٰ:٥.

٣ - تقدم استخراجه في نزاهة آبائه ﷺ؛ لأن حكم الأبوين الشريفين فيه ثلاثة مسالك: «أ»إنهما من أهل الفترة وقد دلت القواطع أنْ لا تعذيب قبل الحجة، كقوله تعالىٰ «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولاً» فأهل الفترة يكونون غير معذبين، وأهل الفترة ما كانوا بين كلّ رسولين، فإنْ قيل كيف تتصور الفترة، مع أن الرسل لم يزالوا متراسلين يعقب بعضهم بعضاً فيما أرسل رسول إلا كان قبله رسول غيره ويلزم أهل زمانه، ومن بعده أتباعه إلىٰ أنْ يجيء الرسول الآخر، فالفترة غير متصورة، فمن عذب في تلك الأزمان لا يكون مؤاخذاً قبل بلوغه الدعوة، فإن كانت بلغتهم دعوة من تقدمهم قلنا إنّ إبراهيم ومن قبله وقع الاتفاق علىٰ أنهم لم يرسلوا إلىٰ العرب، ورسالة إسماعيل انتهت بموته إنْ لم يعلم لغير نبينا ﷺ عموم بعثه بعد الموت. وقد تقدم المسلكان الآخران.

٤ - الوفا بأحوال المصطفىٰ :٧٧.

٥ - :٤٧.

٦ - أي الآية «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم».

٧ - تقدم ذكر أقوال العلماء في تفسير الآية، وشرح الهمزية لابن حجر :٢٢.

القرظيّ، واختار قراءة التلاقي وعطاء، في رواية البغويّ [١] لا يدرىٰ أهو ابن رباح أم هو الخرسان، فإن كان الثاني فهو لم يدرك ابن عبّاس فيكون الحديث منقطعاً، وبالجملة فقد تهور هذا القائل في هذه المسائل غاية التهور، ولم يتدبر قليلاً من التدبر.

حديث الاستغفار

قال المعترض: وكذا ما رواه البزار[٢] من أنه ﷺ أراد أنْ يستغفر لأُمّه، فضرب جبرائيل في صدره، وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً[٣].

أقول قال السيوطيّ: ضعيف، ومع ذلك فهو معارض، بالأدلة القاطعة، فهذا الرجل يورد الحديث المضعف، ويعلم أنه مضعف في مقام الأستدلال، ويسكت علىٰ ضعفه، ولا يقدر علىٰ ثبوته، وهذا الطبع قصور عند العلماء، وغش للعوام وليس من التناصح في العلم، وقد أمر رسول الله ﷺ بالتناصح فيه، فالله المستعان.

قال المعترض: وكذا حديث مسلم، وأبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ: استأذن ربه في الاستغفار لأُمّه فلم يؤذن له، وأمّا القول بأنه استأذنه ثانياً وأذن له، فيحتاج إلىٰ دليل صريح، ونقل صريح.

أقول: هذا أقوىٰ ماتَبَّت به هذا الرجل، فإنّ الحديث صحيح، وليس فيه إلا

---

١ - هو أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز «البغويّ» الاصل، البغداديّ، الحافظ الكبير، المتوفىٰ ٣١٧هـ، وهو متقدم علىٰ مُحي السنة البغويّ بزمان، ويعرف بالبغوي الكبير، وتفسيره هو المسمىٰ «بمعالم التنزيل».اُنظر الرسالة المستطرفة :٦٦ .وتفسير معالم التنزيل قد ينسب إلىٰ مُحي السنة. والله أعلم.

٢ - هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البَزّار البصري، «ت ٢٩٢هـ»، وله مسندان، الكبير المعلل، وهو المسمىٰ بالبحر الزاخر، يبين فيه الصحيح من غيره، والصغير. راجع الرسالة المستطرفة :٥٨.

٣ - رواه السهيليّ في الروض الأنف ٢:١٨٥ وقال في الحديث زيادة في غير الصحيح أنه سئل عن بكائه، فقال: ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله، إن كان هذا صح هذا. وقال السيوطيّ في الحاوي ٢:٢٢٣، ضعيف.

النهي عن الاستغفار فقط دون الكفر، والكون في النار.

والجواب عن ذلك سهل بعون الملك القهار، وذلك من وجوه:

أحدها: لا يلزم من عدم الإذن في الاستغفار كفرهما، بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة علىٰ مَن عليه دين، وهو مسلّم فلعله كانت عليهما تبعات غير الكفر، فمنع من الاستغفار بسببها[١].

قال السيوطيّ ثانيها: قد عارضه أدلة ترجيح منه في عدم تعذيب أهل الفترة من الآيات والأحاديث، الّتي بلغت في القوة الجبال الراسيات، واتفق عليها علماء الأُصول والكلام، فوجب إلغاء هذا وتأويله، وتقدمت تلك الأدلة، كما هو مقرر في الأُصول علىٰ أنهما لم ينقل عنها: أنهما أشركا، أو نصبا نصباً، أو عبدا صنماً، أو دعوا إلىٰ كفرٍ، أو غيرا، أو بدلا ديناً، بل الوارد عنهما التوحيد، فيجب علىٰ هذا القائل، أن يحكم بنجاتهما، وثوابهما؛ لأن من مذهبه تحكم العقل، في التوحيد، وهذا القدر كان في الجاهلية قبل البعثة،[٢] إذ لا فُروع ولا يبني حينئذ، وإنما يشترط قدر زائد علىٰ هذا بعد البعثة، فلا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً. فقد كان جماعة تحنثوا، وتركوا ماكان عليه أهل الشرك، وتمسكوا بدين إبراهيم،[٣] وهو التوحيد، إذ الفروع لم يبق منها إذ ذاك إلا القليل، وقد مرّ من الأدلة مايقطع عرق كلّ شبهة، ولا يمكن إلغاء تلك الأدلة لصحتها، وقد قال المنكر في أوّل كلامه: لابد في الدليل الّذي

---

١ - مسالك الحنفا «ضمن الحاوي للفتاوي» ٢:٢٢٧.

٢ - قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه، كما ذكر السيوطيّ في مسالك الحنفا :١٧ « والظن بآبائه ـ يعني الذين ماتوا قبل البعثة ـ أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وآله لتقرّ به عينه. وقد جعلت قضية الامتحان داخلة في هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل. وقال في الأحكام: ونحن نرجو أن يدخل عبدالمطلب الجنة في جملة من يدخلها طائعاً فينجو. ولكن ابن حجر لم يقف عند هذا الحد، بل ناقض نفسه بنفسه حين قال: إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن، وكأنه أخرج أبا طالب من آله. ثم ابن حجر نسىٰ أو تناسىٰ أن إنشاد أبي طالب للشعر بعد البعثة ومعرفة أبي طالب بنبوته صلى الله عليه وآله جاءت في كثير من الأخبار وقد تمسك بها الكثير. وقالوا إنه كان مسلماً وأنه مات علىٰ الإسلام وأن الحشوية هي الّتي تزعم أنه مات كافراً.

٣ - قال السيوطيّ في مسالك الحنفا «ضمن الحاوي للفتاوي» ٢:٢٢٥: وقد وردت الأحاديث بتحنف زيد بن عمرو، وورقة، وقيس...

يحكم به علىٰ أحد بأنه في الجنة، أو في النار، أن يكون قطعياً، ولا يكفي الظني فنؤاخذه بقوله.

فنقول تلك ظنية، بل ضعيفة، وأدلتنا قطعية، فوجب عليك المصير إلىٰ أدلتنا.

ثالثها: أنها منسوخة بقوله تعالىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١] وأمثالها من الآيات، كما أجابوا بذلك عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين: أنهم في النار، مع كثرتها بقوله تعالىٰ:﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢].

كذلك الناسخ[٣] للأحاديث الأبوين الشريفين، ومَن في معناهما، من أهل الفترة قوله تعالىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٤]

قال الحافظ السيوطيّ: ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقترنتين، في آية واحدة، متعاطفتين متناسقتين في النظم.

قال: وهذا جواب مختصر، مفيد يُغني عن كلّ جواب، هذا كلامه في مسالك الحنفا.[٥]

---

١ – الإسراء:١٥.

٢ – الأنعام:١٦٤، الإسراء:١٥، فاطر:١٨.

٣ – اعلم أن ناسخ الحديث ومنسوخه يقوم علىٰ بحث الأحاديث المتعارضة الّتي لا يمكن التوفيق بينها، ويبحث عن المتقدم منها والمتأخر، فما ثبت تقدمه يقال له «منسوخ» وما ثبت تأخره يقال له:«ناسخ» .وقد تكون معرفة الناسخ من المنسوخ بنص من الشارع، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «نهيتكم عن زيارة القبور ـ فقد أذن لمحمد في زيارة أمه ـ فإنها تذكرة الآخرة» رواه مسلم والترمذيّ وصححه .وقد يعرف الناسخ بأن ينص عليه صحابي، كذلك يعرف الناسخ بالتاريخ والسيرة كأن يحدد الوقت الّذي ورد فيه كلّ من الحديثين.

٤ – الإسراء:١٥.

٥ – مسالك الحنفا«ضمن كتاب الحاوي للفتاوي» ٢:٢٢٨ دار الكتب العلمية .

حكم أطفال المشركين

وقال في الفوائد الكامنة[1]: العجب ممن يقطع بكون أبَوَيِ النبي ﷺ في النار أعتماداً علىٰ قوله: « أُمّي مع أُمّكما»[2]، وقوله ﷺ: « أن أبيّ وأباك في

---

١ - الفوائد الكامنة في إيمان السّيدة آمنة و التعظيم والمنة في أن أبَوَيِ المصطفىٰ ﷺ في الجنة، للإمام الحافظ السيوطيّ :٣٣.

٢ - الحديث ورد هكذا، عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن ابن مسعود قال «جاء ابنا مليكة فقالا: يارسول الله، إن أُمّنا كانت تكرم الضيف، وقد ماتت في الجاهلية، فأين أُمّنا؟ فقال:«أمّكما في النار» فقاما وقد شقّ عليهما، فدعاهما رسول الله ﷺ فقال: «إن أُمّي مع أمّكما» فقال منافق من الناس: أوَمَا يغني هذا عن أمّه إلاّ ما يغني ابنا مليكة عن أمهما؟! فقال شاب من الأنصار: لو أن أبويك!فقال رسول الله ﷺ: «ماسألتهما ربي فيعطيني فيهما، وإني لقائم المقام المحمود!» أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٣٦٤، وفي الحلية لأبي نعيم ٤:٢٣٨، وقال: صحيح. وأمّا حديث « عدم الإذن في الاستغفار» فلا يلزم منه الكفر، بدليل أنه ﷺ كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة علىٰ من عليه ديْنٌ لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له، وهو من المسلمين.

الجواب هذ الحديث كما يقول السيوطيّ كان قبل أن يسأل ربّه فيها، فلا ينافيه حديث إحيائها، وإيمانها حين سأل ربه فيها، وهذا الصدور منه ﷺ قبل أنْ يوحىٰ إليه أنها من أهل الجنة كما قال ﷺ في تُبَّع: « لا أدري تُبعّاً ألعيناً كان أم لا»؟! وتبع كما يقول المسعوديّ: هم ملوك اليمن قيل لهم تبابعة؛ لأنه يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر. وأخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة وقال ﷺ بعد أن أوحىٰ إليه في شأنه:« لا تَسُبُّوا تُبَّعاً فإنه كان قد أسلم» والّذي أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ أيضاً من حديث سهل بن سعد وابن عباس، هذا أولاً. وثانياً: أنه ﷺ جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه، فدل ذلك علىٰ إمكانه. وثالثاً: أن أصحابه جوزوا ذلك عليه، واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضي ذلك. ورابعاً: لا يلزم من الحديث كون أمه في النار؛ لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها في «دار البرزخ» أو غير دلك، وعبر بذلك تورية وإبهاماً تطيباً لقلوبهما.

وقال السُّهَيْلي في الروض الأُنُف بعد أن أورد حديث الإحياء: والله قادر علىٰ

النار».[١] ونحوهما من الأحاديث.[٢]

قال الحافظ:[٣] وللمسألة نظير صحيح، والناس فيها خلاف ذلك وهي:

مسألة أطفال المشركين: فقد ورد في أحاديث كثيرة: الجزم بأنهم في النار. وفي أحاديث قليلة: أنهم في الجنة.

كلّ شيء، وليس تعجِزُ رحمته وقدرته عن شيء، ونبيّه ﷺ أهل أن يختص بما شاء من فضله، ويُنْعم عليه بما شاء من كرامته .

إذاً مع كلّ هذا والحديث ضعيف، وعلىٰ ضعفه لا يلزم منه كونها في النار لجواز أنْ يكون المراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية كما ذكرنا ذلك سابقاً.

١ - السنن الكبرىٰ ٧:١٩، هذا الحديث من حيث السند فيه «حماد بن مسلمة» عن «ثابت» عن «أنس» قال: إن رجلاً قال (يارسول الله أين أبي؟ قال: في النار. فلما قَفَىٰ دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار)، وهذا الحديث تفرد به مسلم، وهو من الأحاديث الّتي مُتَكَلَّم فيها. فـ«ثابت» وإن كان إماماً فقد عده ابن عدي في «كامله» من الضعفاء، وأورده الذهبيّ في الميزان ١:٣٦٢ من الضعفاء أيضاً. وأمّا «حماد بن سلمة» وإن كان إماماً فقد تكلم جماعة في روايته، وأعرض البخاريّ عنه. وقال الذهبيّ في الميزان ١:٥٩٠ «حماد ثقة له أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون: إنها دُسّت في كتبه». ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس:«أن النبي ﷺ قرأ: (فلما تجلىٰ ربه للجبل) الآية ١٤٣ من سورة الاعراف قال:«أخرج طرف خِنْصَرِه وضرب علىٰ إبهامه فساخ الجبل» أخرجه أحمد في مسنده ٣:١٢٥، والترمذيّ /كتاب التفسير ١١:١٩٣، الحاكم ٢:٥٧٧ هذه العلة الأولىٰ.

أمّا العلة الثانية: من حيث المتن: وذلك «أن النبي ﷺ سأله رجل عن الساعة، فنظر إلىٰ أحدث القوم سناً فقال: إن يستفيد هذا عمره لم يمت حتىٰ تقوم الساعة» كان الاعراب يسألونه كثيراً عن الساعة فخشىٰ ﷺ من قوله لهم لا اعلم فيشكون في نبوته فأجابهم بجواب فيه تورية كمايقول السيوطيّ في الفوائد الكامنة. ولذا قال: عندي أن لفظ الحديث ليس مروياً باللفظ، بل رواه الراوي بالمعنىٰ، فوهم في ذلك. فقد أخرج البزار في «مسنده»، والطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن سعد بن أبي وقاص أن أعرابياً أتىٰ النبي ﷺ، فقال يارسول الله أين أبي؟ قال: في النار .قال: فأين؟ قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار».

٢ - ولكن يلغىٰ ما عارضها من الأحاديث بالكلية، كما يقول السيوطيّ في الفوائد الكامنة : ٦٤.

٣ - يقصد به الحافظ جلال الدين السيوطيّ .

وصحح الجمهور هذا، ومنهم النوويّ[١]، وقال: إنه المذهب الصحيح المختار الّذي صار إليه المحققون؛ لقوله تعالىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢]، وإذا كان لا يُعَذَّب البالغ، لكونه لم تبلغه الدعوة، فغيره أولىٰ. هذا كلام النوويّ[٣].

---

١ - إنّ أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل بعثته ﷺ معذبون بشركهم وكفرهم، وذلك يدل علىٰ أنهم ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة نبي، خلافاً لما يظنه بعض المتأخرين .إذ لو كانوا كذلك لم يستحقوا العذاب لقوله تعالىٰ «وما كنا معذبين حتّىٰ نبعث رسولا» وقد قال النوويّ في حديث مسلم ١: ١١٤، ط الهند «أن رجلاً قال يارسول الله أين أبي؟ قال: في النار...» سبق أن أشرنا إلىٰ مصادر الحديث .

٢ - الإسراء: ١٥.

٣ - صحيح مسلم بشرح النوويّ م٨ ج ١٦: ٢٠٧ دار إحياء التراث العربي بيروت. وقول النوويّ في قصة حديث مسلم أن من مات من أهل الفترة علىٰ ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السّلام وعلىٰ نبينا آلاف الصلاة والسّلام وغيره فبعيد جداً للاتفاق علىٰ أنّ أهل إبراهيم ومن بعده لم يُرسلوا للعرب، وإنما أُرسل إسماعيل عليه السّلام إليهم، ورسالته انتهت بموته، إذ لم يعلم لغير نبينا ﷺ عموم بعثة بعد الموت، وقد يؤوّل كلامه بحمله علىٰ عبدة الأوثان الذين ورد فيهم أنهم في النار. وهذا القول يرد أيضاً كلام الفخر الرازيّ القريب من كلام النوويّ؛ لأن كلام النوويّ مناف لحكمه بأنهم أهل فترة وأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم ومن ليسوا أهل فترة؛ لأن أهل الفترة الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسىٰ، ولا لحقوا النبيﷺ ، والفترة بهذا التفسير ما بين كلّ رسولين، لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون الّتي بين عيسىٰ والنبي ﷺ . ولما دلت القواطع علىٰ أنه لا تعذيب حتىٰ تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين، إلا من بدل وغير من أهل الفترة بما لا يعذب به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع .

فإن قلت: صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب الحجن وغيره. قلت: أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، أبو زيد، بثلاثة أجوبة :

«١» أنها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع .

«٢» قصر التعذيب علىٰ هؤلاء والله أعلم بالسبب .

«٣» قصر التعذيب في هذه الأحاديث علىٰ من بدل وغير الشرائع وشرع في الضلال مالا يعذر به، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

«أ» من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل بشريعة قائمة للرسل، كتبع وقومه.

«ب» من بدل وغير وأشرك ولم يوجد وشرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر كعمرو

وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة، بأحاديث كونهم في الجنة، ويوضح النسخ ما أخرجه «ابن عبد البر»[١]، عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها، قالت: « سألتُ [٢] رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال: « هم مع [٣] آبائهم».

ثم سألته بعد ذلك فقال:« الله علم بما كانوا عاملين».

ثم سألته بعدما استحكم الإسلام، فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٤]، فقال: « هم علىٰ الفطرة». أو قال: «في الجنة»[٥]. فهذا يدل علىٰ النسخ[٦].

ابن لحيٰ، أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام كبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمىٰ الحام ، وزادت طائفة من العرب علىٰ ماشرعه أن عبدوا الجن والملائكة وفرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً لها سدنة وحجاباً يضاهون الكعبة كاللات والعزىٰ ومناة .

«ج» من لم يشرك ولم يوجد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره علىٰ حال غفلة عن كلّ هذا كله، وفي الجاهلية من كان كذلك .

فإذا انقسم أهل الفترة إلىٰ ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه علىٰ أهل القسم الثاني لكفرهم بما لايعذرون به، وأمّا القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين للقطع كما تقدم .

وأمّا القسم الأول فقد قال ﷺ : «في كلّ من قس وزيد أنه يبعث أُمة وحده، وأمّا تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه مالم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين، هذا ما أورده الآبي.

١ – هو يوسف بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد البر النمريّ القرطبيّ صاحب كتاب الاستيعاب والتمهيد وجامع بيان العلم وفضله «ت٤٦٣هـ». أُنظر شذرات الذهب ٣١٤:٣.

٢ – في الفوائد الكامنة :٦٤ورد بلفظ «سألَتْ خديجة...» بدل سألتُ..

٣ – في الفوائد الكامنة «من» بدل هم .

٤ – الأنعام :١٦٤، فاطر:١٨،الإسراء:١٥.

٥ – ذكره ابن الجوزيّ في العلل المتناهية ٤٤٢:٢، ط الهند، وقال ابن الجوزيّ «هم تبع آبائهم...هم تبع آبائهم في الجنة ياعائشة. وقال الزبيديّ في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٥٦٧:٨ دار الفكر عن عائشة...وذراري المشركين قال مع آبائهم قلت بلا عمل قال: الله أعلم، ونقل عن الطبرانيّ في الأوسط من حديث أنس... المشركين خدم أهل الجنة. وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد...وساق الحديث عن عائشة .

وكذا نقول: في الأحاديث الّتي وردت في أنّ أبَوَيِ النبي ﷺ في النار[١] إنها منسوخة:

إمّا بإحيائهما وإيمانهما.

وإمّا بالوحي في «أنّ أهل الفترة لا يعذبون»[٢].

قال والنكته في جمع حكم أهل الفترة، مع حكم الأطفال في آية واحدة اشتراكها في عدم بلوغ الدعوة، لعدمه الحسي في أهل الفترة، وعدمه الحكمي في الأطفال، لعدم العقل فيهم، وفي عدم التكليف حقيقة في أهل الفترة، وشرعاً في الأطفال، فلهذا اقترنت الجملتان،[٣] وذلك من بدائع اسرار القرآن، ولهذا أعتمد

---

١ - شرح الهمزية لابن حجر :٢٢ قال مانصه:«وحديث مسلم قال رجل يارسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه قال: إن أبي وأباك في النار...» يتعين تأويله، وأظهر تأويل له عندي أنه عمّه أبو طالب...أو أنه إنما قصد بذلك أن يطيب خاطر ذلك الرجل خشية أن يرتد..مع العلم أننا علقنا على التأويل الأول لابن حجر بالأدلة الصحيحة.

٢ - ومن جملة الأقوال في الأطفال: «أنهم في مشيئة الله، لا يحكم عليهم بشيء» وهذا هو المنقول عن الشافعيّ كما جاء في البخاريّ كتاب الجنائز، ومسلم كتاب القدر. ومن الأقوال أيضاً أنهم يُمْتَحَنُون في الآخرة، فمن أطاع أُدخل الجنة، ومن عصىٰ أدخل النار كما جاء في الرسالة المستطرفة :٢٥، الفوائد الكامنة :٦٥، وأخرج مثله البزار وأبو يعلىٰ كما جاء في مجمع الزوائد ٢١٦:٧ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتىٰ بأربعة يوم القيامة: بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب تعالىٰ: لعنق من النار: ابرز. ويقول لهم: ادخلوا هذه. فيقول من كُتِبَ عليه الشقاء: يارب أنّى ندخلها، ومنها كنا نفر؟! قال: ومن كتبت عليه السعادة، يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول الله تعالىٰ: أنتم لرُسُلي أشدُّ تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة، وهؤلاء النار» وأخرج مثله أحمد في مسنده ٢٤:٤ وابن راهويه والبيهقيّ في كتاب الاعتقاد، وصححه، وذكر الحديث بطوله ابن كثير في تفسير الآية ١٥ من سورة الإسراء، الدر المنثور ١٦٨:٤.

٣ - الأولىٰ: متعلقة بأطفال المشركين، ولهذا اعتمدها النبي ﷺ حين نزلت، وأخبر بأنهم في الجنة، بعد إخباره بأنهم في النار.

والثانية: متعلقة بأهل الفترة، وهم والأطفال مشتركون في عدم التعذيب لأمرين:

«١»عدم بلوغ الدعوة، لعدم العقل المدرك بناءً علىٰ هذه الآية، وما أخرجه عبد الرزاق وابن جريرج ٤٠:١٥، وابن أبي حاتم كما جاء في الدر المنثور ١٦٨:٤، وابن المنذر في تفاسيرهم.

«٢»وذهب آخرون إلىٰ أنهم يمتحنون، كما يقول ابن كثير في العرصات، والشيخ

النبي ﷺ علىٰ الجملة الثانية في الحكم [١].

أقول: وإذا ثبت النسخ، ظهر الجواب عن قول المنكر: إنّ استئذانه، أنه ﷺ في الاستغفار لهما.

ثانياً: يحتاج لدليل صريح، ونقل صحيح، إذ لا معنىٰ للنسخ، إلا رفع الحكم الأوّل، وإذا رفع الحكم، وهو النهي عن الاستغفار، ثبت الإذن والله أعلم.

قال المعترض: وتأويل السيوطيّ إنّ المراد بأبيه عمّه أبو طالب، وبأبي إبراهيم عمّه آزر، في غاية السقوط، فتدبر.

أقول: قد سجلت هذه الرواية علىٰ المنكر حقيقة، قول السيوطيّ وبيانه: إنّ السيوطيّ نقل عن ابن عبّاس، ومجاهد، وابن جرير، والسديّ [٢] بأسانيد صحيحة أن آزر لم يكن أبا إبراهيم، [٣] وأنَّ أباه تارخ أو ترخ أو تاروخ، وأنّ آزر عمّه.

الأشعري والبيهقيّ في كتاب الاعتقاد، بل جزم به أهل السنة قاطبة في أهل الفترة، فوجب انتفاء التعذيب عن أبَوَي النبي ﷺ، وإنما جزم بالامتحان في أهل الفترة وجرىٰ في الأطفال، وصُحّحَ كونهم في الجنة ابتداء لأجل مزيد البلوغ والعقل في أولئك.

١ - هم أهل الفترة الذين يمتحنون في الآخرة ولا يبادَرُون بالعذاب، بعد إخباره بما يقتضي أنهم في النار ابتداء، فكان الإخبار أن الأولاد في الفريقين علىٰ حد سواء أنهما في النار. والنازل فيهما جملتان مقترنتان، والإخبار ثانياً عنهما متحد أيضاً، وهو أنهم لا يعذبون وقد صححه النوويّ.

٢ - هو إسماعيل بن عبد الرحمن ـ وهو غير السديّ الصغير محمّد بن مروان المتهم بالكذب ـ كان عالماً بالتفسير والمغازي «ت ١٢٨ هـ».

٣ - هذا المسلك تبناه جماعة وفخر الدين الرازيّ في كتابه «اسرار التنزيل» ما نصه قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمّه واحتجوا عليه بوجوه: منها:

«١» أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ويدل عليه وجوه: منها: قوله تعالىٰ «والّذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين» الآية ٢١٨ـ ٢١٩ من سورة الشعراء قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلىٰ ساجد، وبهذا التقدير، فالآية دالة علىٰ أنّ جميع آباء محمّدﷺ كانوا مسلمين، وموحدين. والموحدون علىٰ ثلاثة انواع:

«أ» موحد حقيقي، وهو الّذي خلقه الله موحداً ساجداً فطرياً تخلقياً تكوينياً.

«ب» موحد تحقيقي هو الّذي لم يخلقه الله ساجداً، فإنه لما قبل الدعوة تحقيقاً صار موحداً تحقيقياً.

«ج» موحد تقليدي هو الّذي صار موحداً ساجداً لله تقليداً لآبائه الموحدين، فهو الموحد تقليدياً، كأولاد الموحدين الحقيقيين والتحقيقيين والتقليديين. وإن الله تعالىٰ لم

وقال بن حجر: أجمع أهل الكتابين، أن آزر عمّ إبراهيم لا أبوه انتهى[١].

وأهل العلم بالأنساب قاطبة على ذلك.

قال الحافظ، وهنا نكتة دقيقة: وهي أنّ النبي ﷺ، أقتدى بأبيه إبراهيم في الاستغفار، فقال: لاستغفرن لأبي، كما استغفر إبراهيم لأبيه، فشبه ﷺ نفسه الشريفة، بأبيه إبراهيم في وصفه الاستغفار لأبيه، وقد شبه في ذلك أباه، بأبي إبراهيم، لكن تقدم أنّ المراد بالأب في كلام إبراهيم عمّه فواجب أنْ يكون الأب في كلامه ﷺ، عمّه أيضاً، لأمرين:

«١» لذكره باسمه في حديث أُمّ سلمة،[٢] السابق.

يخلق موحدين له حقيقياً، إلا الأنبياء والمرسلين والخمسة النجباء والأئمة المعصومين.

وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين، إنما ذلك عمّه وقطع به الفخر الرازيّ من خلال:

«٢» أنّ الأحاديث الصحيحة دلت على أنّ كلّ أصل من أصول النبي ﷺ من آدم إلى أبيه عبد الله، فهو خير أهل قرنه وأفضلهم ولا أحد في قرنه ذلك خير منه وأفضل زمانه.

«٣»أنّ الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخلُ الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثته إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها. وذكر ذلك الديار بكري في تاريخ الخميس ١: ٢٣٤، وبهذا وذاك قطع بأن آباء النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك. أقصى ما في الباب أن يُحمل قوله تعالى:«وتقلبك في الساجدين» على وجوه أخرى، أُنظر أيضاً المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ١: ٣٤.

١ - الحاوي للفتاوي ٢: ٢١٣ / دار الكتب العلمية. قال: وهذا القول ـ أعني أنّ آزر ليس أبا إبراهيم ـ ورد من جماعة من السلف وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عبّاس في قوله تعالى «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ، وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم، وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريح في قوله تعالى:«وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرح أو تارح...وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السديّ. والطبريّ في تفسيره ٧: ١٥٨ دار الكتب بيروت، نقلاً عن مجاهد والسديّ وجرير وسفيان...وكذا النيسابوريّ في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش تفسير الطبريّ ٧: ١٧٠ ط الرابعة / دار الكتب، بيروت .

٢ - هند بنت أبي أُمية سهيل زاد الركب بن المغيرة المخزومية، كانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة. وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها، وهاجرا إلى

«٢» ولتشبيهه في الاستغفار، بعمّ إبراهيم، فقد شبهه في هذا الأثر بأبي إبراهيم. والثابت أنّ المراد به عمّه، فيحتاج أنْ يكون أيضاً عمّاً حتّىٰ يتم التشبيه، وهذا واجب بحسب فن البلاغة.

ونكتة أُخرىٰ وهي: إن إبراهيم قال لعمّه: لاستغفرن لك، وما أملك لك من الله من شيء[١].

وقال ﷺ في حق عمّه أبي طالب: لاستغفرن لك مالم أُنه عنك، ولم يقل، وما أملك لك من الله شيئاً، لعلمه أنّ الله تعالىٰ سيملكه شيئاً له، ومن ثم أخرجه إلىٰ ضحضاخ من النار[٢].

الحبشة فولدت له سلمة، وشهد أبو سلمة بدراً، واستشهد في أحد. فلما تأيمت أُمّ سلمة أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، فبعثت إليه تقول: إنّي امرأة غيرىٰ، وإنّي امرأة مصبية وليس أحد من أوليائي شاهد. فأتىٰ رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: ارجع إليها فقل: أمّا قولك إنّي امرأة غيرىٰ فسأدعو الله فيذهب غيرتك. وأمّا قولك إنّي امرأة مصبية فستكفين صبيانك، وأمّا قولك ليس أحد من أوليائي شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك. فقالت لابنها عمر: قم فزوّج رسول الله ﷺ فزوّجه. توفيت في خلافة يزيد بعد ما جاءها نعي الحسين ﷺ سنة ٦١هـ وقيل ٦٢هـ وهي آخر مَنْ توفيت من أُمّهات المؤمنين. راجع أسد الغابة، الترجمة رقم: ٧٤٦٤، ج ٧: ٣٤٠.

١ - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:« إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء» الممتحنة: ٤

٢ - سيأتي الحديث عن الضخضاخ، وقيل الضحضاح: بفتح الضاد المعجمة بعدها الحاء المهملة الساكنة: هو في الأصل مارقّ من الماء علىٰ وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار، ذكره (ابن الأثير في حرف الضاد) بعد أنْ ذكر الحديث المذكور. وحديث الضحضاح، من الأحاديث المشهورة، والّتي تمسك به القوم دليلاً علىٰ كفر أبي طالب - والعياذ بالله -، روىٰ هذا الحديث عدد غير قليل من الروارة، ولكن في طليعة أُولئك الراوين هم مسلم في صحيحه ١:٧٧، وابن سعد في طبقاته ١:١٢٤، وأحمد في مسنده ١:٢٠٧، وتاريخ ابن كثير ٣:١٢٥، والبخاريّ في صحيحه ٦:٣٣، ومن الغريب أنّ باب إيمان أبي طالب لا يوجد في الطبعة الأُولىٰ (طبعة بولاق) وبصور متعددة وبأسناد مختلفة: الرواية الأُولى - عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يارسول الله هل نفعت أباطالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ والرواية الثانية أيضاً عن العباس قلت: يارسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ وهناك رواية ثالثة، ورابعة، تكاد تكون واحدة لكنها تختلف اختلافاً يسيراً. وقد تفرد بإسنادها المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن متعب الثقفي الموصوف بالدهاء، وقد ولاه عمر بن

وقال في حقه: «أرجو له كلّ خير من ربيّ»[١]، وسبب هذا أمران:

أحدهما: أنّ عمّ إبراهيم، لم يكن براً له فقال: لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً[٢]، وعمّ النبي أبو طالب، كان براً له فقال: اذهب فقل ما أحببت، فو الله لا نسلمك لشيء أبداً[٣].

وقال: والله لن يصلوا إليك بجمعهم.

وقال لعلي: كن مع ابن عمك [٤] وحاطه ونصره، وهذا مما فُضل به نبينا ﷺ، علىٰ إبراهيم، كما فُضل آدم، بأن سأكون عوناً له علىٰ طاعة الله تعالىٰ، وكما فُضل سائر الأنبياء، فإن شياطينهم كانوا كفاراً، وشيطانه ﷺ، قد أسلم فلا يأمره إلا بخير فاستنباط الإمام الحافظ المجتهد، وحافظ الدهر السيوطيّ رحمه الله تعالىٰ في غاية المتانة والرجحان، وابن اللبون إذا لم يبدو له قرن، لم يستطع قوة البزل القناعيس. وأين الثرىٰ من الثريا، وأين أنت يامسكين، من السيوطيّ.

الخطاب البصرة حتّىٰ شهد عليه بالزنا، فعزله كما نقل ذلك ابن الأثير الجزريّ في أُسد الغابة في ترجمة نافع، وترجمه أبي بكرة، وكذلك ذكر القصة ابن حجر في الإصابة في ترجمة المغيرة، وأحمد بن يحيىٰ البلاذريّ في فتوح البلدان :٣٥٣، ط مصر، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢: ٤١٣، ابن الأثير في الكامل (حوادث سنة ١٧)، الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوريّ :١١٨، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ٤٤٨، تلخيص المستدرك للذهبي بذيله ٣: ٤٤٨، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨: ٢٣٥، ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٨١، عمدة القارىء في شرح صحيح البخاريّ للعيني ٦: ٢٤٠، والسؤال الّذي يطرح نفسه كيف يجوز أن نأخذ برواية المغيرة الموصوف بالزنا، وشرب الخمر.

١ - الحديث هكذا ورد، قال العباس: يارسول الله! أترجو لأبي طالب؟ قال ﷺ «كلّ الخير أرجو من ربي» شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٣١١، الحجة :١٥، تذكرة الخواص :١٠، معجم القبور ١: ١٨٩، الغدير ٧: ٣٧٤، نقلاً عن طبقات ابن سعد، بسند صحيح، الخصائص الكبرىٰ ١: ١٤٧ ط ١ دار الكتب العلمية.

٢ - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:«قال أراغب أنت عن ءالهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً» مريم:٤٦.

٣ - السيرة لابن كثير ١: ٤٦٣، السيرة لابن إسحاق ١: ٢٧٦، وراجع المواقف الجلية لأبي طالب في نصرة النبي ﷺ في كلّ من البخاريّ ٨: ٥٩٥ و ٧٢٤، صحيح مسلم ح ٢٧٩٧، والبغويّ ٨: ٤٧٩، الفتح الرباني ٣: ٢٩٣ ح ٦٨٦، النسائيّ ٢: ٢٢٦، البيهقيّ ٢: ١٩٢.

٤ - أورد هذه الرواية الشيخ الصدوق في أماليه :٣٦٥ عن طريق الأعمش، وكذلك رواها أبو عليّ الفتال في روضة الواعظين :١٢١.

قال المعترض: وسيأتي، زيادة الكلام بغير بيان وإقامة برهان لا تنفع عند العلماء الأعلام.

وقال الحافظ السيوطيّ رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة في مَن أنكر عليه في عصره في المقامة السندسية: لقد وصل إليّ عن رجل من أهل الحديث، وممن سعىٰ فيه طول عمره السعي الخبيث[١] أنه ذكر ما قلته فصاح، وأعرض بوجهه وأشاح، وأجرىٰ من فمه سيلاً، وجرىٰ من لسانه ذيلاً، وكسا وجه الصباح ليلاً، وكاد يطير مع بنات نعش، وحاص حيصة [٢] حمر الوحش، ثم زأر وشزر في النظر، وكلح بوجهه وبسر، وقال فحشاً وهجر، وهذىٰ في منطقه وهذر، وصرح: بأنهما نعوذ بالله من أهل سقر، وذكر أنه نزل فيهما من القرآن العظيم:﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[٣].

فقلت للناقل: لم لا لجأت إلىٰ وزر، وهلا ألقمت فاه من كلام شيخه، وهو الركن المشيد بحجر، وأطفأت النار الّتي أوقدها[٤] من زفر بن زفر، وعلمت أنه يضرب في حديدة باردة، إذ نحن ضربنا في ذهب ذائب، ويرمي عن وتر منقطع، إذ فوقنا نحن كلّ سهم صائب، ولو أنه اقتصر علىٰ ذكر المنقول من غير سفه، لم يكن عليه من بأس، إنما السبيل علىٰ الذين يظلمون الناس، أفرحاً بالعلو، أم تجاوزاً إلىٰ حدّ الغلو! أم إعظاماً لنفسه واستكباراً! واحتقاراً لغيره واستصغاراً! أم استجاشة علىٰ مثلي واستنصاراً! أأتقن قاعدة شكر المنعم[٥] الّتي مبنىٰ هذه المسائل عليها! أأحكم

---

١ - في المخطوط «الحثيث» بدل الخبيث، وهو المثبت في الأصل.

٢ - في المخطوط «وصاح صيحة» وما أثبتناه من المصدر.

٣ - البقرة:١١٩.

٤ - في المخطوط «وقودها» وما أثبتناه من المصدر هو الصحيح.

٥ - سبق أن أشرنا إلىٰ قاعدة شكر المنعم الّتي قال فيها الكيا الهراسي في تعليقه في الأُصول ونضيف هنا قوله:« اعلم أنّ الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوىٰ الشرع المنقول، ولا يتلقىٰ من قضيات العقول، فأمّا من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلىٰ أن الأحكام منقسمة، فمنها ما يتلقىٰ من الشرع المنقول، ومنها ما يتلقىٰ من قضيات العقول، قال وأمّا نحن فنقول: لا يجب شيء قبل مجيء الرسول، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر، فنقول: لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر، وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون: ما الواجب الّذي هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه:

قاعدة التحسين والتقبيح، الّتي مرد هذه القاعدة إليها! أعرف حكم الغافل من حيث التكليف، أدري حكم الأفعال قبل البعثة، هل توصف بالتشديد أو التخفيف! أعلم فن الأُصول! وقواعد الاستدلال والترجيح، عند تعارض النقول:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكلهُ   لن تبلغَ المجدَ حتّىٰ تلعقَ الصبرا[١]

ليت شعري ماالّذي أنكره عليَّ، وفوق بسببه سهامه إليَّ ؟ ... [٢]. أمّا أثر، أو ترجيح جانب النجاة، أمّا لي فيه من سلف صالح، أمّا تقدمني إليه من أئمة كلّ منهم، لو وزن بالجبال فهو عليها راجح، فإن اعتذر بعدم الوقوف، كان عذره جلياً، أو بالنسيان، فقد خلق الإنسان نسياً، وهل يستبعد علىٰ من أنجىٰ الله به الثقلين أنْ ينجي به الأبوين، أم ظن أني قدمت علىٰ الترجيح، لا لمستند، أو بمجرد التشهي من غير دليل معتمد، معاذ الله، بل لما قام عندي من أدلة قاطعة ساطعة، ناصعة لامعة، جامعة مانعة، هامعة رائعة، صادعة قامعة، بارعة ناقعة، جازمة لازمة، مثبتة هازمة،

أن النظر هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة؛ لأنه نظر للمعرفة، فهو مطيع وليس بمتقرب؛ لأنه إنما يتقرب إلىٰ من يعرفه، قال: وذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال: قبل مجيء الرسول يتعارض الخواطر والطرق، إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر ان يخطر خاطر آخر علىٰ نقيضه، فيتعارض الخواطر ويقع العقل في حيرة ودهشة، فيجب التوقف إلىٰ أنْ تنكشف الغمة.

وقال الفخر الرازيّ في المحصول:«شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة». ومن هذا وذاك نستنتج أن من لم تبلغه الدعوة عندهم يموت ناجياً ولا يقاتل حتىٰ يدعىٰ إلىٰ الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدّية، ولا يجب القصاص علىٰ قاتله علىٰ الصحيح.

وقال البغويّ: من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أنْ يدعىٰ إلىٰ الإسلام، فإن قتل قبل أنْ يدعىٰ إلىٰ الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة. وعند أبي حنيفة لا يجب الضمان بقتله.

وقال الرافعي محمّد بن عبد الكريم بن فضل القزوينيّ «ت ٥٠٨هـ»: «من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلىٰ الإسلام، ولو قتل كان مضموناً خلافاً لأبي حنيفة..».

وقال الغزاليّ في المبسوط:«من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص علىٰ الصحيح؛ لأنه ليس مسلماً علىٰ التحقيق وإنما هو في المعنىٰ المسلم».

وقال ابن الرفعة في الكفاية:«لأنه مولود علىٰ الفطرة ولم يظهر منه عناد».

١ - مسالك الحنفا : ٨٥.

٢ - بعد كلمة «بسببه»مطموس.

صحيحة صريحة، متعبة مانعة، حاصرة فسيحة، تامة عامة، كاملة شاملة، كافلة حافلة، تَجزم ولاتُجزم، وتَهزم - إن شاء الله - ولا تَهزم، فيقرأ هذا الفصل الأسفر علىٰ وجه المنكر، بالوجه الأوفر «انتهىٰ»[1].

---

١ - المقامة السندسية للسيوطي: ٥٩١ - ٥٩٧ ط ١ مؤسسة الرسالة. والنص الّذي أورده السيوطيّ هو كالتالي: «ولقد وصل إلي عن رجل من أهل الحديث، وممن سعىٰ فيه طول عمره السعي الحثيث، أنه ذُكر له ماقلته فصاح، وأعرض بوجهه وأشاح، وأجرىٰ من فمه سيلاً، وجر من لسانه ذيلاً، وكسا وجه الصباح ليلاً، وكاد يطير مع بنات نعش، وحاص حيصة حمر الوحش، ثم زأر وشزر في النظر، وكلح بوجهه وبسر، وقال فحشاً وهجر، وهذىٰ في منطقه وهذر، وصرح: بأنهما - نعوذ بالله - من سقر، وذكر أنه نزل فيهما من القرآن الكريم: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» فقلت للناقل: لم لا لجأت إلىٰ وزر، وهلا ألقمت فاه من كلام شيخه، وهو الركن المشيد بحجر، وأطفأت النار الّتي أوقدها من زفر بزفر من زفر، وعلمت أنه يضرب في حديد بارد، إذ ضربنا نحن في ذهب ذائب، ويرمي عن وتر منقطع، إذ فوّقنا نحن كلّ سهم صائب، ولو أنه اقتصر علىٰ ذكر المنقول من غير سفه لم يكن عليه منبأس،(إنما السبيل علىٰ الذين يظلمون الناس) أفرحاً بالعلو أم تجاوزاً إلىٰ حد الغلو؟ أم إعظاماً لنفسه واستكباراً، واحتقاراً لغيره واستصغاراً؟! أم استجاشة علىٰ مثلي واستنصاراً؟ أأتقن قاعدة شكر المنعم الّتي مبنىٰ هذه المسألة عليها؟ أأحكم قاعدة التحسين والتقبيح الّتي مردّ هذه القاعدة إليها؟ أعرف حكم الغافل من حيث التكليف؟ أدري حكم الأفعال قبل البعثة هل توصف بالتشديد أو التخفيف؟ أعلم فنّ الاصول؟ وقواعد الاستدلال والترجيح عند تعارض النقول؟

لا تحسب المجد تمراً أنت آكلُله لن تبلغ المجد حتّىٰ تلعق الصبرا

ليت شعري ماالّذي أنكره عليّ، وفوّق بسببه سهامه إليّ؟! أترجيح جانب النجاة؟! أمّا لي فيه من سلف صالح؟ أمّا تقدّمني إليه من أئمة كلّ منهم لو وزن بالجبال فهو عليها راجح؟ فإن اعتذر بعدم الوقوف كان عذره جلياً، أو بالنسيان فقد خلق الإنسان نسياً.

وماسمىٰ الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنّه يتقلب

وهل يستبعد علىٰ من أنجىٰ الله به الثقلين، أن يُنجي الله به الأبوين؟ أم ظن أني أقدمت علىٰ الترجيح لا لمستند، أو لمجرد التشهي من غير دليل معتمد؟ معاذ الله، بل لما قام عندي من أدلة قاطعة ساطعة، ناطقة لامعة، جامعة مانعة، هامعة رائعة، صادعة قامعة، بارعة باقعة، جازمة لازمة، مثبة هازمة، صحيحة صريحة، متعبة مريحة، حاصرة فسيحة، تامة عامة، كاملة شاملة، كافلة حافلة، تجزم ولاتُجزم ،ولاتهزم - إن شاء الله تعالىٰ - ولاتهزم؟

الاحتجاج بالآية:

قال المعترض: ونقل الإمام أبوحيّان عند تفسير قوله تعالىٰ:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[١] أن الرافضة هم القائلون: إن آباء النبي ﷺ، كانوا مؤمنين مستدلين، بقوله تعالىٰ:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٢].

وبقوله ﷺ: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات ... الحديث.[٣]

قال العلاّمة ابن حجر: هذا سوء تصرف من الناقل؛ لأنه أعني ناقل هذا الكلام عن أبي حيان، لو كان له أدنىٰ مسكة من علم، أو فهم، لتعقب ما قاله أبوحيّان وقال: هذا الحصر باطل منك أيها النحويّ البعيد عن مدارك أئمة الأُصول والفروع، كيف

---

١ - الشعراء: ٢١٩

٢ - الشعراء: ٢١٩، مع العلم الشيعة ليسوا وحدهم هم القائلين بذلك، بل قال صاحب روح البيان ٢:٨٧٥، والشفا للقاضي عياض ١٢:« معنىٰ في الساجدين في أصلاب النبيين والمرسلين من آدم إلىٰ نوح وإلىٰ إبراهيم وإلىٰ من بعده إلىٰ أنْ ولدته أُمّه».
وقال صاحب فتح القدير ١١٨:٤، والدر المنثور ٩٨:٥ : «مازال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتىٰ ولدته أمّه» .
وقال صاحب السراج المنير في ٣ لتفسير الآية: «في أصلاب النبيين من نبي إلىٰ نبي حتىٰ أخرجك نبياً في هذه الأمّة»، ومثل ذلك في تفسير الخازن، والبغويّ، والطبقات الكبرىٰ في ج ١، والسيرة الحلبية في ١، وتذكرة الخواص، وتاريخ الخميس ٥٦:١، وما أحسن قول الحافظ شمس الدين الدمشقيّ في تاريخ الخميس ٢٣٧:١:

ينقل أحمد نوراً عظيماً	تلألأ في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً فقرناً	إلىٰ أن جاء خير المرسلين

٣ - البحر المحيط ٤٧:٧ ط الثانية / دار لفكر، نقول هذا من مفتخرات الشيعة؛ لأنه وافق الكتاب والسنة النبوية؛ لأن تقلب النبي ﷺ في أصلاب الموحدين من نبي إلىٰ نبي حتّىٰ أخرجه الله نبياً هو افتخار ما أعلىٰ منه افتخار، وليس هذا الافتخار للشيعة فقط، بل لكل الأُمّة الإسلامية بأن يكون نبيهم مطهراً بشكل عام من كلّ رجس ونجس، ومنه الشرك لقوله تعالىٰ: «إنما المشركون نجس» الآية ٢٩ من سورة التوبة، فوجب أن لا يكون واحد من آباء رسول الله ﷺ مشركاً غير موحد وهذا ما قالت به الشافعية والأشاعرة حسبما نص عليه ابن حجر المكيّ في «المنح المكية شرح القصيدة الهمزية»، والشيخ عليّ الشبراملسيّ المصريّ في حاشيته علىٰ المواهب اللدنية المسماة «تيسير المطالب السنية».

وأئمة الأشاعرة من الشافعية، وغيرهم، علىٰ ما مرّ التصريح به، مـن نـجاة سـائر آبائه ﷺ، كبقية أهل الفترة؟ فلو كنتَ ذا إلمام بذلك، لما حـصرت نـقل ذلك عـن الرافضة، وزعمت أنهم المستدلون عليه بالآية والحديث، وهذا الإمام الفخر الرازيّ، من أكابر أئمة أهل السنة، قد أستدل بها، ونقل ذلك عن غيره من الأئمة الأعلام، فليتك أيها الناقل عن أبي حيّان سكت عن ذلك، ووقيت عرضك وعرضه من رشق سهام الصواب فيها. «انتهىٰ»[١].

قال المعترض: وأمّا القول بأن آزر كان عمّ إبراهيم عليه الصـلاة والسّـلام، فعدول عن الظاهرين غير ذلك.

---

١ – تقدم الكلام حول هذا الكلام وأثبتنا من هو ابن حيّان ؟.

فائدة في حقيقة معنىٰ الأب

قال العلاّمة ابن حجر: إن الأب يُطلق علىٰ العمّ حقيقة، فعلىٰ هذا لا عدول عن الظاهر، وبتسليمه فقوله: من غير دليل ممنوع بالأدلة:

منها: إجماع أهل الكتابين أنّ آزر ليس أباه.

ومنها: إجماع أهل الأنساب.

ومنها: قول، ابن عبّاس، ومجاهد، وابن جريح، والسديّ، وناهيك بهم حجة أنّ آزر كان عمّه، لا أباه.

ومنها: معارضته مع قوله تعالىٰ:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1] بناءً علىٰ أنّ حمل الآية علىٰ جميع المعاني المحتملة الّتي لا منافاة بينها، واجب كما عليه المحققون.[2]

قال المعترض: وأمّا الإجماع فقد أتفق السلف والخلف من الصحابة، والتابعين والأئمة، وسائر المجتهدين علىٰ ذلك، من غير إظهار خلاف لما هنالك،

---

١ - الشعراء: ٢١٩.

٢ - قال نظام الدين النيسابوريّ في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش تفسير الطبريّ ٧: ١٧٠ - ١٧٢، ط ٤، دار المعرفة بيروت. وقيل إن والد إبراهيم كان تارح وكان آزر عمّه، والعم قد يطلق عليه اسم الاب، بدليل قوله «نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل..» وقال ابن جرير الطبريّ في تفسيره ٧: ١٥٨، ط ٤، دار المعرفة بيروت...وقال آخرون: إنه ليس أبا إبراهيم، وذكر من قال بذلك حدثنا محمّد بن حميد وسفيان بن وكيع قالا. حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم...وعن مجاهد «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» قال آزر لم يكن بأبيه، إنما هو صنم...وعن السديّ قال: وإذ قال إبراهيم...قال: اسم أبيه، ويقال لا بل اسمه تارح، واسم الصنم آزر...» وقبل هذا الكلام يدرج كلام ابن حجر في شرح الهمزية: ٢١ - ٢٢ مطبعة محمّد أفندي سنة ١٣٠٩هـ.

والخلاف اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق، سواء كان من جنس المخالف، أو من صنف الموافق.

قال المصنف فنقول لهذا القائل: متىٰ صرح الصحابة والتابعون، ومن بعدهم بصريح القول في واحد، أو في وقت واحد، أو في عصر واحد، وقالوا كلّهم بصريح اللفظ: إنّ أبَوَي النبي عليه السلام في النار.

ثم يطالب بتصحيح النقل، وإلا فهو أحق بما نسب إلىٰ غيره.

وهذا عليّ عليه السلام، ورد عنه بسند يعتد به في المناقب مرفوعاً، هبط علىَّ جبرائيل فقال: إن الله يقرئك السّلام ويقول: إنّي حرمت النار علىٰ صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك.[1] ولم يرد عنه في ضده لاقوي ولاضعيف.

وهذا ابن عبّاس عليه السلام، يروي من رضىٰ محمّد عليه السلام، «أنْ لايدخل أحد من أهل بيته النار».[2]

وهذه عائشة رضي الله عنها، راوية حديث إحيائهما.[3] لم يرو عنها في ضده شيء.[4]

---

١ - ابن طولون في الروض النزيه، ح٣، الإصابة ٤:١٦ـ١٩، ط مصر في، ترجمة الإمام عليّ، ومنال الطالب لابن الأثير :٥٥٥ ط مصر.

٢ - الحاكم في شواهد التنزيل، ٢ ح١١١٣ :٤٤٧، ط الأولىٰ، تحقيق: المحمودي، وقال محمّد بن جرير الطبريّ في تفسيره: حدثني عباد بن يعقوب قال: حدثنا الحكم بن ظهير، عن السديّ عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: «ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ» قال: رضاء محمّد عليه السلام أنْ لايدخل أحد من أهل بيته النار .وقال الحموينيّ في فرائد السمطين ٢:٢٩٥، ط الأُولىٰ ح٥٥٣ باب ٦١، عن أبي الزناد عن زيد بن عليّ عليهما السّلام في قوله تعالىٰ :«ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ» فقال: إنّ من رضىٰ محمّد عليه السلام أنْ يدخل أهل بيته وذريته في الجنة. وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٤٦٠ ط / دارالفكر مثل ذلك في ترجمة زيد بن عليّ عليهما السّلام .

٣ - الروض الأُنف للسهيلي ٢:١٨٤ تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه :٤٨٩، ط مكتبة المنار، عن عائشة أن النبي عليه السلام نزل إلىٰ الحجون....»، الخطيب البغداديّ في كتابه السابق واللاحق :٣٧٧، ط دار طيبة، المقامات السندسية للسيوطي :٥٧٥، ط مؤسسة الرسالة .

٤ - قال في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ١:٣٢ دار الكتب العلمية / بيروت، والقرطبيّ في التذكرة في أحوال الموتىٰ وأُمور الآخرة :١٦، حجة الله علىٰ

العالمين في معجزات سيّد المرسلين ليوسف بن إسماعيل النبهانيّ ١:٤٦٠، تحقيق: محمّد مصطفى أبو العلا، ط مصر، روىٰ الطبرانيّ بسنده عن عائشة أن النبي ﷺ نزل بالحَجُون كئيباً حزيناً فأقام به ماشاء الله ثم رجع مسروراً، فقال سألت ربي فأحيا لي أُمّي فآمنت بي ثم ردها.ورواه السيوطيّ في الفوائد الكامنة :٢٨، ورواه أبو حفص بن شاهين بلفظ عائشة حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر بي علىٰ عقبة الحَجُون وهو باك حزين مغتّم فبكيت لبكائه، ثم إنه نزل فقال ياحميراء استمسكي فاستندت إلىٰ جنب البعير فمكث ملياً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم، فقال ذهبت لقبر أُمّي فسألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي. وكذا روىٰ السهيليّ عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. قال الزرقانيّ في شرح المواهب بعد ذكر حديث إحيائهما والقرطبيّ في التذكرة :١٦، وقد جعل هؤلاء الأئمة هذاالحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا علىٰ أنه متأخر، عنها فلا تعارض بينه وبينها، وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية: إنّ الحديث غير ضعيف، بل صححه غير واحد من الحفاظ وقال بعضهم :

أيقنت أن أبا النبي وأُمّه	أحياهما الرب الكريم الباري
حتّىٰ له شهدا بصدق رساله	سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه	فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

وقال التلمساني: رُوي إسلام أمه ﷺ بسند صحيح وكذا رُوي إسلام أبيه ﷺ وكلاهما بعد الموت تشريفاً له ﷺ.

أمّا ما أورده ابن الجوزيّ في الموضوعات حين قال: «قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر هذا الحديث موضوع .وفيه محمّد بن زياد هو النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيىٰ ومحمّد بن يحيىٰ مجهولان .

فأمّا محمّد بن يحيىٰ فليس بمجهول، فقد ذكره الذهبيّ في «الميزان» و «المغنيّ» معاً، فقال: محمّد بن يحيىٰ ليس بمجهول .

أمّا أبو غزية المدني الزهري فقال الدار قطني. متروك. وقال الأزدي: وهذه عبارته فقد عرف بالضّعف لا بالوضع. ومن يُتَرْجَم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف.

وأمّا أحمد بن يحيىٰ الحَضْرمي فليس بمجهول أيضاً، فقد ذكره الذهبيّ في الميزان وقال: روىٰ عن حرملة التّجيبيّ، وليّنه أبو سعيد بن يونس، ومن يترجم بهذا يعتبر بحديثه .وأمّا محمّد بن زياد: فإن كان هو النقاش ـ كما ذكر ـ فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة في التفسير. قال الذهبيّ: صار شيخ المقرئين في عصره علىٰ ضعف فيه، أثنىٰ عليه أبو عمر الداني، وحدّث مناكير. ومع ذلك فلم ينفرد به، فإن للحديث طريقين آخرين: عن أبي غُزَيّة كما ذكر الطبريّ في كتابه «السيرة» «أنا أبو الحسن بن المقبر، أنا

وهذا ابن مسعود صحح عنه: أنه ﷺ سُئل عنهما فقال: « ما سألت الله لهما، فيعطينيه، وأنّي لقائم المقام المحمود».[١]

وهذا ابن عمر: ﷺ مرفوعاً بسند يعتد به في المناقب: «إذا كان يوم القيامة، شفعت لأُمّي، وأبي، وعمّي أبي طالب، وأخ لي في الجاهلية».[٢] ولم يرد عنه في

الحافظ أبو الفضل محمّد بن ناصر السلامي أجازه، أنا أبو منصور محمّد بن أحمد بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد، أنا القاضي أبو بكر محمّد بن عمر بن محمّد بن الأخضر حدثنا أبو غزية ابن يحيىٰ، حدثنا عبد الوهاب بن موسىٰ الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة «أن النبي....» الحديث.

وأمّا الذهبيّ: فلم يُعِلَّ الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين، بل قال: قال في «الميزان» ج ٢: ٦٨٤: عبد الوهاب بن موسىٰ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد بحديث: إن الله أحيا لي ...» الحديث (لا يُدْرَىٰ من ذا الحيوان الكذّاب! فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صحّ من «أنه عليه السّلام استأذن ربّه في الزيارة في الاستغفار لها فلم يأذن له) انتهى.

وحاصله أنه أُعَلّ الحديث بأمرين: ١:جهالة عبد الوهاب بن موسىٰ، ٢:مخالفته للحديث الصحيح المذكور. والجواب عن الأول: أنّ عبد الوهاب معروف من رواة مالك، وقد روىٰ هذا الحديث أيضاً عنه. كما ورد في كتاب الحافظ أبي بكر الخطيب «السابق واللاحق»،والّذي أخرجه من هذا الطريق الدار قطني في «غرائب مالك» وقال :باطل ، وأخرجه ابن عساكر في «غرائب مالك» أيضاً، وقال: منكر.

والجواب: أنّ عبد الوهاب بن موسىٰ هذ يقال له أبو العباس الزهري، فقد ذكره الخطيب في الرواة عن مالك، وهو راوي حديث كعب الّذي قال لعمر بن الخطاب «إنا لنجدك في كتاب الله...» الحديث، وكذلك روىٰ عنه ابن سعد في الطبقات ٥:١٩٦، فإذا قبل حديثه هذا وذاك، فقد زالت الجهالة عنه برواية ثانية عنه علماًبأنه قد روىٰ حديثنا بطريقين عن هشام عن مالك عن أبي الزناد. وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد فرواه مرة هكذا، ومرة هكذا. مع العلم أن ذلك وقع في «حجة الوداع» وبه يحصا الجواب عن الأمر الثاني وهو المخالفة لحديث الاستئذان فيالاستغفار عند الزيارة؛ لأن قصة الزيارة كانت عام الفتح أي قبل عامين من هذه القصة؛ ولأن الإحياء متأخر عن الاستغفار، إذا اردنا التسليم بحديث الزيارة، ولذا أورده ابن شاهين في«الناسخ والمنسوخ» بعد حديث الزيارة، وتابعه علىٰ ذلك القرطبيّ في«التذكرة» وقال «لأن إحياءهما متأخر عن النهي بالإستغفار لهما».

١ – الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٧، ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢ – الخصائص الكبرىٰ :١٤٧، ط ١ دار الكتب العلمية، قال: وأخرج تمام الحديث الرازيّ في الفوائد المروية، وابن عساكر عن ابن عمر قال...وساق الحديث، ذخائر العقبىٰ :٧،

ضده شيء، وهؤلاء مجتهدو الصحابة، وفقهاؤهم، وهم أهل بيت النبوة، الذين قيل: إن إجماعهم حجة، اتفقوا علىٰ نجاتهما، بل ونجاة أبي طالب.

وهذا الإمام الشافعيّ ﷺ، المعلوم مكانته وجلالته في عصر اتباع التابعين، قد قضىٰ علىٰ أنّ أهل الفترة كلّهم ناجون في الجنة، ومن المحال أنْ يعمم النجاة في جميع أهل الفترة، ثم يستثني والديّ النبي ﷺ ويقول: إنهما في النار، وهؤلاء الأشاعرة بأجمعهم، مع إمامهم إمام أهل السنة علىٰ ذلك أيضاً، وَهَلُمَّ جَرّاً إلىٰ عصرنا[1].

وأي نص عن الإمام أبي حنيفة ﷺ في كتبه، وقد علمت: أنّ الإجماع السكوتي والأكثري ليس بمعتبر في مثل هذا، باعتراف المُنْكِر، بل لا بد أن يكون قطعياً، وأنّ خروج مجتهد واحد يمنع إنعقاد الاجماع، ثم من شروط الإجماع أنْ لا يخالف نصوص القرآن، بل يكون له مستند من الكتاب والسنة، وهذه صرائح الكتاب والسنة، تنادي علىٰ رؤوس الأشهاد: أنه لا تعذيب علىٰ أهل الفترة، ومن المعلوم بالتواتر، أنهما من أهل الفترة، هذا لعمري فرية بلا مرية، وتهور في الكلام وتجرؤ علىٰ جناب الصحابة، أن نسب إليهم مالم يقولوا، وترك أدب مع النبي ﷺ، وايذاؤه، فنسأل الله تعالىٰ العفو والعافية، بمَنه وكرمه.

هل يحتج بالحديث الضعيف؟

قال المعترض: والعجب من الشيخ جلال الدين السيوطيّ مع إحاطته بهذه الآثار، الّتي كادت أنْ تكون متواترة في الأخبار، علىٰ أنه عدل عن متابعة هذه الحجة، وموافقته سائر الأئمة، وتبع جماعة من العلماء المتأخرين، وأورد أدلة واهية

الدرج المنيفة :٧، مسالك الحنفا :١٤، وقد أخرج أبو نعيم وغيره، وفيه التصريح بانّ الأخ من الرضاعة، وفي تاريخ اليعقوبيّ ٢:٢٦، روي عنه ﷺ أنه قال: إنّ الله عزَّ وجلَّ وعدني في أربعة في أبي وأُمّي وعمي وأخ كان لي في الجاهلية.

١ - الحاوي للفتاوي ٢:٢٠٢ ـ ٢٣٤ قال: أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء، علىٰ أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً.

في نظر الفضلاء المعتبرين منها، وهو أقومها حديث إحيائهما، وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين، كما أعترف به السيوطيّ وقال ابن كثير:[١] منكر جداً ورواته مجهولون.

أقول: لاعجب من اتباع الحق، فالحق أحقُّ أنْ يتبع، فقوله مع إحاطته، قلت نعم: لعمري إنه محيط به وما أخذه المعترض إلا من تأليفه، ولا رأته عنه إلا فيها فهو الحقيق بذلك، مع إحاطته لم يطلع علىٰ اجماع، ولو اطلع عليه لم يكتمه، وأنت يامنكر: جئت بعده، ونقلت اجماعاً من عهد الصحابة، إلىٰ قيام الساعة كقولك: إنّ الخلاف اللاحق، لايقدح في الإجماع السابق، أفلا تذكر لنا من نقل هذا الإجماع؟!.

وقوله: أورد أدلة واهية، هذا من التهول في القول.

وقوله: منها، وهو أقومها، هذا كلام من لا ينصف، فإن السيوطيّ حسنها، أو هي دلالة، ولذلك أخرها في مسالك الحنفا.[٢]

وقوله: هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين.

قلت: الحديث الضعيف يعتد به في باب المناقب والفضائل، وهذا المسألة منها. إذ نجاتهما منقبة للنبي ﷺ، ومن العجب أنهم صرحوا في أسباب النزول، بأنه يعمل بالحديث الضعيف في المناقب والفضائل، فجاء المنكر يطالبهم بالأحاديث المتواترة، وهذا ليس إلا تحكيماً، وقلباً للموضوع «انتهىٰ».

قال المعترض: فقول الشيخ ابن حجر في شرح الهمزية، وهو حديث صحيح[٣]، صححه غير واحد من الحفاظ مردود عليه، بل كذب صريح، وعيب قبيح، مسقط للعداله، ومزيل للمروءة.

أقول: قال الحافظ ابن حجر في الإصابه، وجدت للحديث ثلاثة شواهد عن

---

١ - السيرة النبوية ١: ٢٣٩، ط دار إحياء التراث العربي. وابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، المعروف «بابن كثير» القرشي، الشافعيّ، «ت ٧٧٤هـ» الرسالة المستطرفة: ١٤٣.

٢ - مسالك الحنفا ضمن الحاوي للفتاوي ٢: ٢٣٠.

٣ - أي حديث الإحياء للأبوين تقدم الحديث عنه، وراجع شرح الهمزية: ٢٢، مطبعة محمّد أفندي.

ثلاثة من الصحابة، وقد مرّ أنّ الراوي المختلف فيه إذا وجد له شواهد ارتفع حديثه إلىٰ رتبة الحسن، ومن المعلوم إذا وجد له شواهد ونفع حديثه عند أهل الحديث، أنّ كثيراً منهم يطلق علىٰ مايصح الاحتجاج به، ويدرجون الحسن في الصحيح وهذا اصطلاح الشيخ العلاّمة ابن حجر مطلق الحديث علىٰ الصحيح كثيراً، وقد أقر مرات أنّ الاختلاف في الراوي لا ينافي ثبوت الحديث، وقيام الحجة به، فهلا أقام هذا العذر للشيخ العلاّمة ابن حجر، ولا رماه بهذه الكبيرة، ولو كان الشيخ ابن حجر حياً، هل كان هذا القائل يواجهه بهذا القول؟! أو كان يقدر أنّ يذكر بين يديه هذا البحث؟! ولكن صدق من قال[١]:

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحدهُ والنِّزالا

وكذا قول من قال: خلتِ الديارُ فسادَ غيرُ سودهِ ، وشتانَ ما بين النملةِ والفيلِ، والكهانةِ وعلمِ جبرائيل.

ومن المعلوم عند هذا المنكر، أنّ كلّ من قال بنجاة الأبوين الشريفين من النار كان قوله واهياً ووهماً، وكذباً وعيباً، ومسقطاً للعدالة، ومن قال بكفرهما وخلودهما في النار مثله، كان كلامه حسناً وثابتاً، وحجة وبرهاناً، وقاطعاً واجماعاً، وليس هذا شأن العلماء، بل ينبغي للعالم: أنْ لا يتجاوز الحدّ في الرضىٰ والغضب.

ثم نقول: أي الكذبين أكبر إطلاق الصحيح علىٰ الحديث في المناقب الّتي هي للنبي ﷺ، الّذي يعتد بمثله فيها، وله متابعات وشواهد، أو ادعاء إجماع سلف الأُمّة وخلفها بالباطل، علىٰ إيذاء رسول الله ﷺ وشتم أبويه وإدخالهما النار، فليته حين رأىٰ القذا في عين غيره، رأىٰ الجذع في عين نفسه.

وحديث أسقط العدالة عن غيره: لم يدعها لنفسه، ولكن عدالة هَرَوِيَّةٌ، مثل وضوء نميرة الهروية، لا ينقض أبداً، ولعله التمسها منها، إذ هي بلديته[٢].

قال المعترض: لأن السيوطيّ مع جلالته، وإحاطته، ومبالغته في رسائل متعددة من مصنفاته، ذكر الاتفاق علىٰ ضعف هذا الحديث، فلو كان له طريق واحد

---

١ - القائل هو المتنبي، والشعر في ديوانه : ٤١١، ط دار صادر .

٢ - أي مدينته .

صحيح لذكره في معرض الترجيح، ومن المعلوم من بعده، لم يحدث واحد من المحدثين الذين يصح كونهم من المصححين، ومن أدعىٰ فعليه البيان في معرض الميدان[١].

قال المصنف: أقول: إذا كان السيوطيّ كما ذكرت، فلم رددت قوله، وتعجبت منه، مع أن مما بعده باعترافك لم يأت من يصل إليه، وأنت ممن جاء بعده، ولم تصل إليه، ولا يمكن ردّ كلام أحد حتّىٰ يعلم ماعلم، وتحيط بما أحاط به، وتتميز بدقائق أُخرىٰ زيادة علىٰ ماعنده، قال تعالىٰ:﴿وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا﴾[٢].

ثم لا يلزم من عدم وجود طريق صحيح، عدم وصول مجموع الطرق إلىٰ مرتبة الصحة بالمعنىٰ الأعم، وهو ماتقوم به الحجة. وابن حجر ما أراد إلا هذا المعنىٰ ولم يرد أنّ طريقاً واحداً من طرقه صحيح، فتأمل وأنصف، فإنّ مراده بالصحة الصحة بالمعنىٰ الأعم في باب المناقب، ومن المعلوم عند أهل الحديث، أنّ الحديث المذكور يحتج به فيها، بل إذا نظرت إلىٰ شواهده ترقىٰ عن ذلك أيضاً «انتهىٰ».

أقول: وكلّ ما في رسالة المعترض، من هذا النمط الفظيع، والخلط القبيح الشنيع، وإنما هي جناية جناها، وسيلقىٰ عقابها، جحودي بقبيح الثنا في الدنيا، ومعلول التوبيخ، والخجل في الأُخرىٰ.

---

١ - إشارة إلىٰ قول السيوطيّ في الفوائد الكامنة، وممن حكم بضعفه وأنه ليس موضوع ابن سيّد الناس، والبغداديّ، والسهيليّ، ومحب الدين الطبريّ، والقرطبيّ.

٢ - النور:٤٨-٥٠.

فصل:

في

بيان توحيد عبدالمطلب

بيان توحيد عبد المطلب

قال السهيليّ في الأُنف: وجدت في كتب المسعوديّ أختلافاً في عبد المطلب، وأنه قيل: مات مسلماً؛ لما من الدلائل علىٰ نبوة محمّد ﷺ، وعلم أنه سيبعث بالتوحيد، قلت: نعم، هو يشارك الأبوين في أكثر الأدلة فنجاته لاشك فيها.

وإنما الكلام في صحبته. وقد ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في القسم الرابع: وذكر أنّ ابن السكن عده من الصحابة.

قال السهيليّ: وفي الصحيح: « أنّ رسول الله ﷺ دخل علىٰ أبي طالب عند موته، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أُمية، فقال: ياعمّ قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبوجهل، وابن أبي أُمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال: أنا علىٰ ملة عبد المطلب»[١].

وظاهر الحديث يقتضي: أنْ يكون عبد المطلب مات علىٰ الشرك.

قال وفي مسند البزار[٢] والنسائيّ[٣] من حديث عبد الله بن عمر: إنّ رسول الله ﷺ، قال لفاطمة رضي الله عنها، وقد عزّت قوماً من الأنصار عن ميتهم، لعلكِ بلغت معهم الكدىٰ [٤]، فقالت: لا، فقال: لوكنتِ بلغتِ معهم ما رأيتِ الجنة، حتّىٰ يراها جد أبيك».

---

١ - فهذا من أحسن الآداب والتصرفات، والقول بأنه أَسَرَّ إلىٰ العباس إسلامه هو المعقول بعد هذا.

٢ - هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار «ت ٢٩٢هـ» حافظ من أهل البصرة، توفي بالرملة، له مسندان كبير وصغير. راجع الأعلام للزركلي ١:١٨٩.

٣ - النسائيّ ٤:٢٧، ومسند أحمد٢:١٦٩، الحاكم في المستدرك ١:٣٧٣.

٤ - البداية والنهاية ٢:٣٤٢.

قال: وقد خرجه أبو داود[١]، ولم يذكر فيه حتّىٰ يراها جد أبيك، ولم يقل: جدك، فقويته للحديث الضعيف، الّذي قدمنا ذكره: أنّ الله تعالىٰ أحيا أباه وأُمّه، وآمنا به، ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك؛ لأن قوله ﷺ حقّ، وبلوغه معهم الكدا لايوجب خلود النار هذا كلام السهيليّ[٢].

أقوال: أمّا الحديث الأول:

الجواب الأوّل، فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنّ كون أبي طالب ظن أنَّ عبد المطلب في النار، أو علىٰ الشرك، لايلزم منه، أنْ يكون مطابقاً للواقع، ولايلزم رسول الله ﷺ بيان ذلك لهم؛ لأن الحاضرين كفار معاندون، لا ينفعهم البيان، إلا بعد الإيمان، وقد دعاهم للإيمان، فأبوا، علىٰ أنه في أوائل الإسلام، قبل أنْ يخبر الله تعالىٰ نبيّه ﷺ، بأنّ أهل الفترة ناجون، فيحتمل أنَّ سكوته لعدم علمه بأمره، وشأنه إذ ذاك.

وثانيهما: أن أبا طالب علم أنَّ عبد المطلب كان علىٰ التوحيد، وأنه كان يعلم

---

١ - مسند أبي داود / باب الجنائز ٣:٢٦١.

٢ - السهيليّ في الروض الأنف ٤:٢٩، ط ١ تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ما نصه: «...وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أُمية، فقال: ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل، وابن أبي أُمية: أترغب عن ملة عبد المطلب. فقال: أنا علىٰ ملة عبد المطلب...» وظاهر الحديث يقتضي أنّ عبد المطلب مات علىٰ الشرك. ووجدت في بعض كتب المسعوديّ اختلافاً في عبدالمطلب، وأنه قد قال فيه: مات مسلماً لمارأىٰ من الدلائل علىٰ نبوة محمّد ﷺ وعلم أنه لايبعث إلا بالتوحيد. فالله اعلم. غير أنّ في مسند البزاز وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة، وقد عزّت قوماً من الأنصار عن ميتهم: لعلك بلغت معهم الكدىٰ، ويروي الكري بالراء يعني القبور. فقالت: لا. فقال: لو كنت بلغتِ معهم الكدي، كما قال ما رأيت الجنة حتّىٰ يراها جد أبيك، وقد أخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه حتّىٰ يدخلها جد أبيك وكذلك لم يذكر فيه: مادخلت الجنة، وفي قوله: جد أبيك ولم يقل جدك يعني: أباه توطئة للحديث الضعيف الّذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أُمه وأباه وآمنا به فالله أعلم. ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله حتّىٰ يدخل جد أبيك... وذكره السيوطيّ في الحاوي للفتاوي ٢:٢١٩، الإصابة في تمييز الصحابة ٧:١٩٨، السنن الكبرىٰ ٤:٦٠، بيروت، مشكل الآثار للطحاوي ١:١٠٨، العلل المتناهية لابن الجوزيّ ٢:٤٢١، ط الهند، مستدرك الحاكم ١:٣٧٣ دار المعرفة بيروت.

بنبوة محمّد ﷺ، وكان يوصي به أولاده، وخصص بالوصية أبا طالب، وكفله أياه، ومعنىٰ كلامه: أنّه علىٰ التوحيد، والعلم بنبوة محمّد ﷺ، اللذين عليهما عبد المطلب، وإنما لم يقل لا إله إلا الله في تلك الحالة خوفاً أنْ ينسبوه إلىٰ الخوف، كما صرح بذلك فقال: لولا أنْ ينسبوني إلىٰ الخوف من الموت لأقررت عينك بها، وقال: لولا الملامة، أو حذار سُبَّةٍ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[١].

---

١ - لو سلمنا جدلاً أن يكون إسلام أبي طالب سَبَّة علىٰ محمّد ﷺ وهو نبي الإسلام، الداعي إليه: فهل من المعقول أنّ النبي ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام الّذي فيه سَبَّة علية وعلىٰ آله، هذا أولاً:

وثانياً: ألم يعلم شيخ قريش بأنّ ابنيه علياً وجعفراً قد صلّيا مع النبي ﷺ وخاصة جعفر صلّىٰ بأمره خلفهما، وطلب منهما نصرة الرسول الأعظم.

وثالثاً: لماذا اهتم العباس بأن يتابع شفتي أبي طالب ليتأكد ما يقول، وهو الّذي لم يدخل الإسلام، بل إن معركة بدر لم تأت حتّىٰ أسر فيها؟ ثم كيف يقبل العباس هذه الكلمة الّتي تكون سبة عليه وعلىٰ بني عبد المطلب، بل علىٰ بني هاشم ويخبر رسول الله بها؟ ألم يكن من الأجدر كتمانها علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ الحاضرين؟ ثم كيف يعقل أن رسول الله ﷺ هو الّذي طلب من عمّه أن يقول الكلمة، ثم يخبر من قبل العباس بها ولكن رسول الله ﷺ يقول «لم أسمع»؟

ورابعاً: كيف يعقل أن ابن عبّاس ينقل عن رسول الله ﷺ أنه يرجو لأبي طالب كلّ الخير من ربه، ثم يفسر قوله تعالىٰ:«...وهم ينهون عنه، وينأون عنه» الآية ٢٦ من سورة الأنعام، أنها نزلت في أبي طالب، كان ينهىٰ المشركين عن أن يؤذوا رسول الله ﷺ، وهو يتباعد عما جاء به .أُنظر أسباب النزول للواحدي : ١٤٤، وتفسير ابن كثير ٢:١٢٧، عن طريق سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس..الخ، ولكن نلاحظ كما لاحظنا سابقاً في هذه السلسلة:

«١» سفيان الّذي كان يدلس ومن الضعفاء، ويكتب عن الكذابين، كما جاء في ميزان الاعتدال.

«٢» الحديث مرسل بما بين حبيب وابن عباس، وقطع الصلة بينهما.

«٣» الحديث مما انفرد به حبيب الّذي قال عنه ابن حبان إنه كان مدلساً. كماجاء في تهذيب التهذيب ٢:١٧٩.

«٤»إن القرطبيّ قال: معنىٰ الآية عام في جميع الكفار. فالكفار ينهون الناس عن اتباع محمّد، وينأون عنه.

«٥»إنّ الضمير في الآية هو ضمير الجمع. ولو كانت الآية مختصة بأبي طالب لجاء الخطاب بضمير المفرد لا الجمع، وهذا يعرفه أدنىٰ صاحب إلمام باللغة العربية.

فالحديث علىٰ هذا الوجه، دليل علىٰ توحيد عبد المطلب لا علىٰ شركه.

قال: في النهاية الكدىٰ، روي بالدال، وبالراء المهملتين، فبالدال: جمع كدية، وهي القطعة الصُلبة من الأرض الّتي لاتعمل فيها الناس. والكرىٰ: جمع كرية، أو كروة من كروت الأرض، وكريتها إذا حفرتها.«انتهىٰ»[١].

«٦» هل يحدثنا التاريخ المعادي لأبي طالب أنه في يوم ما تخلىٰ الشيخ الكبير عن رسول الله ﷺ؟ فما علىٰ المعترض إلا الإتيان ولو بدليل واحد، أو موقف واحد نأىٰ فيه شيخ الأباطح عن النبي ﷺ.

«٧» هذه كتب التفسير كلها تشير إلىٰ سبب نزول الآية في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي والإقرار برسالته، ونزولها في أبي طالب خاصة، لكن يقولون: فالقول الأول أشبه كما جاء في تفسير الفخر الرازيّ ٢٨:٤، وتفسير ابن كثير ١٢٧:٢، وتفسير الخازن ١:٢، والكشاف للزمخشري ٤٤٨:١، والشّوكانيّ في تفسيره ١٠٣:٢.

«٨» أنظر إلىٰ الافتراء المفضوح بأن هنالك من عمّم نزول الآية في أعمام النبيﷺ، ولم يكتف بأبي طالب، بل شمل حمزة سيّد الشهداء، كما جاء في أسباب النزول :٩٨، مخرجاً عن أبي حاتم، عن سعيد بن أبي هلال، وتفسير ابن كثير ١٢٧:٢، ألا ساء ما يحكمون؟!.

١ - المستدرك علىٰ الصحيحين ٣٧٣:١.وهذه الأحاديث المروية في النهي عن زيارة القبور منسوخة، والناسخ لها حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فقد أذن الله تعالىٰ لنبيهﷺ في زيارة قبر أُمه، وهذا الحديث مخرج في الكتابين الصحيحين للشيخين. أنظر المستدرك علىٰ الصحيحين ٣٧٤:١، الوفا بأحوال المصطفىٰ :١١٧.

فصل:

في

بيان خاتمة أبي طالب

بيان حسن خاتمة أبي طالب

اعلم أنّا لما أثبتنا نجاة الوالدين الشريفين بالأدلة الثابته، بل جميع الآباء، ورددنا شبهات المعارضين، بالأدلة الثابته، أردنا أنْ نختم الكتاب بإثبات نجاة أبي طالب تتميماً للفائدة، وتكميلاً لبيان جاه سيّد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين فضلاً عن الآخرين، ولنستمد من الله تعالىٰ ومن روحانية رسول الله ﷺ، ولنقدم بين الشروع في المقصود، مقدمة علىٰ سبيل الأختصار:

فنقول: قال القاضي عضد الدين في المواقف : حقيقة الإيمان عندنا، وعليه أكثر الأئمة، كالقاضي، والأُستاذ، التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة تفصيلاً فيما علم تفصيلاً وإجمالاً[1].

فيما علم إجمالاً قال شارحه: عنىٰ بقوله عندنا الشيخ الأشعري، وقال الشيخ ابن حجر في شرح الأربعين، وأمّا ما وقع للإمام النوويّ [2] في شرح مسلم، أنّ من

---

١ - قال العينيّ في شرح البخاريّ ١:باب الإيمان :١٠٢ دار الفكر: قالوا الإيمان فعل القلب فقط. وهؤلاء قد اختلفوا علىٰ قولين:

أحدهما: هو مذهب المحققين وإليه ذهب الأشعري وأكثر الأئمة، كالقاضي عبد الجبار والأُستاذ أبي إسحاق الاسفرايني والحسين بن الفضل وغيرهم أنه مجرد التصديق بالقلب..

ثانيهما: أنّ الايمان معرفة الله تعالىٰ وحده بالقلب والإقرار باللسان ليس بركن فيه ولا شرط، حتّىٰ إنّ من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أنْ يقر به فهو مؤمن كامل الإيمان، وهو قول جهم بن صفوان .

٢ - هوأبو زكريا يحيىٰ بن شرف الدين «النوويّ» الشافعيّ «ت ٦٧٦هـ». له كتب كثيرة منها كتاب تهذيب الاسماء واللغات. راجع الرسالة المستطرفة :١٦٧.

آمن بقلبه، ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلداً في النار، فمفترض بأن الإجماع علىٰ خلاف ذلك، وبأن لكل واحد من الأئمة الأربعة قولاً، إنه عاص بترك التلفظ الّذي عليه الجمهور، والأشاعرة، وبعض محققي الحنفية، كما قال الكمال المحقق ابن الهمام، وغيره: إن الإقرار باللسان، إنما هو شرط لأجراء الأحكام الدنيا فحسب. « انتهىٰ».

وقال العلاّمة العينيّ في شرح البخاريّ: إن الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام فقط، حتّىٰ إنّ من صدق الرسول في جميع ما جاء به فهو مؤمن، فيما بينه وبين الله تعالىٰ، وإنْ لم يقر بلسانه.

وقال حافظ الدين النسفي هو المروي عن أبي حنيفة[١] وإليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين، وهو قول أبي منصور الماتريدي، انتهىٰ الغرض من كلام العينيّ[٢].

وقد قرر الغزاليّ رحمه الله تعالىٰ هذا المذهب في الإحياء[٣] وغيره من كتبه والحال فيه، وهو قول إمام الحرمين، وقد تقدم عن المواقف أنه قول الأشاعرة وقول القاضي، والأُستاذ، وعن شارحه أنه قول جمع من المعتزلة، ونسبه التفتازانيّ إلىٰ جمهور المحققين، وأيد هذا شيخنا في قصد السبيل، واستدل بأحاديث :

منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: « من علم أنّ الله ربه، وأني نبيه، صادقاً من قلبه وأومأ بيده إلىٰ جلدة صدره، حرم الله لحمه علىٰ النار».

رواه الطبرانيّ [٤] في الكبير عن عمران بن حصين.

---

١ - قال العلاّمة أحمد زيني دحلان الشافعيّ في أسنىٰ المطالب :٧ ط ٢ نقلاً عن البرزنجيّ...قال السفاقسي في شرح التمهيد: إنّ كون الإيمان هو التصديق فقط والرواية الصحيحة عن الإمام أبي حنيفة .

٢ - العينيّ ١٠٣:١ باب الإيمان / دار الفكر .

٣ - إحياء علوم الدين للغزالي ١٧١:١، ط / دار الهدي بيروت .

٤ - الطبرانيّ في الكبير ١٢٤:١٨ ح ٢٥٣ / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ. والطبرانيّ : هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الشافعيّ «الّطبراني» منسوب إلىٰ طبرية الشام، مسند الدنيا، الحافظ المكثر، صاحب التصانيف الكثيرة،«ت ٣٦٠هـ»عن عمر ناهز مئة سنة وعشرة أشهر. أُنظر الرسالة المستطرفة : ٣٤.

ومنها: قوله ﷺ: « من مات وهو يعلم أنْ لا إله إلا الله دخل الجنة».

رواه الشيخان[١] عن عثمان بن عفان.

ومنها: «من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة».

رواه الطبرانيّ، عن سلمة بن نعيم الأشجعي قال: قلت: يارسول الله وإن زنىٰ، وإن سرق، قال: وإن زنىٰ، وإن سرق»[٢].

ومنها: قوله ﷺ: « لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان».

أخرجه مسلم[٣] عن ابن مسعود[٤] وجابر[٥].

---

١ - رواه مسلم ١: ٩٤ كتاب الايمان / باب ١٠: ٥٥..

٢ - رواه مسلم ١: ٩٤ كتاب الإيمان / باب ٤٠ وقال الطبرانيّ في الكبير ١٧: ٣٣٩ ح ٩٣٦ و ح ٩٦٩ : ٣٥١، عن عبد الرحمن بن عائذ عن عقبة بن نافع...قال: قال رسول الله ﷺ: من لقي الله لايشرك به شيئاً لم... بدم حرام دخل الجنة.

٣ - صحيح مسلم ١: ٩٣ / كتاب الإيمان باب ٣٩.

٤ - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أسلم قديماً وأجهر بالقرآن في مكّة، هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها. راجع ترجمته في أسد الغابة ٣: ٢٥٨.

٥ - هو جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري شهد العقبة مع أبيه وكان صغيراً، وشهد صفين مع عليّ عليه السلام توفي ٧٤ أو ٧٧ وعمره تسعون سنة ودفن بالمدينة .راجع أسد الغابة ٤: ٢٩، المعارف ٣٠٧.

حديث الشفاعة:[١]

قال المصنف: وفي أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير، حتّىٰ يقال له ﷺ: «أخرج من النار مَن في قلبه أدنىٰ، أدنىٰ، أدنىٰ، مِن مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنىٰ ثلاث مرات». وهو في صحيح مسلم[٢]. وسنورد بعضها في فصل.

ونقل التفتازانيّ في شرح الأربعين: أنّ شرط نجاته في الآخرة إذا لم يطالب

---

١ - لقد أرسل الله الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، وبعثهم للخلق رحمة وهداة للناس أجمعين، ثم أرسل علىٰ فترة منهم رسولاً عظيماً ونبياً رحيماً، يحرص علىٰ هداهم رحمة بهم، ويدعوهم إلىٰ مافيه سعادتهم وحياتهم شفقة عليهم: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» وماكانت هذه الشفقة ولاتلك الرحمة إلاّ من فيض العطايا الربانية والمنح الإلهية الّتي جاد بها علىٰ رسول الله ﷺ لخير الإنسانية وسعادة البشرية «كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً» ولذلك فإنها تضاعف وتزداد في الآخرة إكراماً لنبيه وتقديراً لسمو منزلته ورحمة منه لعباده عزَّ وجلَّ « وكان بالمؤمنين رحيماً» وإذا كان يوم القضاء واشتد الكرب وهال الأمر وعظم الموقف، وتمنىٰ الخلائق أن لو انصرفوا من شدة هذا الهول وجلال القيامة وزلزلة الساعة، وفزع الناس إلىٰ الأنبياء والرسل وأحالوهم بدورهم علىٰ نبي الرحمة وشفيع الأُمّة ومغيث الخلائق، تجلت الرأفة وتدفقت الشفقة، وتحركت العواطف للأخذ بيد المتوسلين وإنقاذ المستشفعين والاستجابة للمستغيثين، ولاعجب فإنه كعبة الفضل، وقبلة الرجاء، وغاية الأمم، ومحط الآمال، فالتوجه والاستغاثة والاستشفاع به ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ليس له عند المسلمين وفي قلوبهم غير ذلك المعنىٰ المشار إليه: «قل لله الشفاعة جميعاً» إنه لم يعطها لما عبد من دونه ولا لمن عبد وكان راضياً، فالقصر في هذه الآية إضافي، المراد منه نفي شفاعة الأوثان في عابديها، ونفي شفاعة جميع المعبودين في عابديهم.

فقد روىٰ أحمد والترمذيّ وابن ماجة عن أبي سعيد الخدريّ ﵁ قال: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولافخر، وبيدي لواء الحمد ولافخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر» وروىٰ البزار والطبرانيّ عن عليّ بن أبي طالب ﵇ أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأُمتي حتّىٰ ينادي ربي تبارك تعالىٰ فيقول: قد رضيت يامحمّد؟ فيقول: إي ربي رضيت». أُنظر صحيح مسلم ١٣٤:١ مطبعة محمّد عليّ صبيح وأولاده ط. مصر، والمستدرك علىٰ الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوريّ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبيّ ٦٦:١ ط دار المعرفة / بيروت لتجد الكثير عن بحث الشفاعة.

٢ - صحيح مسلم ١٨٣:١ /كتاب الإيمان باب ٨٤.

به فامتنع عناداً[١].

قال المصنف: المراد عناد الإسلام، وعبارة التفتازانيّ علىٰ وجه الأبـاء، أي والمراد الأباء عن الإسلام، ويفهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباءً عنه وعناداً، بل لخوف من ظالم، أو من ملامة أو مسبة، عند من يعظم عليه ذلك، ويتحرج منه وقلبه مطمئن بالإيمان، أنه لا يكون كافراً بينه وبين الله، بل لو تكـلم بالكفر، والحالة هذه، لا يضره وهو كذلك قال، تعالىٰ:﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[٢].

ثم يعلم بالشهادتين: ليس النطق بخصوصهما خلافاً للغزالي رحمه الله تعالىٰ، كما ذكره النوويّ في الروضة، ونسبه إلىٰ الجميع.

فنقل عن الحليميّ[٣] في منهاجه: أنه لاخلاف أنّ الايمان ينعقد بغير القول المعروف، وهو كلمة لا إله إلا الله، حتّىٰ لو قال: لا إله غير الله، أو ماعدا الله، أو سوىٰ الله، أو ما من إله إلاّ الرحمن، أو لا رحمن إلا الله، أو إلاّ الباري، فهو كقول لا إله إلاّ الله. «انتهىٰ»[٤].

وكذا قالوا في الشهادة الثانية: حتّىٰ لو قال مـحمّد نـبي الله، أو مـبعوثه، أو أحمد، أو الماحي، أو غير ذلك، أو ما يؤدي معنىٰ ذلك بـاللغات المـعجمة صـح، إسلامه، وحكم بكونه مسلماً.

إذا علمت ذلك فنقول: تواترت الأخبار، أنّ أبا طالب كان يحب النبي ﷺ، ويحوطه، وينصره، ويعينه علىٰ تبليغ دينه، ويـصدقه فـيما يـقول، ويأمـر أولاده، كجعفرٍ، وعليٍّ، باتباعه ونصره[٥]، وكان يمدحه في أشعاره، وأنه قد نطق بـحقيقة

---

١ - شرح الأربعين.

٢ - النحل :١٠٦

٣ - هو العلاّمة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النـهر أبـو عـبد الله الحسـين بـن الحسـن بـن مـحمّد بـن حـليم البـخاريّ الحـليميّ الشـافعيّ «ت٤٠٣هـ» صـاحب وجـوه الحسـان فـي المذهب. وكان مـن أذكـياء زمـانه ومـن فـرسان النـظر، له يـد طـولىٰ فـي العـلم والأدب. له ترجمة في تذكرة الحفاظ: ٣: ١٠٣٠.

٤ - المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١: ١٨٣ / دار الفكر «ضمناً لا نصاً»

٥ - عن طريق عبد الله بن ضُميرة، عن أبـيه، عـن عـليّ، أنـه لمـا أسـلم قـال له أبـو طـالب :إلزم

دينه، فمن كلامه المعروف بين الخاص والعام:

ولقد علمت بأنَّ دين محمّد	من خير أديان البرية ديناً (١)
لولا الملامة أو حذار سُبَّة	لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً (٢)

وقال أيضاً:

ابن عمك»، ومن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه، عن عمران بن حصين: أن أبا طالب قال لجعفر بن أبي طالب لما أسلم قبل جناح ابن عمك، فصلّى جعفر مع النبي ﷺ الإصابة ٧: ١٩٨، ط دار الكتب اعلمية بيروت.

١ - تاريخ أبي الفداء ١: ١٢٠.

٢ - هذان البيتان هما من قصيدته النونية الّتي قالها «أبو طالب» لرسول الله ﷺ لما أخافته قريش أولها:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتّى أوسَّد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ماعليك غضاضة	فكفى بنا دنيا لديك ودينا
ودعوتني وزعمت أنّك ناصح	فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار سبّة	لوجدتني سمحاً بذلك ضنينا

قال السيّد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب: ١٤: إن هذا البيت الأخير موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه. لكن العلاّمة الأميني قال: هب أنّ البيت الأخير من صلب مانظمه أبو طالب فإن أقصى مافيه أنّ العار والسبّة اللذين كان أبو طالب يحذرهما خيفة أن يسقط محلّه عند قريش، فلاتتسنى له نصرة الرسول المبعوثﷺ إنما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: لوجدتني سمحاً بذاك مبينا.أي مظهراً، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيّناً بينه وبين أبياته الأُولى الّتي ينص فيها على أن دين محمّد ﷺ من خير أديان البرية ديناً، وأنّه ﷺ صادق في دعوته أمين على أُمّته.

أُنظر تفسير الثعلبيّ والّذي قال فيه «قد اتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل، وهبة الله بن عباس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار، ديوان أبي طالب :١٢، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش السيرة الحلبية ١: ٩١، ٢١١، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٦، تاريخ أبي الفداء ١: ١٢٠،فتح الباري ٧: ١٥٣، الإصابة ٤: ١١٦، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ١: ٦١،تاريخ ابن كثير ٣: ٤٢، الواحديّ في أسباب النزول: ١٦١، في تفسير قوله تعالى: «وهم ينهون عنه وينأون عنه»، الأنعام: ٢٦.

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولاً كموسىٰ صح ذلك في الكتب(١)

وقد أوصىٰ قريشاً عند موته باتباعه وقال: « والله لكأني به وقد غلب، ودانت له العرب والعجم، فلا يسبقنكم إليه سائر العرب، فيكونوا أسعد به منكم»(٢).

---

١ - ديوان أبي طالب: ١٦٠ دار كوفان / المملكة المتحدة فنلنده / جمعه العانيّ.

٢ - لقد أورد صاحب السيرة النبوية ١:٨٦، والحلبية ١:٣٧٥، والسيرة لزيني دحلان بهامش الحلبية ١:٩٣، أسنىٰ المطالب :٥، الروض الأنف ١:٢٥٩، المواهب ١:٧٢، تاريخ الخميس ١:٣٣٩، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ٢:٩، بلوغ الإرب ١:٣٢٧، نص الوصية بعد أنْ أدار الشيخ عينيه علىٰ الجموع المحيطة به من بنيه وأهليه، حتّىٰ يلقي علىٰ عواتقهم المهمة الصعبة الّتي تحملها طيلت السنوات الماضية في نصرة الرسول الأعظم، وإن كانت ثقيلة لكنها بالنسبة إليهم عظيمة، لما فيها من العز والشرف، ولذا انبرىٰ الشيخ العجوز، صاحب الهيبة والوقار وشيخ الأبطح الّذي لا ينازعه في ذلك منازع قائلاً بصوت كله ألم وحزن لعلمه لما يناله هذا الفتىٰ من أذىٰ هؤلاء السفهاء من أمثال أبي لهب وأبي جهل وعتبة وعتيبة وشيبة وصناديد قريش، فقال مخاطباً اياهم:

«يامعشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا: أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر، نصيباً إلا أحرزتموه...ولا شرفاً إلا أدركتموه...فلكم بذلك علىٰ الناس ،الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة. والناس لكم حرب، وعلىٰ حربكم إلب...واني أُوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ مكّة ـ فإنّ فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة...صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم: منسأة في الأجل، وزيادة في العدد..واتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم...أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات...وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما: محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً...فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، هو الجامع لكل ما أُوصيتكم به...وقد جاءنا بأمر، قَبِلَه الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنآن...وايم الله! كأني أُنظر إلىٰ صعاليك العرب وأهل الأطراف، والمستضعفين من الناس، وقد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته وعظموا أمره...فخاض بهم غمرات الموت...وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً...! وإذ أعظمهم عليه أحوجهم إليه! وأبعدهم منه أحظاهم عنده! قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها...دونكم ـ يامعشر قريش ـ ابن أبيكم...كونوا له ولاة، ولحزبه حماة...والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد...ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي...».

وأخرج ابن سعد في طبقاته الكبرىٰ: أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني المطلب،

فقد حصل له التصديق بقلبه، بل وبلسانه، فعلىٰ هذا هو في الآخرة ناجٍ، ويدخل الجنة.

فإن قلت: قد صح الحديث بكفره، ويكون في النار، فلا عليك القول بنجاته، لأنه ﷺ، قد أخبر بحاله فيما بينه وبين الله تعالىٰ في الآخرة، فدل علىٰ أنه لم يكن مصدقاً بقلب، وما صدر منه من نصرة النبي ﷺ، كان من باب حمية العرب والأنفة، من أنْ يغتال ابنه بين يديه، وقد كفله بذلك عبدالمطلب إلىٰ غير ذلك.

قلت الجواب: إنّ نفس الحديث الّذي ذكرته يدل علىٰ نجاته، وذلك أنّ الله تعالىٰ قد أخبر عن الكفار، فإنهم لا يخفف عنهم من عذابها، وبأنهم لا يفتر عنهم وبأنهم مالهم منها بمخرجين[١]، إلىٰ غير ذلك.

وقد صح أنه نزل فيه:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءامَنُوا... إلىٰ قوله الجَحِيمِ﴾[٢].

وقد مرّ في الأثر الصحيح: أن الجحيم هي الطبقة السادسة من النار، وأخبر ﷺ : « أنه أخرج من طماطم النار وغمراتها[٣]، إلىٰ ضحضاح[٤] منها،

فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد، وما أتّبعتم أمره، فاتّبعوه وأعينوه ترشدوا.

وفي لفظ: يامعشر بني هاشم! أطيعوا محمّداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا.

راجع هذه الوصية في تذكرة السبط :٥، الخصائص الكبرىٰ ١:٨٧، السيرة الحلبية ١:٣٧٢، سيرة زيني دحلان هامش السيرة الحلبية ١:٩٢، أسنىٰ المطالب :١٠.

وقال العلاّمة الأميني: فليس من العقل والحكمة أن يدعو لمحمد ﷺ وتصديقه أن يكون ـ والعياذ بالله ـ كافراً، بل أي مؤمن هذا، وأي نصير مثله؟

١ - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: «فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون» البقرة: ٨٦.

٢ - التوبة:١١٣.

٣ - الغمرات بفتح العين والميم جمع غمرة بفتح الغين المعجمة وتسكين الميم، وهي المعظم من الشيء .راجع لسان العرب.

٤ - الضخضاخ كما قال ابن الأثير في النهاية في حرف الضاد، أو الضحضاح: بفتح الضاد المعجمة بعدها الحاء المهملة الساكنة: هو في الأصل مارق من الماء علىٰ وجه الأرض مايبلغ الكعبين، فاستعاره للنار. وهذا الحديث، من الأحاديث المشهورة، والّتي تمسك بها القوم دليلاً علىٰ كفر أبي طالب. راجع البخاريّ في صحيحه ج ٦:٣٣، ومن الغريب جداً أنّ باب إيمان أبي طالب لا يوجد في الطبعة الأولىٰ، ط «بولاق»، صحيح مسلم ج ١:٧٧، طبقات ابن سعد ١:١٢٤، مسند أحمد ١:٢٠٦،تاريخ ابن كثير ٣:١٢٥، مسند أحمد ١:٣٣٩/ دار إحياء التراث العربي ، الذهبيّ في سيرته :١٥٠/ دار الكتب العلمية،

الخصائص الكبرىٰ ١٤٧:١/ دار الكتب العلمية، عيون الأثر ١٣٢:١/ دار المعرفة بيروت ، مسند البزاز ١٣٧:٤/ ط ١ مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة، المنتخب لعبد بن حميد :١٣٥، ط عالم الكتب بيروت مكتبة النهضة، كنز العمال ح ٣٤٠٩٢، تاريخ ابن عساكر ١٠٧:٣، المصنف لعبد الرزاق ح ٩٩٣٩، ابن حبان في الثقات ٣٥:١، نهاية الإرب :٢٢٠، المعارف لابن قتيبة :١٢٠، مسلك الحنفا «ضمن الحاوي للفتاوي ٢٢٨:٢.

ومن اللافت للنظر أنّ رواة هذه الأحاديث جميعاً بين كذاب مشهور، أو مدلس، أو وضاع، أو مجهول، فمثلاً الرواية الّتي ينقلها مسلم عن ابن أبي عمير فهذا مجهول لا يعرف .أمّا سفيان فقد قال عنه الذهبيّ في ميزان الأعتدال ١٦٩:٢«إنه كان يدلس، ويكتب عن الكذابين» أمّا عبدالملك بن عمير، قال أبو حاتم ليس بحافظ، فقد تغير حفظه بعد أنْ كان حافظاً، وقال أحمد: إنه ضعيف يغلط، وقال ابن معين: إنه مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد: إنه ضعيف جداً، وقال ابن حبان: إنه كان مدلساً. راجع ميزان الأعتدال ٢٢: ٦٩٠.

وقد بحث الحجة الأميني في الغدير ٢٣:٨ هؤلاء الرواة. وكذلك الأستاذ عبد اللّه الخنيزيّ. وعلىٰ أية حال إنّ هذا الحديث معارض بالحديث الّذي نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣١٢:٣ «بأنّ أبا طالب ما مات إلا أنْ قال: كلمة الشهادة، مضافاً إلىٰ شهادة الرسول الأعظم ﷺ في حق هذا الصحابي الجليل» ولكن مبعث هذا الحديث وغيره هو معاوية بن أبي سفيان الّذي استأجر، بل اشترىٰ النفوس الضعيفة، بل الساقطة من حثالة المجتمع، والّذي يطلق علىٰ بعض منهم بالصحابة، وأغدق عليهم الأموال حقداً وحسداً علىٰ عليّ عليه السلام.

ثم إن هذه الأحاديث أصلها واحد وراويها منفرد بها، وهو المغيرة بن شعبة الثقفي الّذي اسلم عام الخندق، وكان موصوفاً بالدهاء، ولاّه عمر بن الخطاب البصرة حتىٰ شهد عليه بالزنا فعزله، ثم ولاّه الكوفة حتىٰ عزله عثمان، ثم ولاّه معاوية الكوفة حتىٰ مات عام٥٠ هـ، وكان المغيره ممن يكره الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته، بل كان يلعن علياً لعناً صريحاً علىٰ منبر الكوفة، كما ورد في شرح النهج ٣٥٨:١و ٣٦٠، ابن الأثير في الكامل حوادث «٤١هـ»، الأذكياء لابن الجوزيّ :٩٨، مسند أحمد ٣٦٩:٤، فهذا الزاني الّذي وردت قصته في تاريخ الطبريّ حوادث سنة ١٧هـ، وابن الأثير في الكامل أيضاً والمختصر في اخبار البشر لابي الفداء، والاخبار الطوال للدينوري :١١٨، ط مصر، والحاكم في المستدرك ٤٤٨:٣، ط حيد آباد دكن، والذهبيّ في تلخيص المستدرك بذيله ٤٤٨:٣ ،طبقات الشافعية للسبكي ٢: ٢٠٩، ط مصر، وفيات الأعيان لابن خلّكان في ترجمة يزيد بن زياد بن أبي ربيعة بن مفرغ، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٢٣٥:٨، عمدة القاريّ في شرح صحيح البخاريّ للعيني ٣٤٠:٦، ط الإستانة، ورغم كلّ ذلك هو البطل

وخفت عنه من عذابها، وجعل أخف أهل النار عذاباً، أُلبس نعلين من النار فصارت النار، لا تُغطّي ظهر قدميه، وإنْ كان يغل دماغه من حرها، فإنّ تأثيرها من داخل جسده، وهذه هي أعلا النار، لا أعلا منها، بحيث ما مَسَّت النار إلا تحت قدميه، وليس هذا إلاّ في الطبقة الفوقانية، الّتي هي مكان عصاة هذه الأُمّة وستنطفيء نارها، وتصفق الريح أبوابها، وينبت فيها الجرجير في قعرها، ولا يجوز أنْ ينبت في قعرها جرجير، وفي قعرها نار تمس تحت القدم، فوجب أنْ يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلّها صحيحة»(١).

ثم نقول: قد ورد في الخبر الصحيح، أنه ﷺ قال: « شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي»(٢).

المغوار الّذي مهد الولاية ليزيد بن معاوية، وهو الّذي حسن الخروج لعائشة إلىٰ البصرة، حتىٰ كان من أمرها ماكان بغضاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام .ولكن ومع الأسف الشديد ذهب الإنصاف من ابن حجر في الإصابة، فقد عدّه من الصحابة، راجع ٣:٤٥٢، أُسد الغابة ٤:٤٠٦، تهذيب التهذيب ١٠:٢٦٣.

١ - راجع أحاديث الضحضاح، مع العلم أنّ روايات الدرك الأسفل من النار، الّتي وردت في صحيح البخاريّ ٢:ح ٣٦٧٠ وح ٣٦٧٢ / باب قصة أبي طالب، مع اضطرابها واختلاف رواياته، أنّ النبي ﷺ يشفع للمذنبين في حياته قبل موته، وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أنّ شفاعته لهم لا تكون إلاّ يوم القيامة، وأنّ النار موجودة، وأنّ آية «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» باعتبار الجمع المعروف، وبتأخير العذاب عنهم إلىٰ يوم القيامة أنه لا أصل له .

٢ - أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ٢:٤٤٣ ح ١١٠٦، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله يقول: ألا إنّ شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي إلاّ من قتل عليّ بن أبي طالب. فقد ذكر جملة من المحققين أنّ رسول الله ﷺ لما أخبر بموت أبي طالب توجع توجعاً عظيماً، وحزن حزناً شديداً ثم قال لأمير المؤمنين عليه السّلام امض ياعليّ فتول أمره...وأعلمني..فلما رفعه علىٰ السرير اعترضه النبي ﷺ فرق وتحزن، وقال: وصلتك رحم وجزيت خيراً ياعم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت، وآزرت كبيراً، ثم أقبل علىٰ الناس وقال:«أمَ والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين.» ذكر ذلك إمّا بالنص أو بالمضمون صاحب تذكرة الخواص، والبيهقيّ في دلائل النبوة، وابن سعد في طبقاته الكبرىٰ، وابن عساكر كما في أسنىٰ المطالب، وابن أبي الحديد في النهج ١٤:٧٧، الحجة علىٰ الذاهب لتكفير أبي طالب :٢٩٨، والسيرة الحلبية ١:٣٧٣، والإصابة ٤:١١٦، وبحار الأنوار.

وفي لفظ: «لمن لم يشرك بالله شيئاً»، واللام للاختصاص، مثل الحمد، ومعناه شفاعتي مختصة بأهل الكبائر، يعني أنّ الشفاعة الّتي هي لغفران الذنوب، تختص بأهل الكبائر، فإنّ الصغائر يكفرها أجتناب الكبائر صح، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين[1]، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2].

وإذا لم يغفر ذلك الذنب، لايرفع عنه الّذي في مقابلته، وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة؛ لأن كلّ عذاب في مقابله ذنب مالم يغفر، وإذا لم يغفر الشرك صدق أنه لا تنفعه شفاعة الشافعين.

ويستنتج من هذا الحديث أمران:

«١»أنـه ﷺ: أمر علياً بتغسيله، وتكفينه، دون الحاضرين من أولاده. إذ كان من حضر منهم سوىٰ عليّ بن أبي طالب، هو المسلم والمؤمن، والبقية من أمثال جعفر بن أبي طالب كان يومئذ ببلاد الحبشة. أمّا عقيل وطالب هما يومئذ على خلاف الإسلام، ولم يسلم واحد منهما بعد. ولو كان أبو طالب كافراً لكان عقيل أحق بتولية أمره من عليّ بن أبي طالب، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره؛ لانقطاع العصمة بينهما، وأمر رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب بغسله، وتطهيره، وتحنيطه، وتكفينه، ومواراته، لهو صدق إيمانه، وموته على الشريعة الإسلامية.

«٢»إنّ دعاء النبي ﷺ: له بالخير، والخيرات، ونحن نعلم ما أثر دعاء النبي ﷺ للمؤمن خاصة، وللمسلم عامة، من أثر إيجابي، وكذلك شفاعته ﷺ الّتي قالها لأبي طالب، والّتي يعجب منها أهل الثقلين، فهل هذه الشفاعة عاطفية من قبله ﷺ، أم شفاعة عن حقيقة واقعية؟

والجواب: هي شفاعة عن قناعة؛ لأنه لاتأخذه العاطفة هنا، ولما وسع لرسول الله ﷺ أنْ يثني عليه بعد الموت، وان يدعو له، بل كان يجب عليه علىٰ الأقل اجتناب ذلك، إن لم نقل يدعو عليه بالذم، وهو الّذي لا يحيد عن الحق أبداً، كما قال ﷺ في حديثه المشهور: «لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها». وهناك الكثير من الروايات الّتي وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السّلام بحق أبي طالب، مثل «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأُخرىٰ لرجح إيمان أبي طالب»، وحديث «إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك النار»، كما ورد في كنز الفوائد ١٨٣:١، والحجة على الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب :٨٥، شرح النهج لابن أبي الحديد ٦٨:١٤.

١ - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» النساء: ٤٨ و١١٦.

٢ - النساء:٤٨.

والشافعون: جمع محلىٰ باللام، فتفيد العموم، فتدخل شفاعته عليه السلام.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنه في قوله تعالىٰ:﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[١]، العهد قول: لا إله إلا الله، فدل علىٰ أنه لا شفاعة لغير موحد.

قال الإمام في أسرار التنزيل: الّذي يدل علىٰ صحة قول ابن عبّاس وجوه:

الأوّل إنّ قوله :﴿إلاَّ منِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[٢]. نكرة في ظرف الثبوت، وذلك لا تفيد إلا عهداً واحداً، ثم أجمعنا علىٰ أنّ ماسوىٰ الايمان، فإن الواحد منه، بل مجموعه، لا تفيد تلك الشفاعة البته، فوجب أنْ يكون ذلك العهد الواحد الّذي يفيد تلك الشفاعة هو الإيمان «انتهىٰ»[٣].

وقال تعالىٰ:﴿وَلاَيَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾[٤].

قال الإمام يعني قول: لا إله إلاّ الله، فإنْ قلت: هذا تفسير هاتين الآيتين يدلُّ علىٰ أنّ موجب الشفاعة شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، ولا كلام فيه، وإنما الكلام في اختصاص الشهادة بالموحد، وعدم تجاوزها الشرك، والإتيان رضي فيه.

وأمّا ثانياً: فقد قال في أسرار التنزيل: قال بعض العلماء: في قوله عليه السلام: «أُمرت أنْ أُقاتل الناس حتّىٰ يقولوا لا إله إلاّ الله»[٥]:

إنّ الله جعل العذاب عذابين:

أحدهما: السيف في يد المسلمين.

وثانيهما: عذاب الآخرة.

---

١ - مريم:٨٧.

٢ - مريم ٨٧.

٣ - أسرار التنزيل :٧٥ تحقيق: محمود أحمد محمّد، وبابا عليّ الشيخ عمر، وصالح محمّد عبد الفتاح .

٤ - الزخرف:٨٦.

٥ - المستدرك ١:٣٨٦ و ٣٨٧ و٢:٥٢٢، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة، ورواه البخاريّ ٣:٢٦٢ و٦:١١١ و١٢:٢٧٥ و١٣:٢٥٠، فتح الباري الطبعة السلفية، السيرة النبوية للذهبي :١٤٩ عن العباس، تاريخ الذهبيّ ١:١٣٨، شرح النهج ١٤:٦٨، الحجة علىٰ الذاهب :٩٤، تذكرة الخواص :١٠ .

فالسيف في غلاف يُرىٰ، والنار في غلاف لا يُرىٰ، فقال تعالىٰ لرسوله ﷺ: «من أخرج لسانه من الغلاف المرئي، وهو الفم فقال: لا إله إلا الله، أدخلنا السيف في الغمد، الّذي يُرىٰ، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الّذي لا يُرىٰ، وهو السر فقال: لا إله إلا الله، أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة، حتّىٰ يكون واحد بواحد، ولا ظلم ولا جور»[١]. «انتهىٰ».

والحاصل أنّ النافع في رفع العذاب الأُخروي القول القلبي فقط، وفي رفع العذاب الدنيوي، هو القول اللساني فقط، وإذا علمت أنْ لا شفاعة لغير الموحد بقلبه، علم أنها مختصة بالموحدين من المؤمنين بقلوبهم، وأبو طالب قد خُفف عنه العذاب وأُخرج من غمرات[٢] النار إلىٰ ضحضاخ منها[٣] وقد نالته ونفعته الشفاعة بنص الأحاديث الصحيحة[٤]، فوجب أنْ يكون من أهل الكبائر، ماعدا الكفر، ووجب أنْ يخرج من النار؛ لأنه صار من عصاة الأُمّة الذين في الطبقة العليا، وكلّ من كان كذلك يخرج منها، وهذا معنىٰ قوله ﷺ:« أرجو من ربيّ كلّ خير». حين سُئل أترجو لأبي طالب خيراً[٥].

فإن قلت: قد أثبت العلماء له ﷺ فرعاً من الشفاعة، وهو التخفيف عن الكفار، قلت: إنما أثبتوا ذلك بشفاعته لأبي طالب، فهو أوّل الدعوىٰ، فإنّا أثبتنا بشفاعته إيمانه، وإنْ كان لهم دليل آخر فليذكروه، حتّىٰ ننظر فيه، إنْ أرادوا الكفار في ظاهر الشرع، فليرجع النزاع لفظياً.

---

١ - أسرار التنزيل :٤٩، تحقيق: محمود أحمد محمّد.

٢ - الغمرات بفتح العين والميم جمع غمرة بفتح الغين المعجمة وتسكين الميم، وهي المعظم من الشيء.

٣ - سيأتي الحديث عن الضحضاخ.

٤ - راجع أحاديث الضحضاح، وأحاديث الشفاعة، وصحيح البخاريّ في كتاب الأنبياء باب «٣» قول الله عزّ وجلّ «ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه» ح رقم «٣٣٤٠» ٦:٣٧١، وصحيح مسلم في كتاب الايمان باب «٨٤»أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح رقم «١٩٤» ١:١٨٤، والترمذيّ في كتاب صفة القيامة، باب «١١» ما جاء في الشفاعة ح رقم «٢٤٣٤»ج ٤:٦٢٢.

٥ - الخصائص الكبرى ١:١٤٧ ط ١ / دار الكتب العلمية بيروت.

ثم إنّ النار اسم للطبقات كلّها، وقد أخبر ﷺ: «أنّ أبا طالب أخف أهل النار عذاباً علىٰ الإطلاق»[١]. وتبين وجه ذلك بأنّ النار، لا تمس إلا تحت قدميه، فلا يجوز أنْ يكون كافراً؛ لأن في المؤمنين من صح الأخبار عنهم في ذنب واحد، كالغلول، والعقوق، وتعذيب الهرة، والتبختر، بعذاب أكبر من هذا، ولو كان كافراً لكان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعاً، هذا مما لا يشك فيه. فإنّ الكفر أكبر الكبائر، ولا يغفر بخلاف بقية الكبائر، ولو وجد مؤمن عاص أخف عذاباً من أبي طالب، لزم الخُلف في قول الصادق حيث جعله أخف أهل النار علىٰ الإطلاق[٢].

فوجب أنْ يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين في مقابلة كبيرة، هي ترك النطق بالشهادة، إنْ قلنا إنه لم يعقد بما نطق به، كما هو ظاهر الصحيحين[٣].

وإنْ قلنا بالاعتداد به، أو بأنه قد نطق بها، كما روي عن العباس ﷺ أنه قال: «يابن أخي! والله قد قال أخي الكلمة الّتي أمرته بقولها».

أخرجه ابن سيّد الناس في سيرته[٤]، مقابلة فرض العلة، ترك الصلاتين الملتين، كان يصليهما رسول ﷺ، أو التهجد الّذي كان فرضاً عليهم أوّل الإسلام، ولا يفيد أنْ يخفف العذاب عنه؛ لأن أكثر واجبات الشرع، بل وأركان الإسلام الخمسة غير النطق بالشهادتين، لم تكن فرضتا إذ ذاك، فإنّ الصلاة فرضت ليلة المعراج، وهو علىٰ الأصح، بعد موت أبي طالب، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، إنما فرضت بعد الهجرة، وبقية مكارم الأخلاق، كصلة الرحم، وإكرام الضعيف، وحمل الكل والإعانة علىٰ نوائب الحق، ونصرة رسول الله ﷺ، كان هو أُمّها ومعدنها.

---

١ – صحيح مسلم ١:١٩٥، باب الإيمان، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ قال: أهون أهل النار عذاباً أبو طالب...ومسند عبد بن حُميد: ١٣٥ / دار عالم الكتب بيروت مكتبة النهضة...قال أهون أهل الأرض عذاباً...

٢ – إشارة إلىٰ حديث الضحضاح .

٣ – إشارة إلىٰ مارواه مسلم والبخاريّ من طريق الزهري عن سعيد بن الحسين عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل.......»الإصابة ٧:١٩٩ / دار الكتب العلمية، وصحيح البخاريّ ٥: مناقب الأنصار، باب ٣٩ : ٦٥.

٤ – عيون الأثر لابن سيّد الناس ١:١٣١ / دار المعرفة بيروت لبنان .

رواية الصلاة والميراث:

فإن قلت: لم يرو أنه ﷺ صلّىٰ عليه، ولا ورَّثَ جعفراً[١] وعلياً منه.

قلت: هذا إنّما يرد لوكان النبي ﷺ سمع منه النطق بالشهادتين، وقد ورد أنه لما قال العباس مامرّ قال: «أمّا أنا فلم أسمعه»، وحيث لم يسمعه وجب أنْ يعامله بظاهر الشرع، فإن النبي ﷺ كان في أوّل الإسلام غير مأمور بذلك، بل في آخره عند الجمهور، وإنّما نقل السيوطيّ جواز الحكم له بالباطن عن بعض، واختاره في آخر حياته ﷺ، علىٰ أنّ المواريث حينئذ لم تكن فرضت، وإنّما كانت الوصية فقط، فقد يكون أبو طالب أوصىٰ بماله لعقيل، فإنه كان يحبه كثيراً، ومن ثم لما طلب منه ﷺ والعباس أنْ يخففوا عنه بعض عياله قال لهما: «إذا تركتما لي عقيلاً فافعلا ما شئتما»[٢].

ولأن جعفراً[٣] كان قد هاجر إلىٰ الحبشة، وعليٌّ كان صغيراً في حجر النبي ﷺ فقد يكون عقيل[٤] أغتصب المال وترك ﷺ المخاصمة معه دفعاً للشر.

---

١ - هو «جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو عبد الله» ابن عمّ النبي ﷺ هاجر الهجرتين (إلىٰ الحبشة والمدينة) وقد أسلم قديماً وسرَّ الرسول ﷺ بمقدمه، وأثر عنه قوله فيه «أشبهت خَلقي وخُلقي» استشهد يوم مؤته أميراً، في السنة السابعة للهجرة راجع الطبقات الكبرىٰ ٤:٣٤، الاستيعاب ١:٢٤٢، أسد الغابة ١:٣٤١، مختصر تاريخ دمشق ٦:٢٢.

٢ - سيرة ابن هشام ١:٢٤٥، إيمان أبي طالب :٢٠٧.

٣ - جعفر بن أبي طالب أرسله رسول الله ﷺ إلىٰ النجاشي مع مجموعة من المهاجرين إلىٰ الحبشة. استشهد يوم مؤته. المعارف لابن قتيبة ١٣٧.

٤ - ولد عقيل بعد ولادة النبي ﷺ بعشر سنين، وكان اكبر من عليّ عليه السلام بعشرين سنة، هاجر أوّل سنة ثمان. وأهمل المؤرخون تاريخ إسلامه، ولكن ابن قتيبة في المعارف :٦٨، دلل علىٰ إسلامه يوم بدر بأمر رسول الله ﷺ، كان عالماً بأنساب العرب وقريش ومآثرها ومثالبها، وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة، وكان سريع الجواب المسكت وقال فيه رسول الله ﷺ «إني لأُحبك حبين: حباً لك، وحباً لحب أبي طالب؛ لأنه كان يحبك».

أخرجه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣:٣١٢، ابن عبدالبر في الاستيعاب ٢:٥٠٩ مجمع الزوائد ٩:٢٧٣، ذخائر العقبىٰ :٢٢٢، تاريخ الخميس ١:١٦٣، بهجة المحافل

فإن قريشاً بعد موت أبي طالب نالوا من النبي ﷺ ما أرادوا من الأذى[1] كما هو معلوم، فقول بعض العلماء إنّ قوله ﷺ يوم فتح مكّة: « وهل ترك لنا عقيل من دار»، معناه أنّ عقيلاً ورث أبا طالب؛ لأنهما كانا على ملة الكفر، بخلاف جعفر، وعليٍّ، فإنهما كانا على الإسلام، ولا يتوارث أهل ملتين؛ بعيدٌ عن الصواب [2]؛ لأن

١:٣٢٧، وهذا شاهد صدق على أنّ النبي ﷺ كان يعتقد إيمان عمّه وإلاّ فما قيمة حبّ كافر لأيّ أحد حتّى يكون سبباً لحبه ﷺ أولاده، وقول رسول ﷺ. هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نص عليه العامريّ في بهجة المحافل، وقال: وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ولما أسلم قال له ﷺ يا أبا يزيد..الخ. وقال جمال الدين الاشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث: ومن شأن المحبّ محبة حبيب الحبيب. توفي عام ٦٠هـ راجع عمدة الطالب: ٣١، الإصابة ترجمة رقم ٥٦٣٠ وترجمة محمّد بن الحنفية ٢٧.

١ - قال ابن سيد الناس في عيون الأثر ١: ١٣٠ / دار المعرفة بيروت، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتّى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً...الخ.

٢ - إن ماروي من أن النبي ﷺ أمر عليّ بن أبي طالب وأخاه جعفراً عند موت أبي طالب أن لا يأخذا من تركته شيئاً، وأخذها طالب وعقيل من دونهما؛ لأن طالباً وعقيلاً لم يؤمنا يومئذ، فهذا حديث موضوع؛ وكذب، ومصنوع، وذلك لأن بني هاشم قد اشتهر عنهم، وعرف من مذهبهم أن المسلم يرث الكافر، وأنّ الكافر لا يرث المسلم، ويقولون: إن الكافر إذا خلف وارثين:

أحدهما كافر مثله، والآخر مسلم يكون ميراثه للمسلم دون الكافر، ولو كان الكافر أعلى درجة من المسلم في النسب، ومذهبهم هذا هو الموافق لكتاب الله، وسنّة نبيّه ﷺ، فالكتاب قوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» الآية ١١ من سورة النساء وغيرها من الآيات القرآنية الخاصة بالمواريث، ولأن ظواهرها مقتضية أن الكافر كالمسلم في الميراث لكن، لما اجمعت الأُمّة على أن الكافر لا يرث المسلم أخرجوه بهذا الدليل الموجب للعلم، وبقي ميراث المسلم للكافر بحسب الظاهر كميراث المسلم للمسلم.

وأمّا السنة: فاتفاق أهل البيت عليهم السّلام وإجماعهم على أن المسلم يرث الكافر وأن الكافر لا يرث المسلم وإجماعهم حجة قاطعة ودلالة فاصلة.

وقول النبي ﷺ «الإسلام يعلو ولا يعلى»، كما أورده المناوي في فيض القدير ٣: ١٧٩، والّذي قال فيه القرطبيّ وغيره: إن الحديث لاتعلق له بالميراث.

وأمّا حديث «لا توارث بين أهل ملتين»، فإنا نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل وهو مقتضى أن يكون كلّ واحد يرث صاحبه.

هذا الحكم إنّما نزل بعد موت أبي طالب بزمان[١] علىٰ أنه يمكن. أنهم لما هاجروا وتركوا العقار استولىٰ عقيل عليه وباعه علىٰ ماكان من عادة العرب، ولا سيما هو كان حينئذ علىٰ الشرك ومعاداة المسلمين، فتصرف في عقارهم، وهو أقرب، إذ لو كانت الدور باقية، لترك فيها رسول الله ﷺ لقرابته فإنه يوم الفتح كان مسلماً، بل كان يفرح بنزول رسول الله ﷺ فيها، ويعده فخراً.

فإنْ قلت: غاية ما ذكرت من الدليل أنه لا يخفف عنهم، ولا يفتر عنهم، ونحن نقول به، ونقول هذا خصص بالحديث الصحيح، وتخصيص القرآن، بل نسخه بالحديث، ولو آحاداً هو المذهب المقصور.

قلت: إذاً يخصص عموم :﴿إِنَّ اللهَ لاَيَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[٢]، بهذا الحديث أيضاً، إذ لا يفرق بين لا يغفر، ولا يخفف. والشفاعة السابقة مستلزمة للمغفرة كما تقدم وكذا التخفيف، فإنه لم يخفف إلاّ وقد غفر الذنب الّذي كانت الشدة في مقابلته.

فإنْ جوزت التخفيف حتّىٰ في الشرك، فقد وسعت لنا الدائرة، وزدتنا حجة، وإلاّ طالبت بالفرق، ولك به تبصرة.

---

١ - ذكر ابن سيّد الناس في عيون الأثر ١٢٩:١، عن الدولابي ـ الشيخ أبو بشر محمّد بن أحمد بن حماد سعيد الأنصاري الوراق، الرازيّ، الدُولاَبي (ت ٣٢٠هـ) محدث فقيه، مؤرخ، ـ...عن قتادة قال: توفيت خديجة بمكّة قبل الهجرة بثلاث سنين...ثم قال: إنّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد...ثم قال وكان هلاكهما بعد عشر سنين من بعث النبي ﷺ، وذلك قبل الهجرة إلىٰ المدينة بثلاث سنين...

وذكر ابن قتيبة أنّ خديجة توفيت بعد أبي طالب بثلاث أيام وذكر البيهقيّ نحوه..وعن الواقديّ توفيت خديجة قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة...

وقال ابن سيّد الناس: ومهمايكن فإنّ أبا طالب توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات علىٰ ما هو المشهور، وفتح مكّة كان في سنة ٩ هجرية .

٢ - النساء:٤٨ و١١٦.

الأقوال:

في

سبب نزول الآية

الأقوال في سبب نزول الآية:

ظهر لي جواب واضح عن قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1] الآية، وذلك أني تتبعت الأحاديث الواردة في سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلىٰ ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنّها نزلت في أبي طالب.

الثاني: أنّها نزلت في والدة النبي ﷺ.

الثالث: أنّها نزلت في أيام أُناسٍ ماتوا في أيام الكفر، كان أولادهم يستغفرون لهم.

أمّا الوجه الثاني: فقد تقدم الجواب عنه مفصلاً.

---

١ - التوبة: ١١٣، راجع تفسير الآية في الطبريّ ١١: ٣٠، فقد قال: «ما كان للنبي...» اختلف أهل التأويل في السبب الذي نزلت فيه هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب... وقال آخرون: بل نزلت في سبب أُمّ رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أنْ يستغفر لها فمنع من ذلك... وقال آخرون: بل نزلت من أجل أنّ أقواماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك...

وعن ابن عبّاس قوله: «ما كان للنبي والذين آمنوا أنْ يستغفروا للمشركين» الآية فكانوا يستغفرون لهم حتّىٰ نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم...

وراجع الكاشف للزمخشري ٢: ٢١٧، وابن العربي في أحكام القرآن ٢: ١٠٢١، تحقيق: البجاويّ، والفخر الرازيّ ١٦: ١٠٨، الطبقات لابن سعد ١: ٧٨، الشوكاني ٢: ٤١١.

أمّا الوجه الأوّل

فظهر لي أنه أختصار من الرواة، وإن سبب النزول هو الوجه الثالث، لا غير وبيانه:

إنّ سبب النزول هو الوجه الثالث لا غير وبيانه:

أنّ نزولها في أبي طالب، رواه الشيخان وغيرهما، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. الحديث وفي آخره، فقال النبي صلىٰ الله عليه: « لاستغفرن لك مالم أنه عنك»، فنزلت : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية.

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[2].

---

١ – التوبة: ١١٣.

٢ – القصص:٥٦ ، ذهب أغلب مفسري أهل السنة الىٰ أن الآية نزلت في أبي طالب، وهو علىٰ فراش الموت، كما ورد في التفسير الكبير للرازي ٢:٢٥، ولكن الرازيّ بعد أن اعتمد علىٰ رواة ضعاف ومجاهيل قال في ٢:٢٥ «وهذه الآية لا دلالة في ظاهرها علىٰ كفر أبي طالب».

وقال الآلوسيّ في تفسير روح المعاني ٢٠:٨٤ «إنّ مساق الآية لتسليته ﷺ...» ثم قال «والمسألة إسلامية خلافية، وحكاية إجماع المسلمين أو المفسرين علىٰ أنّ الآية نزلت فيه لا تصح...»لكن ذكر البخاريّ في صحيحه ٣:١٠٧٤، ط الميمنية بمصر، عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبيه. وروىٰ سبب نزول الآية مسلم في صحيحه ١:٤٠، ط محمّد عليّ صبيح بمصر، عن حرملة بن يحيىٰ النجيبي، عن عبدالله بن وهب، عن يونس عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، وكذلك، عن محمّد بن حاتم بن ميمون، عن يحيىٰ بن سعيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، وكذلك عن محمّد بن عباد وابن أبي عمر، عن

مروان، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة. وروىٰ السيوطيّ في الدر المنثور ٥:١٣٣، ط إيران عن أبي سهل السري بن سهل عن عبدالقدوس عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، وكذلك عن نافع، عن ابن عمر. ولا نريد أنْ ندخل في تفاصيل ترجمة هؤلاء، بل نذكر المصادر التي تضعفهم، فمثلاً أبو اليمان، قال الذهبيّ في ميزان الأعتدال ٤:٥٨٩ «ليث ابن القطان، أرسل حديثاً» وقال عن شعيب في ج ٢:٢٧٥ لم يعرف من هو المقصود بهذا الاسم، ثم إنّ أغلبهم وصفوا بالضعف والكذب والجهالة والوهم. أمّا الزهري فقد وضعه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١:٣٥٨ في قائمة الوضاعين للأحاديث التي تذم عليّ بن أبي طالب...وقال عنه أيضاً في ١:٣٧٠ «وكان من المنحرفين عن عليّ ابن أبي طالب...» وقال عنه الغزاليّ في إحياء العلوم ٢:١٤٣،طبعة الاستقامة بمصر، عندما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين :«...واعلم أنّ أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً، حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليه رحىٰ ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلىٰ بلائهم، وسلماً يصعدون فيه إلىٰ ضلالتهم، يدخلون بك الشك علىٰ العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ماعمروا لك في جنب ما أخربوا عليك! وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك دينك! فما يؤمنك أن تكون من لايجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد، وما يخفىٰ علىٰ الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام». وأمّا سعيد بن المسيب، فقد وضعه ابن أبي الحديد أيضاً في قائمة المنحرفين عن عليّ بن أبي طالب...

أمّا سلسلة رواية مسلم ففيها حرملة، فقد جاء في ميزان الأعتدال ١:٤٧٢، والجرح والتعديل ١:٢٧٤ «ولكثرة ماروىٰ انفرد بغرائب. وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال ابن عدي: سألت عبد الله بن محمّد الفرهادي أنْ يملي عليّ شيئاً عن حرملة، فقال: ضعيف»

وأمّا عبد الله بن وهب، فقد ذكره في ميزان الأعتدال ٢:٥٢١،«..أرجو أنْ يكون صدوقاً. وسئل الإمام أحمد: أليس كان يسيء الأخذ؟ فقال: بلىٰ» وأمّا يونس فعدت بعض المصادر بهذا الاسم أعداداً كثيرة، ومن بينهم الكذوب والسيء الحفظ والمجهول ومنكر الحديث .راجع الجرح والتعديل ٢:١٨٩، ميزان الأعتدال ٤:٤٧٧. وأمّا ابن شهاب لا يوجد له ذكر في الكتب الرجالية. وأمّا سعيد، فقد تقدم الحديث عنه. وأمّا محمّد بن حاتم فقد ذكر في ميزان الأعتدال ٣:٥٠٣ أنه ليس بشيء. وقال يحيىٰ وابن المديني: هو كذاب. وأمّا يحيىٰ بن سعيد بهذا الاسم أورد الذهبيّ عدداً، وكلهم من المناكير والضعفاء. راجع ميزان الأعتدال ٤:٣٧٧، الجرح والتعديل ٤:٧١٥٢. وأمّا يزيد ابن كيسان، فقال عنه أبي حاتم: لا يحتج به، وأدخله البخاريّ في كتاب الضعفاء. راجع ميزان الأعتدال ٤:٤٣٩. وأمّا أبو حازم فهو مجهول لم يرد ذكره إلاّ في الذهبيّ. وأمّا أبو هريرة فقدم تقدم الحديث عنه أنه كان يدلس. راجع شرح النهج ١:٣٦٠، سير أعلام

النبلاء ٢: ٤٣٣، الكامل للمبرد ٢: ١٢٤، ط البابيّ مصر. وأمّا محمّد بن عباد فهو مجهول كما ذكر الذهبيّ في ميزان الأعتدال ٣: ٥٨٩ . أمّا ابن أبي عمر فهو مجهول . وأمّا مروان فقد ذكر الذهبيّ في ميزانه ٤: ٨٩ مايقارب من عشرين اسماً بهذا، وكلهم بين ضعيف ومجهول ومتروك.. أمّا رواة السيوطيّ، فالسري فقد قالوا عنه يسرق الحديث وكذبه ابن خراش. راجع البداية والنهاية ٥: ٣٥٤، اللئالي المصنوعة للسيوطي ٢: ٨٠. وأمّا عبد القدوس، فقد أجمعوا علىٰ ترك حديثه وقال ابن حبان: إنه يضع علىٰ الثقات، وقال ابن عياش لا أشهد علىٰ أحد بالكذب إلاّ علىٰ عبد القدوس. راجع ميزان الأعتدال ٢: ٦٤٢، لسان الميزان ٤: ٤٦، تاريخ بغداد ١١: ١٢٧، اللئالي ١: ٢٠٧. أمّا أبو صالح فقد عده الذهبيّ ٤: ٥٣٩ في الميزان لا يعرف إلاّ بالباطل .

وبعد هذا نقول: إنّ الآية لم تكن نازلة في أبي طالب، وإلاّ كيف يفتخر الإمام عليّ بن أبي في صميم خلافة عثمان بن عفان علىٰ عثمان بأن أباه ـ يعني أبا طالب ـ أفضل من أبي عثمان ـ يعني عفاناًـ في قصة أبي ذر بعد كلام طويل، لما نفاه إلىٰ الربذة وأمر مروان ابن الحكم أن يسير معه إليها وأنْ يمنع الناس أنْ يتحاموه عن الموالاة ويتجافونه طاعة لعثمان، والقصة قد ذكرتها كتب التاريخ والسير والمحاورة التي دارت بين مروان وبين الإمام عليّ بن أبي طالب عندما اطلع علىٰ النفي فخرج هو والحسنان وعقيل وعبد الله ابن جعفر وعمار بن ياسر واعترضوا مروان....حتىٰ شيعه إلىٰ بعض طريق الربذة ورجع ولكن عند المساء جاء إلىٰ عثمان وقال له عليه السلام ما حملك علىٰ ما صنعت بمروان ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري....فقال عثمان أقيد مروان فقال ممن أقيده قال ضربت بين أذني راحلته وشتمته...فقال عليّ عليه السلام وأما أنا فوالله لئن شتمتني لأشتمنك بمثله لا كذب فيه ولا أقول إلا حقاً فقال عثمان ولم لا يشتمنك إذ شتمته؟ فوالله ما أنت عندي بأفضل منه عندي ولا أبوك أفضل من أبيه، فغضب عليّ عليه السلام وقال لي تقول مثل هذا القول مروان يعدل بيْ فلأنا والله أفضل مِنك وأبي أفضل من أبيك وأُمّي أفضل من أُمّك وهذه نَبليْ قد نثلتها فانثل نبلك فغضب عثمان واحمر وجهه وقام فقام عليّ عليه السلام وخرج ومن هذا وذاك نفهم أنّ أبا طالب مات مسلماً، وإلا كيف يسوغ لعليّ عليه السلام الافتخار بأبيه وهو كافر ـ والعياد بالله ـ فقول الإمام عليّ عليه السلام هذا لعثمان هو رد صريح، بل ونسخ لما روي عنه في قول ضعيف «أذهب فواره» مع العلم بأنكم تقولون عفان مات مسلماً.

وهذه الحادثة كانت بعد مضي مدة من وفاتهما ونسبت الأفضلية بعد موتهما، وهذا من أعظم ما نقم به عثمان على عليّ بن أبي طالب، ولو كان والد الإمام عليّ مات علىٰ غير الإسلام، بل لو أنّ الآية كانت نازله به، لما تركها عثمان ولعيّر بها الإمام علياً بأبيه.

ويؤيد ماذكرناه ما جاء في كتاب نهج البلاغة ج ١٥: ١١٧، كتاب الإمام عليّ عليه السلام إلىٰ معاوية بن أبي سفيان والذي جاء فيه:«ليس أُمّية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كالصيق».

ورواه ابن سعد، وابن عساكر، عن عليّ عليه السلام قال: « أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب، فبكىٰ فقال: إذهب فغسله، وكفنه، وواره غفر الله له، ورحمه»[١]

وقيل: بل إنها نزلت في رسول قيصر عندما جاء بكتاب قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ووضع الرجل الكتاب في حجره صلى الله عليه وآله فقال له «ممن الرجل»؟قال من تنوخ. فقال الرسول صلى الله عليه وآله «هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفة؟» قال رسول قيصر: إني رسول قوم وعلىٰ دينهم، حتّىٰ أرجع إليهم. فضحك الرسول صلى الله عليه وآله ونظر إلىٰ أصحابه...» راجع تفسير ابن كثير ٣: ٣٩٥، ط دار إحياء الكتب بمصر. وقيل: إنّها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وكانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله رغبة في إسلامه وحب لذلك. فقال الحارث «نحن نعلم أنك علىٰ الحق ولكنا نخاف أنْ اتبعناك وخالفنا العرب ونحن أكلة رأس أن يتخطفونا» راجع تفسير المراغي ٢٠: ٧٤، الكشاف للزمخشري ٢: ١٦٧ و٣: ٣٣٣، تفسير ابن كثير ٣: ٣٩٥، تفسير البيضاويّ ٤: ٩، أسباب النزول: ١٦٩ عن النسائيّ وعن ابن عبّاس.

وقيل: إنّ الآية نزلت يوم ضُرب رسول الله صلى الله عليه وآله بحربة في خده، فسقط علىٰ الأرض، ثم قام وقد انكسرت رباعيته والدم يسيل علىٰ حر وجهه، فمسح وجهه، ثم قال: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، فأنزل الله تعالىٰ «إنك لا تهدي من أحببت» أُنظر سيرة ابن هشام ٣: ٧١ ـ ٧٩، تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٣٥ـ٣٦، وديوان حسان بن ثابت: ٢٩١.

وقيل: إنّ الآية نزلت فيمن تأخر عن النبي صلى الله عليه وآله في هجرته، فأحب رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينزل ما يوافق محبة الأشراف إيثاراً لتآلفهم. فلما سألوه عن حالهم قال صلى الله عليه وآله: يأتيني الوحي في ذلك، فأنزل الله الآية. أُنظر إيمان أبي طالب للفخار: ١٨٢«بتصرف» وكلا هذين السببن إنما كان بعد موت أبي طالب؛ لأنها: إن كانت يوم حنين، فيوم حنين بعد الهجرة، وأبو طالب مات قبل الهجرة، بلا خلاف. وإن كان نزولها في الذين تأخروا عنه صلى الله عليه وآله، فهي أيضاً نزلت بعد موت أبي طالب.

١ - أورد هذه القصة جمع كثير من المؤرخين، فقد أخرج في أسنىٰ المطالب: ٢١، طبقات ابن سعد ١: ١٠٥، تذكرة الخواص: ١٠، شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٣١٤، السيرة الحلبية ١: ٣٧٣، البرزنجيّ كمافي أسنىٰ المطالب: ٣٥، تاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥، الإصابة ٤: ١١٦، السيرة الحلبية لدحلان ١: ٩٠، السيرة النبوية ١: ٨٤، تذكرة الخواص: ١٠، الحجة: ٦٧، معجم القبور ١: ٢٠٤.

الله أكبر كبيرا؟! أي دليل هذا وأي حجة علىٰ إيمان الشيخ، فالرسول صلى الله عليه وآله بعظمته وقدسيته يأمر علياً والّذي لا يشك ولا يظن أحداً في إيمانه وإسلامه في ذلك الوقت يأمره بأن يغسل أباه ولا يوجد من المسلمين من يجوز للمسلم أن يغسل كافراً.

ثم أي استغفار هذا الّذي يستغفره رسول الإنسانية محمّد صلى الله عليه وآله لعمه، وهو المعروف بشدته علىٰ الكافرين؟!

ثم كيف يتفق هذا مع رواية الإمام علي عليه السلام الّتي تدلل على إيمان أبي طالب وهي «أن أبا طالب ما مات حتّىٰ أعطىٰ رسول الله ﷺ من نفسه الرضا؟» ثم كيف يعقل أنْ تصدر الكلمة الّتي لا تصدر من الإنسان العادي؟ إنها صدرت من ربيب النبوة ومنشأ الأخلاق والعفة أن يقول لرسول الله ﷺ: إنّ عمك الضال قد مات ؟وهل هذا من بر الوالدين؟ الله اكبر كبيراً؟ كيف وهو المرتل والحافظ والمفسر والإمام المعصوم، والقرآن الناطق ـ والعياذ بالله ـ أن يغفل عن هذه الآية الكريمة «وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي»الآية ١٥ من سورة لقمان. وها هو سبط ابن الجوزيّ يروي لنا مرثية الإمام عليّ لأبيه في تذكرة خواص الأُمّة :١٢

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ	فصلىٰ عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه	فقدكنت للمصطفىٰ خيرعم

ونسأل هل حدثنا التاريخ بأن أعدىٰ أعداء عليّ بن أبي طالب، وهو معاوية بن أبي سفيان الّذي أمر بسب الإمام عليّ علىٰ المنابر وأوصىٰ بالاستمرار علىٰ هذه البدعة. وتتبع كلّ الموالين له بإجبارهم علىٰ البراءة منه أو يقتلهم، وقد وضع الأحاديث الّتي لا تحصىٰ في قدح وذم الإمام عليّ بن أبي طالب، ومع كلّ هذا فهل ذكر لنا التاريخ أنّ معاوية الّذي لا يعف أن يرمي علياً قد رماه في أبيه بتهمة الكفر. فلو كان ذلك لما تهاون معاوية في ذلك لحظة واحدة؟ وهذا معاوية هو القائل لعقيل حينمادخل عليه بالشام في زمن خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأراد أن يقلل من شأن عقيل بما ينسحب علىٰ عليّ عليه السلام فقال له: أين عمك أبو لهب ياعقيل؟ فكان جواب عقيل الفوري والقاطع لأحقاد معاوية «إذا دخلت النار فمل عن يسارك قليلاً. تجده مفترشاً عمتك أمّ جميل» وقد أفتخر الإمام عليّ في صميم خلافة عثمان بن عفان علىٰ عثمان بأن أباه ـ يعني أبا طالب ـ أفضل من أبي عثمان ـ يعني عفاناً ـ في قصة أبي ذر بعد كلام طويل لما نفاه إلىٰ الربذة، وأمر مروان بن الحكم أنْ يسير معه إليها، وأن يمنع الناس أنْ يتجافوه عن الموالاة ويتجافوه طاعة لعثمان...

والقصة طويلة ذكرتها كتب التاريخ، وكذلك المحاورة الّتي دارت بين عليّ بن أبي طالب ومروان بن الحكم وكيفية ضرب الإمام عليّ بن أبي طالب أذني راحلة مروان وشتمه..والمحاورة بين عليّ بن أبي طالب وعثمان، وعندما وصل الإمام إلىٰ قوله «أنا والله لو شتمني لأشتمنك بمثله لا كذب فيه ولا أقول إلا حقاً. فقال عثمان: ولِم لا يشتمنك إذ شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه عندي، ولا أبيك أفضل من أبيه فغضب عليّ وقال: لي تقول مثل هذا القول مروان يعدل بي! فلأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمّي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد تثلتها فانثل نبلك فغضب عثمان واحمر وجهه وقام فقام عليّ وخرج، واجتمع إليه أعيان الصحابه وبنو هاشم.

ففعلت. وجعل رسول الله ﷺ، يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته حتّىٰ نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية.

وهذه الرواية مع كونها ضعيفة، مخالفة لما صح أنها نـزلت بـالمدينة، فـإنّ السورة مدنية نزلت بعد تبوك[2]. ثم رأينا، فإذا عليّ روي عنه مـن طـرق بـعضها صحيح إنّ السبب في نزولها استغفار أُناس لآبائهم المشركين.

فقد روىٰ الطيالسيّ[3]، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذيّ، والنسائيّ، وأبـو يعلىٰ[4]، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبـو الشـيخ [5]، والحـاكـم،

والسؤال الّذي يطرح نفسه كيف يسوغ للإمام عليّ الافتخار بأبيه، وهـو كـافر ـ والعياذ بـالله ـ فـقول عـليّ عليه السلام هـذا لعـثمان رد، بـل نسـخ لمـا روي عـنه مـن «إذهب فـواره التراب...الخ. ولو كان عثمان بن عفان يعلم بموت أبـي طـالب عـلىٰ الكـفر لم يـترك الفسحة للإمام عليّ ﷺ إلا ورد عليه القول، وهو يـعلم كـما يـذكر البـعض بأن عـفاناً مـات مسـلماً. وعثمان لم يتورع في ذلك وهو الّذي نـفىٰ أبـا ذر، وهـو الّـذي ضـرب بـطن عـمار بـن يـاسر وداسه بنفسه وفتق أمعاءه، وهذا مـا صـرحت بـه كـتب عـلماء المـذاهب وحـفاظها وجـهابذة محدثيها. وأنـظر ذلك فـي العـقد الفـريد ٢:٣١٥، ط الجـمالية بـمصر. والسـؤال هـو لمـاذ لم يذكر معاوية أبا طالب وذكر أبا لهب؟ ولو كان هناك شك فـي إسـلام وإيـمان أبـي طـالب فـي زمن مـعاوية لِـمَ تـرك الفـرصة لعـقيل فـي الرد عـليه، لكـن قـاتل الله السـياسة والسـياسيين المـنحرفين عـن الإسـلام والقـرآن الكـريم والسـنة النـبوية الشـريفة وأهـل بـيت العـصمة والطهارة؟ كما قال تعالىٰ «لا تعلمهم نحن نعلمهم» الآية ١٠١ من سورة التوبة.

وقال اليعقوبيّ في تاريخه ٢:٢٦، لما قيل لرسول الله: إنّ أبـا طـالب قـد مـات عـظم، ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيـمن أربـع مـرات وجـبينه الأيـسـر ثـلاث مرات، ثم قال: ياعم! ربـيت صـغيراً، وكـفلت يـتيماً، ونـصرت كـبيراً، فـجزاك الله عـني خـيراً، ومشىٰ بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجُزيت خيراً.

١ – التوبة:١١٣.

٢ – قال القرطبيّ فـي الجـامع لاحكـام القـرآن ٨:٦١ / دار إحـياء التـراث العـربي بـيروت، نـقلاً عن القشيري: إنّ هذه السورة نزلت في غزوة تبوك، ونزلت بعدها.

٣ – سليمان بن الأشـعث بـن إسـحاق بـن بشـير الأزدي السـجستاني، أبـو داود(٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ): إمام في الحـديث أصـله مـن سـجستان، رحـل رحـلة كـبيرة وتـوفي بـالبصرة، له «السـنن» (جزءان)، وهـو أحـد الكـتب الستة، جـمع فـيه ٤٨٠٠ حـديثاً وله «المـراسـيل» صـغير فـي الحديث و«كتاب الزهد» وغيرها... ـأُنظر: الأعلام للزركلي ٣/١٢٢.

٤ – هـو القـاضي الحـافظ الخـليل بـن عـبد الله القـزوينيّ «ت٤٤٦هـ»له (الإرشـاد فـي عـلماء البلاد). المستطرفة :٩٧.

وصححه ابن مردويه، والبيهقيّ في شعب الإيمان، والضياء المختارة عن عليّ ﷺ قال: « سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت أتستغفر لأبويك، وهما مشركان، فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية.

فهذه الرواية عنه صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً، من حديث ابن عبّاس، روىٰ ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طريق عليّ بن طلحة، عن ابن عبّاس ﷺ قال: «كانوا يستغفرون لهم حتّىٰ نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أنْ يستغفروا للأحياء، حتّىٰ يموتوا ثم أنزل الله تعالىٰ:﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾[2] الآية. يعني استغفر له ما كان حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار، وهذا شاهد صحيح، وعليّ بن طلحة ثقة جليل، والرواة عنه كذلك، وقد عارضت الرواية المتقدمة عنه، فإنْ رجحنا فهذه أصح، وإنْ جمعنا فالجمع مقدم علىٰ الترجيح[3]، فحاولنا الجمع فوجدنا أحاديث يستفاد منه الجمع.

روىٰ ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمّد بن كعب القرظيّ، قال: لما مرض أبو طالب أتاه النبي ﷺ فقال المسلمون: هذا محمّد يستغفر لعمّه وقد استغفر إبراهيم لأبيه، فاستغفروا لقراباتكم من المشركين، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[4] الآية. ثم أنزل: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾[5] الآية.

وروىٰ ابن جرير، من طريق شبل، عن عمرو بن دينار أنّ النبي ﷺ قال:

---

٥ – هو الشيخ ابن حيّان حافظ أصبهان ومسند زمانه. كان حافظاً «ت ٣٦٩هـ»، تذكرة الحفاظ ٣:٩٤٥، الدر المنثور ٣:٥٦.

١ – التوبة:١١٣. قال الشّوْكَانيّ في فتح القدير ٢:٤١١ / دار المعرفة بيروت، وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذيّ، والنسائيّ، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ والحاكم، وصححه ابن مردويه، والبيهقيّ في شعب الإيمان والضياء في المختارة عن عليّ...وساق الحديث.

٢ – التوبة: ١١٤. أُنظر تفسير الطبريّ للآية ٧: ٣٠ / دار المعرفة بيروت.

٣ – إشارة إلىٰ ماقاله العلماء: الجمع مهما أمكن أولىٰ من الطرح.

٤ – التوبة:١١٣. أُنظر الشّوْكَانيّ ٢:٤١١ / دار المعرفة.

٥ – التوبة :١١٣.

«استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتّىٰ ينهاني عنه ربيّ».

فقال: أصحابه لنستغفرنّ لآبائنا، كما استغفر النبي ﷺ لعمّه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية، إلىٰ قوله ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2].

فظهر بهذه الأخبار: أنّ الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين، وأنّ حديث الصحيحين فيه اختصار، وأنّ الأصل: قال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك مالم أُنه عنك».

فقال المسلمون: أنّ رسول الله ﷺ يستغفر لعمّه، لنستغفرن لآبائنا، استغفروا لآبائهم، فنزلت في حقهم الآية. فاختصر الراوي، فحذف منه الجملة الأخيرة، وهذا الجمع متعين لأُمور:

أحدها: أنّ السورة مدنية، نزلت بعد تبوك، وبينها وبين موت أبي طالب نحو من اثنتي عشرة سنة[3].

ثانيها: أنّ حديث عليّ السابق، صحيح متناً، أو نَضُم إلىٰ صحته الشواهد الّتي ذكرناها، وكون الآية مدنية، فلاينبغي إلغاؤها.

وترجيح حديث سعيد في الصحيحين لم يكن كذلك؛ فإنّا قد رجحنا حديث غير الصحيحين لأُمور تقتضي ذلك، وقد صرحوا بهذا في أُصول الحديث، فقولهم: يقدم حديث الصحيحين، أو أحدهما، ليس علىٰ إطلاقه، كما حررت ذلك في شرحنا علىٰ ألفية السيوطيّ.

---

١ - التوبة: ١١٤.

٢ - التوبة: ١١٤.أنظر تفسير الطبريّ ١١: ٣١ / دار المعرفة الطبعة الرابعة.

٣ - إشارة إلىٰ قول القرطبيّ في الجامع لاحكام القرآن ٨: ٩١ / دار إحياء التراث العربي بيروت ، نقلاً عن القشيري أن سورة التوبة نزلت في غزوة تبوك، ونزلت بعدها، وأنّ غزوة تبوك ـ كما ذكرها اصحاب السير والتواريخ ـ كانت في سنة ٩ من الهجرة، كما جاء في تاريخ الطبريّ ٣: ١٠٠ / دار سويدان، وموت أبي طالب. كما ذكر ابن سيّد الناس في عيون الأثر ١: ١٢٩ عن الدولابي أنّ خديجة ماتت في مكّة قبل الهجرة بثلاث سنوات..وآنهاماتت في عام واحد مع أبي طالب، لذايكون بين موت أبي طالب ونزول السورة نحو من اثنتي عشرة سنة .

ثالثها: أنّ عمّ إبراهيم آزر، كان يتخذ أصناماً آلهة، كما حكىٰ الله عنه ذلك، وكان يقول لإبراهيم:﴿ أترغب عن آلهتي يا إبراهيم﴾[1].

ولم ينقل عن أبي طالب بطريق صحيح، أنه اتخذ صنماً إلهاً، أو عبد حجراً، أو نهىٰ النبي ﷺ يوماً عن عبادة ربه، غايته أنه يكون ترك النطق بالشهادتين، أو يكون ترك بعض الواجبات، ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي ﷺ، ومثل هذا ناجٍ في الآخرة علىٰ مقتضىٰ ديننا، فلايليق بالحكمة، ولا بسماحة الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أنْ يكون هو وآزر عمّ إبراهيم في قرن، حاشا كرم الله تعالىٰ.

قال حسان ﷺ: أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوآء[2] فإنّ

---

١ - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:« قال أراغب أنت عن ءالهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني ملياً» مريم: ٤٦، أمّا أبو طالب، فلم يقل للنبي ﷺ كما قال آزر لإبراهيم، بل قال لرسول الله ﷺ ـ كما ذكره أغلب أصحاب السير والتواريخ، ومنهم ابن كثير في السيرة النبوية ١: ٤٦٤ / دار إحياء التراث العربي بيروت ـ يا ابن أخي فأقبل عليه، فقال: امضِ علىٰ أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً. فقال ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب في ذلك شعراً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّىٰ أوسد في التراب دفينا

ومن المناسب هنا الإشارة إلىٰ ما بين أبي طالب ومواقفه المشرفة في حماية الرسول الأعظم ﷺ وبين أبي سفيان، بل إيمان ناصر الرسول والمدافع عنه وبين الطلقاء، وأبناء الطلقاء العدائية الذين يسميهم ابن خلدون في مقدمته وكذلك الغزاليّ بأنهم خلفاء الرسول ﷺ وأُمراء المسلمين، ومن الثابت تاريخياً أن هؤلاء لم يدخل الإيمان في قلوبهم البتة، لكن الحقد الدفين علىٰ أهل البيت عليهم السّلام جعلهم يكفرون أبا طالب! فوالله إنّ هذا من ذاك، فالأحقاد الّتي حملها أبو سفيان علىٰ رسول الله ﷺ، وعلىٰ الإسلام مازالت في صدور القوم حتّىٰ الآن. وها هو معاوية يقول لأحد أصحابه عندما طلب منه رفع الظلم عن آل أبي طالب، فأجابه معاوية ذلك الجواب الخبيث قائلاً: ملك ابن أبي قحافة و..ومات فمات ذكره بموته، وملك ابن الخطاب و...ومات ذكره بموته...وملك ابن أبي كبشة ـ يقصد رسول الله ﷺ ـ ومات ومازال ذكره في كلّ يوم يصدع به المسلمون خمسة مرات يومياً...لا والله إلاّ دفناً دفناً...الخ، من يقول هذا الكلام يحكمون عليه بالإسلام، بل بالإيمان...الله أكبر كبيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا مالكم كيف تحكمون؟ كبر مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لاتفعلون.

٢ - قال حسان في قصيدته الّتي يمدح فيها رسول اللّه ﷺ ويهجو أبا سفيان، كما ورد في الديوان :٧ـ ٩/ دار الصادر :

هجوت مباركاً براً حنيفاً ... أمين اللّه شيمته الوفاء

أبا طالب رباه صغيراً، وآواه كبيراً، ونصره وعزره ووقره، وذب عنه، ومدحه بقصائد غرر، ووصىٰ باتباعه، وليس في حديث عمرو بن دينار المار آنفاً[١] دلالة قطعية علىٰ شركه، وقوله: «استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فلا أزال استغفر لأبي طالب»، يمكن أنْ يكون معناه أنّ إبراهيم استغفر لأبيه مع شركه، فكيف لا أستغفر أنا لأبي طالب، مع أنّ خطيئته دون الشرك، فلا أزال استغفر له حتّىٰ ينهاني الله ولم ينهه، بل نهىٰ عن الاستغفار للمشركين، لا خصوص عمّه.

فمن يهجو رسول اللّه منكم ويـمدحه ويـنصره سـواء

١ - تاريخ الطبريّ ١١: ٣١، الطبعة الرابعة.

فصل:

في

بيان لمن أُعطيت الشفاعة؟

بيان لمن أُعطيت الشفاعة؟

روىٰ البزار، عن معاذ بن جبل، وأبي موسىٰ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ ربي خيرني بين أنْ يدخل نصف أُمتي الجنة، أو الشفاعة، فاخترت لهم الشفاعة، وعلمت أنها أوسع لهم، وهي لمن مات لايشرك بالله شيئاً»[١].

وروىٰ أحمد، وابن أبي شيبة، والطبرانيّ، عن أبي موسىٰ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوتيت خمساً... الحديث، وفي آخره أنّي اخترت شفاعتي جعلتها لمن مات من أُمتي لايشرك بالله شيئاً»[٢].

وروىٰ أحمد، وأبو يعلىٰ، عن ابن عبّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكن نبي إلاّ له دعوة، قد تنجزها في الدنيا وإنّي قد اختبأت دعوتي، شفاعة لأُمتي، وأنا سيّد ولد آدم، يوم القيامة ولا فخر»، الحديث الطويل[٣].

وروىٰ الطبرانيّ في الأوسط، والحاكم وصححه، والبيهقيّ عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: « للأنبياء منا بر من ذهب...الحديث».

وقال:« فأمّا أنا فلم أزل أشفع حتّىٰ أُعطىٰ صكاً برجال قد بعث بهم إلىٰ النار، حتّىٰ إنْ مالكاً خازن النار يقول يامحمّد: ماتركت لغضب ربك في أُمتك من

---

١ - مسند البزاز للحافظ أبي بكر البصري الّذي مات بالرملة «٢٩٢هـ» ج ٧:٧٧. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ ، قال:...عن معاذ بن جبل عنه عن النبي ﷺ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». راجع ترجمة البزاز في تاريخ بغداد ٤: ٣٣٤، تذكرة الحفاظ ٢:٦٥٣، شذرات الذهب ٢:٢٠٩.

٢ - مسند أحمد بن حنبل ٥:١٤٥، دار الفكر قال...فاختبأوها شفاعة لأُمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من لقي الله عزَّ وجلَّ لا يشرك به شيئاً.

٣- مسند أحمد ١:٤٦٣ ح ٢٥٤٢، ط مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

بقية»[١].

وروىٰ مسلم، عن ابن عمر ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وقول عيسىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]، فرفع يديه وقال: «أمتي ثم بكىٰ، فقال الله تعالىٰ: «يا جبريل اذهب إلىٰ محمّد وقل له: إنّا سنرضيك في أُمتك ولا نسوؤك»[٤].

وروىٰ البزار، والطبرانيّ في الأوسط، عن عليّ كرم الله وجهه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأُمتي حتّىٰ يناديني ربي أرضيت يامحمّد؟ فأقول إي ربيّ رضيت»[٥].

وقد مرّ حديث مسلم: «أنه يقال له، اخرج من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال حبة من خردل»[٦].

فانظر هذه الأحاديث كلّها بظاهرها، تدل علىٰ أنّ النطق بالشهادتين ليس شرطاً في النجاة، بل ولا دخل له فيها، وإلا لما كان قائلها نفاقاً في الدرك الأسفل من النار، وأنّ الشفاعة لاتنال شركاً، وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح.[٧] ونعلم قطعاً أنه كان يصدق بنبوة النبي ﷺ، وصدقه وحقيقة دينه، وكفىٰ بالظاهر دليلاً، فلا بد من القول بنجاحه.

وأخرج ابن الجوزيّ، عن عليّ مرفوعاً، هبط جبريل عليّ فقال:« إنّ الله

---

١ – المستدرك ١:٦٥، دار المعرفة بيروت.

٢ – إبراهيم:٣٦.

٣ – المائدة:١١٨.

٤ – صحيح مسلم ١:١٩١ ح ٣٤٦، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ ٨٧ / دار إحياء التراث.

٥ – رواه الطبرانيّ في الأوسط ٣:٤٤ ح ٢٠٨٣، ورواه الحاكم في شواهد التنزيل ٢:٤٤٦ ح ١١١٢.

٦ – صحيح مسلم ١:١٨٣ ح ٣٢٦، كتاب الإيمان باب ٨٤.

٧ – صحيح مسلم ١: كتاب الإيمان باب ٩٠ و٩١، باب شفاعة النبي ﷺ لابي طالب والتخفيف عنه بسببها، وباب أهون أهل النار عذاباً: ١٩٤ و١٩٥ ح ٣٥٧ و٣٦٤.

يقرئك السّلام ويقول: إنّي حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، أمّا الصلب فعبد الله، وأمّا البطن فآمنة، وأمّاالحجر فعمّه، يعني أبا طالب»[١].

وروى تمام في فوائده، بسند يعتد به في المناقب، عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأُمّي، وعمّي أبي طالب، وأخ كان لي في الجاهلية»[٢].

وروى سعيد النيسابوريّ في شرح النبوة، والملا في سيرته، عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « سألت ربي أن لايعذب أحداً من أهل بيتي النار فأعطاني ذلك»[٣].

وقد تقدم حديث أبي العباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٤]، أنّ من رضىٰ محمّد أنْ لايدخل أحد من أهل بيته النار»[٥].

وقال السيوطيّ: فهذه عدة أحاديث يشد بعضها بعضاً، فإنّ الحديث الضعيف يقوىٰ بكثرة الطرق لاسيما في المناقب[٦].

١- الموضوعات لابن الجوزيّ ١:٢٨٣ / دار الفكر.

٢- الخصائص الكبرىٰ للسيوطي ١:١٤٧ نقلاً عن تمام في فوائده وابن عساكر والخطيب. وذكره ابن حجر في الإصابة ٧:٢٠٣ ، دار الكتب العلمية بيروت، المقامة السندسية :٢٥.

٣- ذكره الحاكم في شواهد التنزيل ٢:٤٤٧.

٤- الضحىٰ:٥ .

٥- الحاكم في شواهد التنزيل ٢:٤٤٧ .

٦- مسالك الحنفا «ضمن كتاب الحاوي للفتاوي» ٢:٢٠٨ / دار الكتب العلمية بيروت .

فصل:

في

بيان تصديق أبي طالب

بيان تصديق أبي طالب

ومما يدل علىٰ تصديق أبي طالب للنبي ﷺ، ما أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة، في ترجمة أبي طالب قال: أخرج أحمد، من طريق حبة العرني قال: «رأيت علياً ضحك علىٰ المنبر حتّىٰ بدت نواجذه، ثم تذكر قول أبي طالب، وقد ظهر علينا، وأنا أُصلي مع النبي ﷺ ببطن مكّة[1] فقال له: ماذا تصنعان؟ فدعاه إلىٰ الإسلام فقال: مابالذي تقوله من بأس، ولكن والله لا يعلوني استي أبداً»[2].

قلت: هذا في أوّل الإسلام، قبل أن تفرض الصلاة، وقد أقر بأنه لابأس بالتوحيد وإباؤه عن الصلاة النفل، لايدل علىٰ إبَائِهِ عن التوحيد، كما أن الأعرابي قال: بحضرة النبي ﷺ: « لا أُزيد علىٰ الفرائض الخمس ولا أنقص»، لم يحكم بكفره، بل قال: « أفلح إنْ صدق. وفي رواية أُخرىٰ أنه من أهل الجنة»[3].

ثم قال: وأخرج البخاريّ في التاريخ، من طريق طلحة بن يحيىٰ، عن موسىٰ ابن طلحة، عن عقيل بن أبي طالب قال: قالت قريش لأبي طالب: «أنّ ابن أخيك هذا قد آذانا، فذكر القصة، فقال ياعقيل: « إيتني بمحمد قال: فجئته به في الظهيرة فقال: أنّ بني عمك هؤلاء، زعموا أنك تؤذيهم، فانته عن اذآهم، فقالﷺ: «أترون هذه الشمس؟ فما أنا أقدر علىٰ أنْ أدع ذلك ، وفي لفظ بو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لا أدع ذلك. فقال أبو طالب والله ماكذب ابن أخي قط»[4].

---

١ - في المصدر «نخلة» بدل مكّة .

٢ - الإصابة ٧:١٩٧ / دار الكتب اعلمية بيروت .

٣ - سنن النسائيّ ١:٢٢٨ وج ٨:١١٩/ دار الكتب بيروت، سنن البيهقيّ ١:٣٦١ و٢:٤٦٧ /بيروت .

٤ - تاريخ البخاريّ ٧:٥٠ ح ٢٣٠/ دار الكتب العلمية «بتصرف»، الإصابة ٧:١٩٧ / دار

فانظر إلىٰ نفي الكذب عنه، بالحلف بحضور خصمائه قريش، وهم قد جاءوا يشكونه إليه، وقوله: فانته عن أذاهم يعني أنهم زعموا أنّ ذلك أذىٰ من قِبَلِ نفسه ليس من عند الله، فقال: إنْ كان أذىٰ كما زعموا فانته عن أذاهم ، فلما قال: إنه من عند الله، بيقين، كما أنكم علىٰ يقين من رؤية هذه الشمس صدقه، ونفىٰ عنه الكذب.

ثم قال: وأخرج ابن عدي من طريق الهيثم البكاء عن ثابت عن أنس قال: مرض أبو طالب فعاده النبي ﷺ فقال: ياابن أخي ادع ربك الّذي بعثك فيعافيني فقال: اللهم اشف عمّي، فقام كأنما نشط، من عقال، فقال: ياابن أخي: إنّ ربك ليطيعك فقال: وأنت ياعماه لو أطعته ليطيعنك [١].

وأورده السيوطيّ في الخصائص الكبرىٰ[٢] وأخرج الخطيب في كتابه رواية الأباء عن الأبناء من طريق أحمد بن الحسن، المعروف بِدُبيس، حدثنا محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم العلويّ، حدثني عمّ أبي الحسين بن محمّد، عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه، عليّ بن الحسين عن الحسين بن عليّ قال: سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمّد بن أخي، وكان والله صدوقاً قال: قلت له: فبم بعثت يامحمّد؟ قال: بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة[٣]، قلت ليس المراد بالصلاة، والزكاة المعلومتين الآن؛ لعدم فرضيتهما إذ ذاك، فالمراد مطلق الصلاة، ومطلق الصدقة وإكرام الضيف، وحمل الكل، ونحو ذلك من الصدقات المالية.

ومثل هذه كان أبو طالب معدنها، ثم قال: وقال الخطيب أيضاً: أخبرنا أبو نعيم[٤] حدثنا محمّد بن فارس، بن حمدان، حدثنا عليّ بن السراج البرقعيدي، حدثنا جعفر بن عبدالواحد القاص، قال لنا محمّد بن عباد، عن إسحاق، عن عيسىٰ عن مهاجر، مولىٰ بني نوفل سمعت أبا رافع أنه سمع أبا طالب يقول: حدثني محمّد

الكتب العلمية، السلسلة الصحيحة للألباني ١:١٤٧ ح ٩٢.

١ – الإصابة ٧:١٩٧ / دار الكتب العلمية بيروت .

٢ – الخصائص الكبرىٰ ١:٢٠٧ / دار الكتب العلمية بيروت .

٣ – الإصابة ٧:٢٠٣ / دار الكتب العلمية بيروت .

٤ – هو الحافظ أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الإصفهاني، نسبة إلىٰ إصبهان، مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، الصوفي، الشافعيّ، «ت ٤٣٠هـ». أنظر الرسالة المستطرفة :٢٦.

أنَّ الله أمره بصلة الأرحام، وأنْ يعبد الله وحده، لا يعبد معه أحداً، ومحمّد عندي الصدوق الأمين، وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا إسحاق الأزرق حدثنا عبد الله ابن عون، عن عمرو بن سعيد أنّ أبا طالب قال: كنت بذي المجاز[١] مع ابن أخي فأدركني العطش، فشكوت إليه ولا أرىٰ عنده شيئاً، قال: فَثَنَىٰ وِرْكَهُ ثم نزل فأهوىٰ بعصاه إلىٰ الأرض، فإذا بالماء، فقال: اشرب ياعمّ قال: فشربت [٢].

قلت: وأورده السيوطيّ في الخصائص الكبرىٰ[٣] قال: وله طريق آخر أخرجه الخطيب، وابن عساكر، من طريق ابن جرير الطبريّ، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أزهر بن سعد السمان، حدثنا ابن عون، عن عمرو بن سعيد به، فلو لولم يكن موحداً، لما رزقه الماء الّذي نبع للنبي ﷺ، الّذي هو أفضل من ماء الكوثر، ومن ماء زمزم، والّذي يرىٰ مثل هذه المعجزة، يحصل في قلبه التصديق غالباً.

هذه الأحاديث ذكرها: ابن حجر في الإصابة.

وأخرج ابن سعد عن عبد الله ثعلب بن صغير العذري: أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دعىٰ بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمّد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه، وأعينوه ترشدوا، قلت: بعيد جداً أنْ يعرف: أنّ الرشاد في اتباعه، ويأمر غيره به، ويتركه هو، ومما يدل علىٰ تصديقه أخبار مذكورة في السير، وأشعار له، في مدحه منها: قوله[٤]:

وشقَّ له من اسمه ليجلَّه　　　فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ[٥]

---

١ - هو موضع علىٰ فرسخ من عرفة كان سوقاً للجاهلية

٢ - الإصابة ٢٠٣:٧، السيرة الحلبية ١١٦:١، الوفا بأحوال المصطفىٰ ١٣١:١.

٣ - الخصائص الكبرىٰ ١٢٤:١، السيرة الحلبية ١١٦:١،

٤ - ديوان أبي طالب :٢١٨ / دار كوفان للنشر، المملكة المتحدة عبد الحق العانيّ، وديوان أبي طالب :١١٥ / تحقيق: المحمودي، البخاريّ في التاريخ الصغير :٣٨، ورواه ابن حجر في شرح الحديث «٣٥٣٣»من صحيح البخاريّ في كتاب فتح الباري ٥٥٥:٦، ورواه العسقلانيّ في كتاب المواهب اللدنية ٢٧٥:١، نقلاً عن تاريخ الطبريّ، ابن أبي الحديد في شرح المختار ٨: من الباب الثاني من نهج البلاغة ٤٠:٤، الإصابة ١٩٧:٧، ورواه الديار بكري فقال أنشد أبو طالب في مدح النبي أبياتاً منها هذا البيت «وشق له من اسمه....».وحسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت .

٥ - أخرجه البخاريّ في تاريخه الصغير من طريق عليّ بن زيد، دلائل النبوة لأبي نعيم

هكذا نسب هذا البيت في الإصابة[١] لأبي طالب، والمعروف أنه لحسان، ولا مانع أنْ يكون حسان ضمنه شعره، وقال ابن عيينه عن عليّ بن زيد: ماسمعت أحسن من هذا البيت ومنها قوله:

ودعوتني وعلمت[٢] أنك صادق[٣] و[٤]لقد صدقت وكنت قبل أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمّد[٥] من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار سبّة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[٦]

ومنها قوله:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولاً كموسىٰ صح ذلك في الكتب[٧]

قال في الإصابة: وروىٰ بعض الشيعة، من طريق عبد الله بن ضميرة، عن أبيه عن عليّ ﷺ أنه لما أسلم عليّ قال له أبو طالب:

« ألزم ابن عمك» [٨].

الأصبهاني ١: ٤٤ط دمشق / بيروت، نشر مكتبة التراث الإسلامي حلب، السيرة الحلبية للعلامة عليّ بن برهان الدّين الحلبيّ الشافعيّ، وبهامشها السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان ١: ٧٩ ط بيروت / دار الفكر، نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ ،ابن عساكر في تاريخه ١: ٢٧٥،الإصابة ٤: ١١٥،المواهب اللدنية للقسطلاني ١: ٥١٨، تاريخ الخميس ١: ٢٥٤، أسنىٰ المطالب : ١٤، شرح المواهب للزرقاني ٣: ١٥٦، ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣١٥.

١ – الإصابة ٧: ١٩٧ / دار الكتب العلمية .

٢ – في الديوان: ١١ / طهران ناصر خسرو / مروي بلفظ : «وزعمت »بدل وعلمت .

٣ – في الديوان «ناصح» بدل صادق .

٤ – في الديوان «فلقد»بدل ولقد .

٥ – في الديوان «وعرضت ديناً قد علمت بأنه» بدل الشطر الأول .

٦ – في الديوان «ضنينا».

٧ – ديوان أبي طالب في المقدمة ،وذكره العانيّ في جمعه لديوان أبي طالب : ١٦٠/ دار كوفان، المملكة المتحدة فلنده / ـ قال الإمام الصادق عليه السّلام ـ لماقيل له إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ـ كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمّداً نبياً كموسىٰ خط في أول الكتب

٨ – ورد في سيرة ابن هشام ١: ٢٤٧ «وذكروا أنه ـ أبو طالب ـ قال لعلي: أي بني، ما هذا الديـن الّذي أنت عليه؟ فقال: ياأبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلاّ إلىٰ خير فالزمه»،وروىٰ

ومن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لجعفر بن أبي طالب: « صل[١] جناح ابن عمك»، فصلىٰ جعفر مع النبي عليه السلام[٢].

ابن حجر في الإصابة ٤: ١١٦، ت ٦٨٤ الكنىٰ «الزم ابن عمك» وبهذا المعنىٰ ذكر الطبريّ في تاريخه ٢: ٢١٤، عيون الأثر ١: ٩٤، ابن أبي الحديد ٣: ٣١٤، أسنىٰ المطالب: ١٠.

١ - في المصدر «قبل» بدل صل.

٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٢٧٢ ،إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ٨٢ .فإن قيل كيف يأمر أبو طالب ابنه جعفراً بالصلاة مع النبي عليه السلام، وهو لم يصلّ؟ والجواب: إنما منعه من ذلك مراقبته لصاحبه الّذي جاء معه، ونصره وآزره، لئلا يحرفه عنه استيفاء لنصرته، وحفاظاً لمساعدته ليقوىٰ أمر النبي عليه السلام وتنتشر دعوته، وتشيع كلمته، ألا ترىٰ أن صاحبه ـ الصلصال بن الدلهمس ـ الّذي جاء معه ينصره كيف روىٰ في حديثه أنه كان ينصر النبي عليه السلام مع أبي طالب، وهو بعد لم يسلم، فلم يأمن أبو طالب إذا صلىٰ ظاهراً أن يفشي صاحبه أمره في جميع أنصاره وأعوانه وعامتهم مقيم علىٰ الشرك، ومتظاهر بالكفر فيصيرون يداً عليه ويوجهون عداوتهم إليه، ويفسد عليه أُموره ويبطل تدبره؛ لأنه رحمه الله كان يخادع ـ إن صح التعبير ـ القوم لتقوىٰ شوكة رسول الله عليه السلام، ويظهر دين الله، كما قال تعالىٰ «ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون» هذا أولاً.

وثانياً: قال ابن الأثير في أُسد الغابة ١: ٣٤١، ط الشعب بالقاهرة: «لما رأىٰ النبي عليه السلام وعلياً عليه السلام يصلي خلفه عن يمينه ـ وكان معه ولده جعفر ـ قال لجعفر: صل جناح ابن عمك، فصلىٰ عن يساره» وهذا مما يدل دلالة واضحة علىٰ إسلام أبي طالب، وإلاّ كيف يقر لابنه علياً علىٰ إسلامه وصلاته، وكيف يأمر ابنه الثاني جعفراً بأن ينضم إلىٰ أخيه في الصلاة، وهي عمود الدين، ثم مدحهما وأثنىٰ عليهما، وأمرهما بنصرته وعدم خذلانه ويقسم علىٰ ذلك. كما جاء في شعره بالنهج لابن أبي الحديد ١٤: ٧٦ دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٧م، الإصابة ٧: ١٩٨ / دار الكتب العلمية.

ان علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والنوب

لا تخذلا، وانصرا ابن عمكما ... أخي لأُمي، من بينهم، وأبي

والله لا أخذل النبي، ولا ... يخذله من بني ذو حسب

وثالثاً: هو الّذي دعا ملك الحبشة النجاشي إلىٰ الإسلام كماجاء في المستدرك علىٰ الصحيحين ٢: ٦٢٣، وسيرة ابن إسحاق: ٦٩، ودلائل النبوة ٢: ٢٢، وتاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٣، أعيان الشيعة ٨: ١١٤، باختلاف بسيط:

تعلم مليك الحبش أن محمّداً ... نبي كموسىٰ، والمسيح بن مريم

أتىٰ بالهدىٰ مثل الّذي أتيا به ... فكل، بأمر الله، يهدي لمعصم

وانكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث، لاحديث المرجم

قلت: فلولا أنه مصدق بدينه، لما رضي لابنيه أنْ يكونا معه، وأنْ يصليا معه، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة، فإنّ عداوة الدين، أشد العداوات، قال الشاعر:

كلّ العداوات قد ترجىٰ مودتها ... إلاّ عداوة من عاداك في الدين

ومن غرر مدائحه فيه ﷺ، مارواه ابن هشام في سيرته من قوله:

إذا اجتمعت يوماً قريش لفخر[١] ... فعبد مناف سرّها وصحيحها[٢]

وإنْ حصلت أنساب عبد منافها[٣] ... ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإنْ فخرت يوماً فإنّ محمّداً ... هو المصطفىٰ من سرها وكريمها[٤]

قلت: وهذا نطق بالوحي قبل نزوله، فإنه ﷺ أخبر بذلك في الأخبار المتقدمة، والحديث وحي القرآن.

ومنها: قوله في قصيدته اللامية الطنانة[٥]:

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإنّ طريق الحق ليس بمظلم

ورابعاً: هو الّذي قال لقريش عندما علم بتظاهرهم علىٰ رسول الله ﷺ، كما جاء في السيرة ١: ٣٥٢، لابن هشام.

ألم تعلموا أنا وجدنا محمّداً ... نبياً كموسىٰ خط في أول الكتب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً ... لعزاء من عض الزمان ولاكرب

والسؤال الّذي يطرح نفسه: هل يوجد أكثر من هذا الإقرار بالنبوة لمحمد ﷺ، والّذي شبه نبوته بنبوة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام؟ ولكن قاتل الله الحقد والحسد بدا بصاحبه فقتله! ووالله لو كانت هذه الأبيات الشعرية لأبي سفيان أو فلان وفلان لأقمتم الدنيا ولم تقعدوها، ولكن كانت لأبٍ ابنه وتر منافقيكم ومشركيكم وصناديدكم في الجاهلية، وكسر أصنامكم الّتي كنتم ولا زلتم تعبدونها بعد أنْ كانت متمثلة باللات والعزىٰ وهبل، أمّا الآن تمثلت بالأفراد والدولارات والدراهم والدنانير.

١ - في المصدر «لمفخر» بدل لفخر.

٢ - في المصدر «وصميمها» بدل وصحيحها.

٣ - في المصدر «وإن حصلت أشرف كلّ قبيلة».

٤ - السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٨٨ / دار إحياء التراث العربي بيروت، ديوان أبي طالب: ٢٤ وقال في الديوان: ٥٢، جمع عبدالحق العانيّ / دار كوفان، المملكة المتحدة ما نصه:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها

٥ - ذكر هذه القصيدة أكثر أهل السير، وشرحها أيضاً كثيرون، كالعلامة الدحلاني في أسنىٰ

أعــوذ بـرب النـاس مـن كـلّ طـاعن ... عــلينا بشــرّ[١] أو مــلحّ [٢] بــباطل

وبالبيت ركن [٣] البيت من بـطن مكّـة ... وبــــالله إن الله ليس [٤] بــــغافل

إلىٰ أن قال:

كذبتم وبـيت الله نـبزي [٥] مـحمّداً ... ولمّــا نــطاعن دونـه ونـناصل[٦]

ونـــنصره حـــتّىٰ نـصرّع حــوله ... ونـذهل عـن أبـنائنا والحـلائل[٧]

إلىٰ أنْ قال:

المطالب في نجاة أبـي طـالب ص :١١، وقـال: قـال ابـن كـثير هـذه القـصيدة بـليغة جـداً، لا يستطيع أن يقولها إلاّ من نسـبت إليـه، وهـي أفـحل مـن المـعلقات السبع وأبـلغ فـي تأديـة المعنىٰ.

وأمّا سبب إنشائها فقد اختلف المـؤرخـون فـي ذلك، فـقيل: إنـه قـالها حـين انـتشر أمـر رسول الله ﷺ وخـاف أبـو طـالب أنْ تـعاضد العـرب قـومه عـلىٰ قـلعه ﷺ، فـلما أنشأهـا وتلاها عليهم وسمعها الأشراف تعوذوا بها .وقـيل: إنـه قـالها فـي الشـعب وفـي بـعض أبـياتها مايؤيد ذلك. أُنظر ابن هشـام فـي سـيرته ١:٢٨٦، أبـا هـفان العـبدي فـي ديـوان أبـي طـالب :٢ـ١٢، ابــن أبــي الحــديد فـي شـرحـه ٢:٣١٥، تـاريخ ابـن كـثير ٣:٥٣، إرشـاد السـاري ٢:٢٢٧، المواهب اللدنية ١:٤٨، عمدة القاريّ ٣:٤٣٤،خزانة الأدب ١:٢٥٢.

١ - فــي المــخطوط «بســوء»، والصـحيح هكـذا، كـما ورد فـي إعـلام الورىٰ للـطبرسي :٣٢، وبحار الأنوار للمجلسي ج ١٩:٢.

٢ - في المخطوط «صلح» بدل ملحّ، كما ورد في المصادر السابقة .

٣ - في المخطوط «هذا» بدل ركن، كما ورد في المصادر السابقة .

٤ - في المخطوط «ينس» بدل ليس، كما ورد في المصادر السابقة .

٥ - فــي المـخطوط «نـحمي» بـدل نـبزي، كـما ورد فـي أمـالي الشـيخ المـفيد :١٧٨، وأمـالي الشيخ الطـوسيّ ١:٧٣، ط بـيروت، فـتح البـاري لابـن حـجر فـي شـرح الحـديث «١٠١٠» من صحيح البخاريّ ٢:٤٩٦ .

٦ - في المـخطوط «ولاء بـطعن ونـناضل» بـدل «ولمّـا نـطاعن دونـه ونـناصل»، كـما ورد فـي المصادر السابقة، وتاريخ الطبريّ ٤:٢٢٢، سـعد السـعود للسـيد ابـن طـاووس :١٠٢، تـاريخ دمشق، ح ١٩ ـ ٢٠ من ترجمة أبي طالب ،وكتاب إيمان أبي طالب :٣٣٩.

٧ - «ونسلمه» بدل «وننصره»، كما ورد في كتاب إيمان أبي طالب :٣٣٩.

ومـا تـرك قـوم لا أبـاً لك سيّداً	يحوط الذمار غير ذرب مـواكـل (١)
وابيض يستسقى (٢) الغمام بوجهه	ربيع (٣)اليتامى عصمة للأرامـل (٤)
يـلوذ بـه الهـلاّك مـن آل هاشم	فهم عنده في نعمة (٥) وفواضـل (٦)

---

١ – في المخطوط ورد «زمان» بدل الذمار، و «رب» بدل ذرب، كما ورد في فتح الباري ٢:٤٩٦ في شرح ح ١٠١٠ من صحيح البخاريّ، تفسير عليّ بن إبراهيم القمي: ٣٥٤ في تفسير الآية ٩٠ من سورة الإسراء.

٢ – في المخطوط «نستسقي» بدل يستسقى، كما ورد في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد: ٩٨، إعلام الورى للطبرسي: ٨٤، بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٠، مسند أحمد ٨:٤٨ ط مصر ح ١١٠٠ تحت الرقم ٥٦٧٣، ابن قتيبة من كتاب غريب الحديث ١:٣١٣ في شرح ح ٥٦ من غريب كلام عمر، الخصائص الكبرى للسيوطي ١:٨٦ ط بيروت / دار الكتب العلمية.

٣ – في المخطوط «ثمال» بدل ربيع. كما ورد في المصادر السابقة.

٤ – ذكر هذا البيت ابن عساكر في تاريخه الكبير ١:٣٣٣، ط الشام، وذكره الحلبيّ في سيرته ١:١٢٥، ط مصر، الخصائص الكبرى ١:١٢٤، وهذا البيت هو الّذي استشهدت به فاطمة الزهراء عليها السّلام لما احتضر النبي صلى الله عليه وآله وقرب خروج نفسه فاكبت فاطمة عليها السّلام تنظر في وجهه، وتندبه وتبكي، وتقول «وأبيض يستسقى الغمام بوجهه.... البيت» ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينه وقال بصوت ضئيل: يابنية هذا قول عمك أبي طالب، لا تقوليه ولكن قولي: «وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم» الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

٥ – في المخطوط «رحمة» بدل نعمة، كماورد في المصادر السابقة.

٦ – شرح صحيح البخاريّ للقسطلاني ٢:٢٢٧، المواهب اللدنية ١:٤٨، الخصائص الكبرى ١:٨٦، شرح بهجة المحافل ١:١١٩، السيرة الحلبية ١:١٢٥، السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١:٨٧، طلبة الطالب :٤٢، البارع للقالي :٦٥٢، جامع الأُصول ٦:٢١٢، النهاية في غريب الحديث ٢:٢٦٦، الحُلّة السّيرا في مدح خير الورى، :٣٥ و٧٣ في الهامش، لمحمّد بن أحمد بن عليّ بن جابر الأندلسيّ الهوّاري «ت ٧٨٠ هـ» تحقيق: عليّ أبو زيد.

وذكر الشهرستانيّ في الملل والنحل بهامش الفصل ٣:٢٢٥، «ومما يدل على معرفته بحال الرسالة، وشرف النبوة أنّ أهل مكّة لما أصابهم ذلك الجدب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر عبد المطلب أبا طالب ابنه أن يحضر المصطفى عليه الصلاة والسّلام، وهو رضيع في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السماء وقال «يارب بحق هذا الغلام. ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً، فلم يلبث ساعة أنْ طبّق السحاب وجه السماء وأمطر حتّى خافوا على

إلىٰ أنْ قال:

فمن مثله في الناس أو من مؤمّل (١) إذا قايس الحكّام أهل التفاضل (٢)

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلٰهاً ليس عنه بذاهل (٣)

فو الله لولا أنْ أجيء بسبّة تجرّ علىٰ أشياخنا في المحافل (٤)

لكنّا اتبّعناه علىٰ كلّ حالة من الدهر جدّاً غير قول التهازل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لديهم (٥) ولا يعنىٰ بقول الأباطل (٦)

فأصبح منّا أحمد في أرومة (٧) تقصر عنها سورة المتطاول (٨)

المسجد. فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيّد الأبطح بالنبي الأعظم يوم كان ﷺ رضيعاً يافعاً يعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أول يومه.

١ - في المخطوط «أي موئل» بدل أو من مؤمّل، كما ورد في تفسير الآية ٥٧ من القصص في تفسير روض الجنان للشيخ أبي الفتوح الرازيّ ٧: ٤٧٤.

٢ - في المخطوط «قاسه» بدل قايس، وعند بدل أهل، كما ورد في المصادر السابقة.

٣ - في المخطوط «بغافل» بدل بذاهل، كما ورد في المصادر السابقة.

٤ - إيمان أبي طالب «الحجة علىٰ الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب» :٣٥٦، ورد البيت الشعري هكذا ولولا حذاري...وتنث بدل تجر»، سيرة ابن هشام ١: ٢٨٠.

٥ - في المخطوط «لدينا» بدل لديهم، كما ورد في أمالي الشيخ الصدوق :٣٦٦، أُصول الكافيّ للشيخ الكلينيّ ١: ٤٤٩،الغدير ٧: ٣٩٦، الحجة لابن معد :٩٤ و ١١٥.

٦ - الديوان :١١، وفي كتاب إيمان أبي طالب :٣٥٨ ورد بلفظ «ألم تعلموا...لدينا ولا يعبأ» بدل لقد علموا...ولا يعنىٰ»، وراجع صحيح البخاريّ ٢: ٧٥، السنن الكبرىٰ ٣: ٣٥٢، دلائل النبوة ٦: ١٤١، الخصائص الكبرىٰ ١: ١٤٦ و ٢٠٨.

٧ - في المخطوط «فينا» بدل منّا، و «ياأرومة» بدل في أرومة، كما ورد في سيرة ابن هشام ١: ٢٨٦ـ٢٩٨ وعدّ القصيدة في أربعة وتسعين بيتاً، وذكر منها ابن كثير اثنين

وجــدت بــنفسي دونــه وحــميته [٩]
ودافعت عنه بالطلىٰ [١٠] والكلاكـل [١١]

قال بعد رواية القصيدة كلّها، وهي أحد وسبعون بـيتاً: هـذا مـاصح له من القصيدة.

قال وحدثني من أثق به قال: « أقحط هل المدينة، فأتـوا رسـول الله عليه السلام، فشكوا ... ذلك إليه، فصعد المنبر فاستسقىٰ، فمالبث أنْ جاء أهل النواحي يشكون منه الغرق، فقال رسول الله عليه السلام: « اللهم حوالينا ولا علينا»، فانجلت السحاب عن المدينة، فصار حواليها. فقال النبي عليه السلام: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره»، إلىٰ آخر ما ذكره ابن حجر في شرح الهمزية.

ومنها ماقاله لما سافر به إلىٰ الشام [١٢] فأخبره بحيرا بنبوته وأمره برده إلىٰ

وتسعين بـيتاً فـي تـاريخه ٣:٥٣ – ٥٧، وقـال العـلاّمة الأمـيني فـي الغـدير ٧:٣٤٠، وهـذه القـصيدة عـظيمة بـليغة جـداً لا يسـتطيع أن يـقولها إلا مـن نُسبت إليـه، وهـي أفـحل مـن المعلقات السبع، وأبـلغ فـي تأديـة المـعنىٰ فـيها جـميعاً، وقـد أوردهـا الأُمـوي فـي مـغازيه مطولة بزيادات أُخر، وذكرها أبـو هـفان العـبدي فـي الديـوان :٢ـ ١٢ فـي مـئة وأحـد عشـر بيتاً، وقد شرحـها عـبدالقـادر البـغداديّ فـي خـزانـة الأدب ١:٢٦٠، تـاريخ ابـن كـثير ٣:٥٣ ـ٥٧ ،إرشـاد السـاري للـقسطلاني ٢:٢٢٧، وقـال عـنها: قـصيدة جـليلة بـليغة مـن بـحر الطويل، وعدّة أبياتها مئة وعشرة أبيات، قالها لما تـمالأت قـريش عـلىٰ النـبي عليه السلام ونـفروا عنه من يريد الإسلام، وقال ابن التين ـ المذكور فـي كـلام القسـطلانيّ ـ إن شـعر أبـي طـالب هذا دليلٌ علىٰ أنّه كان يعرف نبوة النـبي عليه السلام قـبل أن يـبعث لمـّا أخـبره بـه «بـحيرا» وغـيره مع ما شاهده من أحواله، ومنها الإستسقاء بـه فـي صـغره ومـعرفة أبـي طـالب بـنبوته عليه السلام، قال ذلك في عمدة القاريّ للعيني ٣:٤٣٤، المواهب اللدنية ١:٤٨.

٨ – إيمان أبي طالب في هامش :٣٥٨، و «منها» بدل عنها.

٩ – في المخطوط «فـديت بـنفسي دونـه ورحـمته» بـدل وجـدت بـنفسي دونـه وحـميته، كـما ورد في المصادر السابقة.

١٠ – في المخطوط «بالذرىٰ» بدل بالطلىٰ، كما ورد في المصادر السـابقة.

١١ – سـيرة ابـن هشـام ١:١٧١،و «حـديث» بـدل وجـدت، الديـوان :١٢ و «الذرىٰ» بـدل الطـلىٰ، العـمدة :٤١٢، شـرح النـهج ١٤:٧٩، الحـجة عـلىٰ الذاهب إلىٰ تكـفير أبـي طـالب :٣٣٩، الطرائـف :٣٠١، البـدايـة والنـهاية ٣:٥١ ـ ٥٥، السـيرة النـبوية للـذهبي : ٩٥، خـزانـة الأدب ١:٢٥٢ ـ ٢٦١.

١٢ – ذكر خروجه عليه السلام إلىٰ الشام في المرة الأُولىٰ، وما اشـتمل عـليه مـن الدلائـل عـلىٰ نـبوته،

مكّة، وجاء نفر من أهل الكتاب يريدون قتله، وهم زبير[١] وتمّام ورأيس[٢] فردهم عنه بحيرا[٣]، وهي هذه الأبيات[٤]:

فما رجعوا حتّىٰ رأوا من محمّد أحاديث تجلو غم كلّ فؤادي[٥]
زبير وتمام وقد كان شاهداً[٦] دبيس[٧] وهمّوا كلّهم بفسادي[٨]
فقال لهم قولاً بحيرا، وايقنوا له بعد تكذيبٍ وطول بعادي[٩]
كما قال للرهط الذين تهودوا وجاهدهم في الله حق جهادي[١٠]
فقال، ولم يملك[١١] له النصح رده فإنّ له إرصادَ كلًّ مصادي[١٢]

وهو ابن عشر سنين كلّ من البداية والنهاية ٢: ٣٤٥، الكاشف ٣: ٢٦٤، تقريب التهذيب ٢: ٣٨٤، وأخرجه أبو نعيم عن الواقديّ عن شيوخه، وذكره ابن حجر في الإصابة ١: ١٧٩، وابن سعد في الطبقات ١: ١٢١، والسيوطيّ في الخصائص ١: ٢٠٨، ودلائل النبوة ١: ٢١٥،و ٢: ٢٤، ابن هشام في السيرة ١: ١٨٠، والترمذيّ برقم «٣٦٢٤»، والفتح ١٠: ٣٤٥، والخلاصة قالوا: ورآه رجال من اليهود، فأرادوا أن يغتالوه، وعرفوا صفته، (وهم زرير وتمّام ودُريس)، كما جاء في السيرة والخصائص، وقيل: هم (زريد وتمّام ودبيس) كماجاء في دلائل النبوة، وهم من أهل الكتاب، كانوا قد هموا وأجمعوا أن يغتالوه، فذهبوا إلىٰ بحيرا فذاكروه ذلك، وهم يظنون أنّ بحيرا سيتابعهم علىٰ رأيهم، فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فتركوه وخرج به أبو طالب راجعاً سريعاً خائفاً من اليهود أن يغتالوه.

١ - زريد في دلائل النبوة ١: ٢١٦، وفي السيرة (زرير وتمّام ودُريس).
٢ - دبيس في دلائل النبوة ١: ٢١٦، وفي السيرة دُريساً.
٣ - السيرة النبوية لابن كثير ١: ٢٤٥ / دار إحياء التراث العربي.
٤ - هذه القصيدة ذكرتها المصادر الّتي أشرنا إليها سابقاً إلىٰ أبي طالب. رغم أن المصنف قد أهمل القائل لها.
٥ - في الخصائص الكبرىٰ ١: ٨٥، «كلّ فؤادِ».
٦ - في الخصائص صدر البيت «زبيراً وتماماً».
٧ - في الخصائص ١: ٨٥، «دريساً».
٨ - في الخصائص ١: ٨٥، «بفسادِ».
٩ - في الخصائص ١: ٨٥، «بعادِ».
١٠ - في الخصائص ١: ٨٥، «جهادِ».
١١ - في الخصائص ١: ٨٥، «يترك».
١٢ - في الخصائص ١: ٨٥، «مصادِ».

فــإنّي أخــاف الحــاسدين وأنــه ... لفي [١] الكتب مكتوب بكـل مـدادِ

أقول: وقد وقفت له في بعض السير على قصيدة قافية، وقد وصىٰ فيها ولده طالباً[٢] باتباع النبي صلى الله عليه وآله.

قال العلاّمة الحلبيّ في سيرته: ولم يعرف لطـالب المـذكور إسـلام، وهـي هذه[٣]:

أَبُنيّ طالب [٤] إنّ شـيخك نـاصح ... فـيما يـقول مسـدّد لك راتـق [٥]

إنّ ابــن عــمك بـالنبوة والهـدىٰ ... والرشد والإيـمان جـاءك صـادق

صــبح الربــيعة لايــرام جــنابه ... مــن وجـهه يـنزاح ليـل غـاسق

نسقي السحاب بوجهِه في مـحلنا ... وبــه جــرىٰ وبــل عـلينا دافـق

كــهف اليــتيم وللأرامــل كـافل ... حــلف الرشــاد وللـغواة مـفارق

ملجا الضعيف وركـن كـلّ مـؤمل ... ورجــا الغـريب وبـالأباعد رافـق

فـاعضد قـواه يـابنيّ [٦]، وكـن له ... إنّــي بـجدّك لامـحالة لاحـق [٧]

---

١ - في الخصـائص ١:٨٥، ورد هكذا(لفـي الكـتب مكـتوب بكـل مـدادِ)، وهـو الصـحيح .وفـي المخطوط هكذا(أخو اكتب مكتوب بكل مددي).

٢ - وطالب هذا ابـن أبـي طـالب له تـرجـمة مـختصرة فـي سيرة رسـول الله صلى الله عليه وآله تـحت الرقـم ٦٧٥ مــن كــتاب أنسـاب الأشـراف للـبلاذري ١:٣٠٦، ط ١، وعـقد له البـلاذريّ تـرجـمة مختصـرة أيضاً في آخر كتاب أنساب الأشراف ٢:٤٢ ط بيروت.

٣ - ذكر هذ القصيدة ابن شهر آشوب في المناقب ١:٥٦، الدرجات الرفيعة :٦١.

٤ - في المـخطوط «يـاطالب اعـلم»، بـدل أبـني طـالب، كما ورد فـي مـناقب آل أبـي طـالب للحافظ السرويّ ١:٦٢، ط بـيروت، بـحار الأنـوار ج ٣٥:٩١، ط بـيروت. وطـالب هـو بـن عبد مناف ابن عـبد المـطلب بـن هـاشم بـن عـبد مـناف بـن قـصي «ت٢هـ» كـان أكـبر ولد أبيه...ويليه عقيل، ثم جعفر وأصغرهم عليّ، وأُمـهم فـاطمة بـنت أسـد بـن هـاشم وهـي أول هاشمية ولدت لهـاشمين. راجـع سـيرة ابـن هشـام ٢:٢٧١، المـحبّر :٤٥٧، الحـيوان ٣:٤٩٠، أنساب الأشراف :٣٠٦، الكامل للمبرد ٤:١٢٠.

٥ - في المخطوط ورد «ولذلك يمنحك النـصيحة واحـق»، بـدل فـيما يـقول مسـدّد راتـق، كـما ورد في المصـادر السابقة.

٦ - في المخطوط ورد «فاعضده دوماً»، بدل فاعضد قواه، كما ورد في المصادر السابقة.

٧ - في المخطوط ورد «ركناً تجده..واثـق بـدل إنّـي بـجدّك...لاحـق»، كـماورد فـي المـصادر السابقة.

وافلق بسيفك رأس من يبدي له غشاً فسيفك للجماجم فالق

وأذقه هيجاالموت في كأس الوغىٰ وإلىٰ السعير مصير ذاك الذائق

لو كنتُ أبلغ عصره لنصرته فانصره، فهو بكل خير ناطق

حتّىٰ يبلغ ما يقول إلىٰ الورىٰ فيسير غرباً دينه ومشارق

أترىٰ أعاين شخص أحمد بعدما يغشىٰ لجسمي بالمنية ساحق

نعق الغراب بأنني مستهلك وكذا الغراب علىٰ الخلائق ناعق

هيهات لم أتبعه حين أوانه أسفاً، وإني في القيامة رامق

فعساه يشفع لي أمام مليكه يوماً يشفعه الآله الخالق

أترىٰ أراه فوق منبره علا يوماً، ومنه يكون ذاك الناطق

وأرىٰ علياً في المعاد وراءه في كفه اليمنىٰ لواء خافق

وقريش يومئذ تؤمل أمنه عند العذاب إذا اعتراها راهق

يدعون أحمد لايجيب نداهم أنّىٰ، وكيف إذا دعاه منافق

ويفوز بالجنات من يبغي الهدىٰ وله قصور في الجنان شواهق

ومنابر ونمارق مصفوفة ولباسهم فيها الحرير اللائق

وفواكه ومآكلٌ ومشارب وسعادة، والعيش فيها رائق

لكنني أخشىٰ مقالة قائل أني جزعت، كما يقول الفاسق

والله ما أخشىٰ سوىٰ عار ولو كان الجحيم وحرها لي سائق

قد عاقني ريب الزمان وطالما قد كنت أرقىٰ للعلا وأُسابق

لكن أحمد في المعاد وسيلتي وبجاهه عند المهيمن واثق

مني السّلام علىٰ الحبيب محمّد والموت للإنسان حقاً طارق

فمن تأمل في هذه القصيدة وغيرها مما تقدم من شعره قطع له بالإيمان والنجاة.

فصل:

في

بيان نجاة أبي طالب

بيان نجاة أبي طالب

هذا الّذي اخترناه من كون نجاة أبي طالب، لما كان عنده من التصديق الكافيّ في النجاة في الآخرة، هو طريق المتكلمين من أئمة الأشاعرة رضي الله تعالىٰ عنهم[1].

ومادلت عليه أحاديث الشفاعة المتقدمة، وقد علمت أنه لامنافاة بين القول بالنجاة، وبين الأحاديث الدالة علىٰ عذابه، ودخوله النار، لجواز كون الدخول لترك النطق بالشهادتين، أو ترك الصلاة، كما سبرت الاشارة إليه.

وهذه الطريقة أجازتها الأشاعرة، فلايمكن أحد أنْ ينكرها».

وقد ادعت الشيعة[2] إسلامه ونطقه بالشهادتين، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة[3]: وذكر جمع من الشيعة[4] أنه مات مسلماً، وتمسكوا بما نسب إليه من

---

١ - ذكر العلاّمة الدحلاني في صورة الجواب عن الّذي ألحقه بآخر كتابه المذكور :٣٣ نقلاً عن شرح العلاّمة السحيمي مانصه: نقل عن القرطبيّ والسبكيّ والشعرانيّ أن الله أحيا أبا طالب، وآمن بالمصطفىٰ ﷺ ثم مات مسلماً، قال العلاّمة السحيمي: وهذا الّذي اعتقده.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه ج ٣: ٣١٠: إن من جملة من قال بأن أبا طالب مات مسلماً الشيخ أبا القاسم البلخي، وأبا جعفر الإسكافي وهما من شيوخ المعتزلة وأعلامهم. وقال العلاّمة الفتوني في ضياء العالمين، إنّ منهم الحسن بن الفضل وعليّ بن أبي المجد الواسطي وأبا بشر الآمدي، كما يظهر من كلامهم. ثم قال: وقد قال ابن الأثير في كتاب جامع الأصول: ما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت.

٢ - راجع الاختصاص للشيخ المفيد :١٤٧ و١٤٨ و٢٤١، الإرشاد :١٠٠، الأمالي :٣٠٣، أوائل المقالات :١٢، تصحيح الاعتقاد :٦٧، الفصول المختارة :٣٢ ومابعدها و:٢٢٨.

٣ - الإصابة ٧: ١٩٨ / دار الكتب العلمية بيروت.

٤ - في المصدر «الرافضة» بدل الشيعة.

قوله: «ودعوتني، وعلمت أنك صادق «البيتان المتقدمان»[١].

قال: ولقد وقفت علىٰ تصنيف لبعض الشيعة، يثبت فيه إسلام أبي طالب منها:

ما أخرجه من طريق يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، عن العباس بن عبد الله بن سعيد بن عباس، عن بعض أهله عن ابن عبّاس قال:« لما أتىٰ رسول الله ﷺ، أبا طالب في مرضه قال له: « ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة، قال: يابن أخي والله لولا أن تكون سُبَّةً عليك وعلىٰ أهل بيتك من بعدي يرون أني قلتها جزعاً حين نزل بيّ الموت لقلتها ـ لا أقولها إلا لأسُرَّك بها ـ فلما ثقُل أبو طالب رُئِيَ يحرك شفتيه فأصْغىٰ إليه العباس ليستمع قوله فرفع[٢] رأسه عنه فقال: قد قال والله الكلمة الّتي سألته عنها» انتهىٰ[٣].

قلت: ولفظ ابن هشام: «فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه فرآه يحرك شفتيه، قال فأصغىٰ إليه باذنيه فقال: «ياابن أخي، لقد قال الكلمة الّتي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع» [٤].

قال الحافظ ابن حجر: الحديث ضعيف، وبتقدير ثبوته، فقد عارضه ماهو أصح منه ففي الصحيحين [٥] من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أُمية، فقال: « ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أُحّاج لك بها عند الله»[٦].

فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أُمية : «يا أبا طالب أترغب عن ملة

---

١ - ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت فكنت قبل أميناً
ولقد علمت بأنّ دين محمّد ... من خير أديان البرية ديناً

٢ - في دلائل النبوة للبيهقي ٢:٣٤٦، «فرجع»، بدل فرفع.

٣ - الإصابة ٧:١٩٨ / دار الكتب العلمية، دلائل النبوة للبيهقي ٢:٣٤٦.

٤ - السيرة النبوية لابن هشام ٢:٥٩ / دار إحياء التراث العربي بيروت ،ابن حجر في فتح الباري ٧:١٩٣، فقوله لم أسمع ضعيف: لأن العباس لم يتلفظ بها. ومن هنا فإن أبا طالب بألفاظه وأقواله المنظومة والمنثورة تدل علىٰ أن إسلامه وإيمانه أظهر من إسلام العباس وإيمانه.

٥ - صحيح البخاريّ ٢:١١٩، وصحيح مسلم ٣:٩ و ٥٠ و٥٥، وكذلك في مسند أحمد.

٦ - الوفا بأحوال المصطفىٰ للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزيّ م ١:٢٠٧، ط دار المعرفة بيروت/ تحقيق: مصطفىٰ عبدالواحد.

عبدالمطلب؟»، فلم يزالا به حتىٰ آخر ماقال: « هو علىٰ ملة عبدالمطلب».

فقال النبي عليه‌السلام: « لأستغفرن لك مالم أُنه عنك»[١].

ونزل: ﴿مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢] الآية انتهىٰ[٣].

---

١ - الوفا بأحوال المصطفىٰ لابن الجوزيّ :٢٠٧، دلائل النبوة للبيهقي ٢:٣٤٣. ولم يذكر قوله لما مات وهو كافر. وهذه رواية شعيب الّتي أخرجها البخاريّ في فتح الباري ٨:٥٠٦ من طريق أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

٢ - الآية ١١٣ من سورة التوبة. هذه الآية من الآيات الّتي يستدل بها القائل علىٰ موت أبي طالب، وهو مشرك، كما ورد في صحيح البخاريّ ٢:٢٠١، بإسناده عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل رسول الله عليه‌السلام فوجد عنده أبا جهل.....» وتبع البخاريّ مسلم بصحيحه في رواية أيضاً عن طريق سعيد ابن المسيب...وقد أوضحنا ذلك سابقاً بانحراف الرواة وكذبهم علىٰ أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه‌السلام، فلا نعيد الكره، هذا أولاً.

وثانياً: هذه الآية نزلت بعد الفتح في المدينة، كما جاء في تاريخ اليعقوبيّ ٢:٣٢، سنة ثمان للهجرة، ومعنىٰ هذا أنّ الفرق بين وفاة أبي طالب ونزول هذه الآية ما ينيف علىٰ ثمانية أعوام، مع العلم أنّ وفاة أبي طالب كانت بمكّة.

وثالثاً: هنالك آيات نزلت قبل هذه الآية تنهىٰ وتزجر المؤمنين عن موادة المشركين والمنافقين، وتنهىٰ أيضاً عن الاستغفار لهم، كما ورد في الآية ٢٢ من سورة المجادلة « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه....» فهذه الآية وغيرها، كالآيتين ١٣٩ و ١٤٤، من سورة النساء والآية ٢٨ من سورة آل عمران، والآية ٦ من سورة المنافقون، والآيتين ٢٣ و ٨٠ من سورة التوبة نزلت بالمدينة، وحتّىٰ لو قيل إنهامكية فانها نزلت قبل آية الاستغفار، والسؤال الّذي يطرح نفسه: هل كان استغفار النبي عليه‌السلام خلال هذه الفترة مخالفاً لأمر الله؛ لأن أبا طالب مات في عنفوان الإسلام والرسول بمكّة؟ راجع تفسير القرطبيّ ٨:٢٧٣.

ورابعاً: هنالك روايات تعارض وجه نزول هذه الآية، فمنها مارواه الطبريّ في تفسيره ١١:٣١ أنهانزلت عندما استغفر الرسول لأُمه، لكن الزمخشريّ في الكشاف ٢:٤٩ قال: إنهانزلت في أبي طالب. وقال السيوطيّ في الدر المنثور ٣:٢٨٣ إنهانزلت عندما أراد النبي أنْ يستغفر لأبيه، كما استغفر إبراهيم لأبيه. وقال زيني دحلان في أسنىٰ المطالب :٣٢ « الأرجح أنها نزلت في استغفار أُناس لآبائهم المشركين لا في أبي طالب» ولكن يبطل الأقوال الّتي تقول إنها نزلت في أبي طالب قول ابن مسعود «أنها نزلت في غير أبي طالب» وقد ورد عن النبي عليه‌السلام بحقه «ما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه»، أمّا كلمة صاحب النهج في شرحه ٣:٣١١، الأغاني ١٧:٢٨، طلبة الطالب :٤٨، الّتي رواها

قلت: أمّا كونه ضعيفاً، فقد مرت له شواهد غير واحد، وسيأتي أيضاً مع كونه في المناقب.

وأمّا كونه عارضه ماهو أصح منه، فقد اتفقوا علىٰ أنّ الجمع مقدم علىٰ الترجيح، وهذا يمكن الجمع بأن يقال: قوله هذا عند حضور من ذكر من قريش. وقوله الأوّل بعدما ذهبوا، فيكون نطقه بالشهادتين ناسخاً لحديث الصحيحين.

والدليل علىٰ هذا رواية ابن هشام السابقة، حديث بن عباس فأن فيها قول رسول الله ﷺ يعني لقريش: « قولوا لا إله إلا الله، وتخلعون ماتعبدون من دونه».

بأسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبدالمطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة أنّ أبا طالب ما مات حتّىٰ قال: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، والخبر مشهور، أنّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغىٰ إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلىٰ رسول الله ﷺ فقال يابن أخي والله لقد قالها عمك، ولكنه ضعف عن أن يبلغه صوتك».

أنظر المختصر في أخبار البشر ١٠٢٠:١، ط مصر. أمّا حديث أبي بكر: « فقد جاء أبوبكر إلىٰ النبي ﷺ بأبي قحافة - والد أبي بكر - يقوده، وهو شيخ كبير أعمىٰ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر، ألا تركت الشيخ حتّىٰ نأتيه، فقال: أردت يارسول الله أن يأجرني الله، أما والّذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرة عينك فقال: رسول الله ﷺ صدقت» وروىٰ هذا الحديث بعينه أبو الفرج الإصفهانيّ بلفظ «لو أن أبا طالب حي، لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل» يشير إلىٰ بيت أبي طالب، من رائعته اللامية :

كذبتم وبيت الله أنْ جد ما أرىٰ ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

وأنظر الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي :١٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٣٩:١، القاضي عياض في الشفاء وشرحه لشهاب الدين الخفاجي ٣٩٥:٣، وهذا الحديث يثبت لنا أنّ إسلام أبي طالب سبق إسلام أبي قحافة والد أبي بكر .

٣ - هذه الأحاديث الّتي وردت في قصة وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ تبين لنا أنّ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله كانت له حجة ونجاة من النار، كما قال ﷺ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ومعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله متضمنة الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة، إذ لا يتم إسلام المرء إلا بهما،وكذلك حديث العباس عندما نظر إليه، وهو يحرك شفتيه، فأصغىٰ إليه فقال: يابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة الّتي أمرته أن يقولها. والكلمة الّتي عرضها عليه النبي ﷺ هي أن يقول لا إله إلا الله. رواه البخاريّ ٢٢٢:٣ ح ١٣٦٠، فتح الباري ١٩٣:٧ ح ٣٨٨٤، وفي التفسير باب ما كان للنبي والذين آمنوا..فتح الباري ٣٤١:٨ ح ٤٦٧٥، وحم ج ٥: ٤٣٣، مسند أبي عوانة ١٤:١ تفسير ابن جرير ٩٢:٢٠ ،تفسير ابن كثير ٢٩٤:٣، المواهب اللدنية ٥٥:١، الإصابة ١٩٩:٧ .

قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: «أتريد يامحمّد! أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إنّ أمرك لعجيب».

ثم قال: بعضهم لبعض: إنه والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا علىٰ دين اباۓكم حتّىٰ يحكم الله بينكم وبينه.

قال: ثم تفرقوا فقال: أبو طالب لرسول الله: والله! يابن أخي مارأيتك كلفتهم[١] شططاً». وفي نسخة سخطاً.

قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له: « أي عمّ، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة». الحديث المتقدم[٢].

فكأنه لما تفرقوا تأخر أبو جهل، وعبدالله بن أبي أُمية، ينتظرون الجواب البيّن من رسول الله ﷺ « فقال أبو طالب ما قال»، ليسمعهما أنّ الّذي طلبه منهم النبي ﷺ ليس بشطط، فطلب منهم رسول الله ﷺ أن يقولها فأجاب بما أجاب

---

١ - في المصدر «سألتهم» بدل كلفتهم.

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ٢:٥٩ / دار إحياء التراث العربي بيروت، تهذيب سنن أبي داود / باب الشفاعة، ح ٤٧٣٠. وقد تضمنت أحاديث الشفاعة خمسة أنواع من الشفاعة كما أشرنا إليها سابقاً، وهي:

«١» الشفاعة العامة الّتي يرغب فيها الناس إلىٰ الأنبياء، نبياً بعد نبي حتىٰ يريحهم الله من مقامهم.

«٢» الشفاعة في فتح الجنة لأهلها.

«٣» الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة.

«٤» الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.

«٥» الشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.

ويبقىٰ نوعان يذكرهما كثير من الناس:

«أ» الشفاعة في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها. وهذا النوع لم اقف إلىٰ الآن علىٰ حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر، إنما تكون بعد دخولهم النار، وأمّا أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون، فلم أظفر فيه بنص.

«ب» شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب، ورفعة الدرجات، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة وقوله ﷺ «اللّهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين».

والسؤال الّذي يطرح نفسه: أفي كلّ هذه الأنواع لا تشمل أبا طالب، ولو واحدة منها؟

مداراة لهما لئلا ينفرا خشية أنْ يؤذوا رسول الله ﷺ فيمابعد.

ثم بعدما ذهبوا كلّهم، وأيقن بالموت نطق بما كان منطوياً في صحة من التوحيد والتصديق، فيكون هذا الحديث ناسخاً لحديث الصحيحين لا معارضاً له، كما جعل ابن شاهين وغيره حديث إحياء الأبوين، مع ضعفه عنده ناسخاً لحديث مسلم وغيره[١].

وقوله ﷺ في رواية ابن هشام « لم أسمع»، لايدل علىٰ عدم قوله، فقد قال للعباس يوم بدر بعد أنْ قال: «أنا كنت مسلماً، لا أدري، أمّا ظاهرك فكنت علينا وأخذ منه فداء نفسه، وابني أخويه، وحليفه، فلم يصدق عباساً، ولم يكذب بـه[٢] كذلك لم يكذبه هنا، ولم يصدقه؛ لأن عباساً ﷺ إذ ذاك لم يكن قد أسلم، وقد ظهر لك أنّ هذا الجواب يغني عن الجواب، بأن أبا طالب قد علم أنّ عبد المطلب كان علىٰ التوحيد. فلهذا قال: «هو علىٰ ملة عبدالمطلب».

فإنّ هذا، وإن كان جواباً صحيحاً، كما سبقت الإشارة إليه، ولكن إنما يحتاج إليه عند تحقق المعارضة، وقد قررنا أنه لا معارضة، ولا ينافيه، قوله آخر ماقال في ذلك المجلس، وآخر ما راجع به رسول الله ﷺ، وهذا ماكان في مجلس آخر ومن عند نفسه، من غير طلب أحد فيه، وتصبح بذلك رواية مسلم قال: «أبو طالب آخر ماكلمهم هو علىٰ ملة عبدالمطلب»[٣]، فإن الضمير المنعوت في كلمهم لأبي جهل، ومن معه من كفار قريش، فدل علىٰ أنه آخر كلامه معهم لا آخر ماتكلم به مطلقاً.

---

١ – ناسخ الحديث ومنسوخه :٤٨٧ – ٤٩٠ح ٦٥٢ – ٦٥٦.

٢ – قال ابن كثير في السيرة النبوية ٤٦٢:٢ قال ابن إسحاق: وكان رجلاً موسراً ـ أي العباس ـ ففادىٰ نفسه بمئة أوقية من ذهب. قلت: وهذه المئة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبه بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر، كما أمره رسول الله ﷺ حين ادعىٰ أنه كان قد أسلم، فقال له رسول الله ﷺ «أمّا ظاهرك فكان علينا، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك»، ومن هذا يتبين إسلام أبي طالب وإيمانه أظهر من إسلام العباس وإيمانه.

٣ – صحيح مسلم ٥٤:١، كتاب الإيمان باب ٩ ح ٣٩، الطبعة الأولىٰ / دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابيّ، وصحيح البخاريّ ٦٥:٥ باب ٣٩ / دار إحياء التراث العربي بيروت.

ثم قال الحافظ ابن حجر: ومن أدلته: ما أخرجه من طريق ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن أبي عامر الهوزني، أنّ رسول الله ﷺ خرج معارضاً جنازة أبي طالب وهو يقول: «وصلتك رحم»[١]. قال وهو مرسل، ومع ذلك فليس في قوله:« وصلتك رحم» مايدل علىٰ إسلامه، بل فيه مايدل علىٰ عدمه، وهو معارضته

---

١ - الحديث هكذا نقلته المصادر، كشرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ٣١٤، والحجة :٦٧، ومعجم القبور ١:١٩١ و ٢٠٤، وشيخ الأبطح :٤٣، تذكرة الخواص : ١٠، إيمان أبي طالب :١٠، ابن سعد في طبقاته ١: ١٠٥، السيرة الحلبية ١: ٣٧٣، والبرزنجيّ في أسنى المطالب :٣٥، تاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥، الإصابة ٤: ١١٦، شرح شواهد المغنيّ :١٣٦، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفيّ، كما في الطرائف :٨٦، ودحلان في هامش السيرة الحلبية ١: ٩٠.

عندما اعترض رسول الله ﷺ الجنازة، ليشيّع عمّه بآيات المدح، ويفي له بحقه علىٰ الرسالة الإسلامية: «وصلتك رحم ـ ياعم ـ وجزيت خيراً! فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً». وسار مع الجنازة حتّىٰ إذا ألحِدَ وقف عليه فقال «أمّا والله لأستغفرن لك، ولأشفعن فيك، شفاعة يعجب لها الثقلان».

والسؤال الّذي يطرح نفسه: كيف يشفع رسول الله ﷺ ـ والعياذ بالله ـ لكافر؟ ثم كيف يؤبنه بقوله ﷺ «واأبتاه! واأبا طالباه! واحزناه عليك ياعماه! كيف أسلو عنك، يامن ربيتني صغيراً، وأجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد» وهو الّذي خوطب بقوله تعالىٰ:«لا تجد قوماً يؤمنون بالله، واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان»، الآية ٢٢، من سورة المجادلة. وقال ﷺ «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة، فإني وجدت فيما أوحي إلي: لا تجد قوماً» أُنظر الحديث في تفسير ابن كثير ٤: ٣٣٠، والسؤال هو أيضاً كيف تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان؟ وقد ورد أن أمر الدين مقدم علىٰ النسب، وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبي أولىٰ» وقال الحسن: من تولىٰ المشرك فهو مشرك»، كماجاء في مجمع البيان ١٠: ٣٤،وأُنظر ابن حجر في الإصابة :١١٢،طبعة مصر عام ١٣٢٥، «بتصرف».

ثم كيف يقر رسول الله ﷺ مؤمنة مع كافر ـ والعياذ بالله ـ وقد نهاه الله تعالىٰ عن ذلك في غير آية من القرآن؟ فقد ورد عن عليّ بن الحسين ﷺ أنه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال ﷺ: نعم، فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر فقال ﷺ: واعجباً كلّ العجب، أيطعنون على أبي طالب، أو علىٰ رسول الله ﷺ وقد نهاه الله تعالىٰ أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن؟ ولايشك أحدٌ أن فاطمة بنت أسد من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتّىٰ مات. أُنظر إيمان أبي طالب المعروف بكتاب الحجة علىٰ الذاهب إلىٰ تكفير أبي طالب لابن فخار : ١٤٥.

لجنازته، ولو كان أسلم لمشىٰ معه وصلىٰ عليه. انتهىٰ [١].

أقول: الدليل لايطابق الدعوىٰ، إذ الدعوىٰ إنّ كلمته: «وصلتك رحم»، لا تدل علىٰ إسلامه، والدليل يدل علىٰ أن عدم صلاته عليه لايدل علىٰ هذا، إن جعلناه معارضة، وإن جعلناه منعاً فكذلك، سند المنع بيان المنع مع هذا فنقول، بل الكلمة دالة لغة علىٰ إسلامه، إذ لارحم بين الكافر والمسلم بعد الموت، ولا أنساب بينهم يومئذ، وقد قالها بعد موته، واللفظ من حيث اللغة: يحتمل الأخبار، والدعاء، علىٰ الوجهين.

المقصود حاصل؛ لأن دعاءه عَلَيْهِ السَّلَامُ مستجاب، وعدم صلاته عليه لعدم مشروعيتها حينئذ. وعدم مشيه في جنازته قد يكون حذراً من سفهاء المشركين وأذاهم، فقد قال أهل السير: «لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأذىٰ مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب [٢] حتّىٰ اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر علىٰ رأسه تراباً فدخل رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بيته، والتراب علىٰ رأسه، فقامت إليه أحدىٰ بناته فجعلت تغسل عنه التراب، وهي تبكي، ورسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لاتبكي يابنيَّة! فإن الله مانعٌ أباك»[٣].

ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتّىٰ مات أبو طالب!»[٤]. هكذا رواه ابن سيّد الناس في السيرة[٥].

---

١ - الإصابة ٧:١٩٨ ـ ٢٠٠ / دار إحياء الكتب العلمية بيروت.

٢ - راجع مفصل القصة في سيرة ابن هشام ١: ٤٨٠.

٣ - السيرة النبوية ١:٨٨ و ٢٨١، السيرة الحلبية ١:٢٩١، وسيرة ابن هشام ٢:٥٨، تاريخ الطبريّ ٢:٨٠، ابن الأثير ٢:٦٣، المناقب ١:٣٨، معجم القبور ١:٢٠٢، شيخ الأبطح :٥١.

٤ - المصادر السابقة، وتاريخ الطبريّ ٢:٢٢٩، تاريخ ابن عساكر ١:٢٨٤، مستدرك الحاكم ٢:٦٢٢، تاريخ ابن كثير ٣:١٢٢، الصفوة لابن الجوزيّ ١:٢١، الفائق للزمخشري ٢:٢١٣، تاريخ الخميس ١:٢٥٣، فتح الباري ٧:١٥٣، شرح شواهد المغنيّ :١٣٦، أسنىٰ المطالب :١١، طلبة الطالب ٤:٥٤، مع زيادة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ياعم! ما أسرع ما وجدت فقدك...!».

وهو القائل حينما واجه محنتين بل مصيبتين، الواحدة تلو الأُخرىٰ وهماموت «خديجة، وعمّه أبي طالب» في سنة واحدة، بل قيل الفاصل الزمني بين موت هذا وهذه عدة أيام، وهو العام الّذي سمي بعام الحزن بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب

ويؤيد أذاهم استجال أذاهم، أنهم قاموا من عند أبي طالب مغضبين، حاقدين علىٰ رسول الله ﷺ، فلا يبعد أن يكون ترك المشي في جنازته آنفاً من شر أولئك السفهاء.

وأمّا كون الحديث مرسلاً، فالمرسل يحتج به عند الأكثرين مطلقاً. وعند الإمام الشافعيّ ﷺ: «إذا أعتضد بمسند ولو ضعيفاً». وهذا قد أعتضد بالمسند السابق، وله شاهدٌ آخر قوي، أورده السيوطيّ في الخصائص قال: أخرج ابن عساكر، عن عمرو بن العاص، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنّ لأبي طالب عندي رحماً سأبلّها». انتهىٰ[٦].

حديث الضحضاح والجواب عنه:

قال الحافظ ابن حجر: ورد في الصحيح عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمّك أبي طالب، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال:

بثمانية وعشرين يوماً ولذا قال صاحب الهمزية، كما جاء في السيرة الحلبية ١:٣٤٦

وقضىٰ عمّه أبو طالب والد	هـر فيه السرّاء والضرّاء
ثم ماتت خديجة ذلك العا	م ونالت من أحمد المناء

وقيل كانت وفاة خديجة قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام. فقال ﷺ :«اللهم! اليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علىٰ الناس...اللهم! ياأرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين، وأنت ربي! إلىٰ من تَكلني...؟إلىٰ بعيد يتجهمني..؟ أو عدو ملكته أمري...؟ إن لم يكن بك علي غضب، فلا أُبالي! ولكن عافيتك هي أوسع لي...إني أعوذ بنور وجهك، الّذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك...لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ...لا حول، ولا قوة، إلا بك...».

ولذا قال له جبرائيل ﷺ «أخرج منها ـ أي مكّة ـ فقد مات ناصرك».

٥ - عيون الأثر لابن سيّد الناس ١:١٣٠ / دار المعرفة بيروت.

٦ - كنز العمال ١٢:١٥٢ ح ٣٤٤٤١ الطبعة الخامسة / مؤسسة الرسالة. ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦:٣٣٦ الطبعة الاولىٰ / دار الفكر ، عن عمرو بن العاص. الخصائص الكبرىٰ ١:١٤٦ / دار الكتب العلمية.

«هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل»[١].

---

١ - هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة الّتي وضعها الوضّاعون لبني أُمية خاصة، كما أشرنا سابقاً.

فقد ورد في صحيح مسلم ١: ١٣٤، و ١٣٥ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، وصحيح البخاريّ ٢: ٢٠١ باب قصة أبي طالب، عن عبيد اللّه القواريري، ومحمّد ابن أبي بكر المقدمي عن... عن محمّد بن عبد الملك الأُموي، قال حدثنا عبد الملك بن عمير عن عبد اللّه بن الحرث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يارسول اللّه! هل نفعت أباطالب بشيء، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: نعم! هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار! وورد بلفظ قال حدثنا سفيان عن عبد الملك ابن عمير عن عبد اللّه بن الحارث، قال سمعت العباس يقول: قلت: يارسول اللّه! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم! وجدته في غمرات من النار! فأخرجته إلىٰ ضحضاح.

وورد بلفظ زاد فيه «تغلي منه أمُّ دماغه» وغير ذلك كثير من وضع الوضاعيين، تقرباً لبني أُمية وبغضاً لأسد اللّه الغالب ليث بني غالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ولو نظرنا نظرة سريعة إلىٰ القواريري، كما جاء في تهذيب التهذيب ٧: ٤١، فقد روىٰ عنه البخاريّ خمسة أحاديث فقط، وروىٰ عنه مسلم أربعين حديثاً، وقد سمع منه أحمد ابن يحيىٰ مئة ألف حديث، والسؤال الّذي يطرح نفسه لماذا لم يأخذ البخاريّ ومسلم عنه إلا عدة أحاديث؟ ألم يعد هذا ضرباً وصفحاً عنه؟ ومن المستبعد جداً عدم وقوفهما عليها!«بتصرف» .

أمّا محمّد بن أبي المقدمي: لم نجد له ذكراً سوىٰ ذكر لمحمد بن أبي بكر، بأنه مجهول، كما جاء في ميزان الأعتدال للذهبي ٣: ٩٦.

أمّا محمّد بن عبد الملك الأُموي، فيكفينا فيه نسبه الأُموي أولاً. وثانياً: فقد قال عنه أبو داود كما جاء في الميزان ٣: ٩٦: «لم يكن بمحكم العقل».

أمّا أبو عوانة وعبد الملك بن عمير فقد تولىٰ الأخير قضاء الكوفة بعد الشعبي، وقد قال عنه الذهبيّ في الميزان ٢: ١٥١: ليس بحافظ فقد تغير حفظه، وقال عنه الإمام أحمد: ضعيف يغلط، وقال ابن معين: مخلّط، وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد: أنه ضعيف جداً وقال ابن حبان: كان مدلساً.

أمّا سلسلة الحديث الثاني الّذي ورد عن ابن أبي عمر، فهو لا يعرف من الغموض. أمّا سفيان الثوري، فقد كان يدلس ويروي عن الضعفاء ويكتب عن الكذابين، وقال ابن معين عنه: مرسلات سفيان شبه الريح ، كما جاء في ميزان الأعتدال ١: ٣٩٨.

أمّا سلسلة الحديث الثالث فمحمد بن حاتم بن ميمون القطيعي المعروف بالسمين فقد قال عنه ابن معين، وابن المديني: كذاب .وقال الفلاس: ليس بشيء. كما جاء في ميزان الأعتدال ٣: ٣٧. أمّا يحيىٰ الّذي روىٰ عنه البخاريّ فهو منكر ويدلس ويخطيء

كثيراً كما جاء في ميزان الأعتدال ٢:٢٨٩.

أمّا الحديث الرابع الّذي ورد عن أبي بكر بن أبـي شـيبة فـقد عـده الذهـبيّ مـن مـجاهيل الاسم. «الميزان ٣:٣٩٥.أمّا وكيع ابن الجراح فقد قالوا عـنه يـلحن، وقـال عـنه فـي التـهذيب «كان فيه تشيُّع قـليل» وهـذه الشـهادة مـن الذهـبيّ هـي شـهادة القـدح والذم الّـذي يـصفها فوق الكفر والزندقة، فعلىٰ هذه الشهادة كما يقول المـثل «مـن فـمك أديـنك» فـهو ليس بـثقة فكيف يؤخذ بحديثه؟

أمّا الحديث الخامس فيه قتيبة بـن سـعيد الّـذي قـال عـنه الذهـبيّ فـي المـيزان ٢:٣٤٥، لا يدري من هو؟ أمّا الليث فهو كذلك كما جاء فـي المـيزان ١:٣٦١. أمّـا يـزيد بـن عـبد اللّـه ابن الهاد فقد أورده ابن الحذاء في« باب من ذكر بـجرح مـن رجـال المـوطأ» كـما جـاء فـي الميزان ٣:٣١٤.وأمّا عبد اللّه بن خباب فهو كـما يـقول عـنه الجـوزجـاني: لا يـعرفونه. أنـظر الميزان ٢:٣٣.

أمّا الحديث السـادس ففيه أبو بكر بن أبـي شـيبة فـهو كـما قـال عـنه الذهـبيّ سـابقاً مـن مجاهيل الاسم. وأمّا عفان بن مسلم فـهو رديء الحـفظ، بـطيء الفـهم، كـماجاء فـي المـيزان ٢:٢٠٢، وأمّا حماد بن سلمة له أهام كـما ذكـرنا ذلك سـابقاً فـي تـجلي الرب للـجبل وأُنـظر الميزان ١:٢٧٧.

أمّا الحديث السابع ففيه مسدد الّذي لا يعرف كما جاء في الميزان ٣:١٦٢.

أمّا الحديث الثـامن فـفيه عـبد اللّـه بـن يـوسف فـقد عـده ابـن عـدي فـي الكـامل مـن الضعفاء، الميزان ٢:٨٩، أمّا إذا كان هو عبد اللّـه بـن سـليمان بـن يـوسف فـإنه ليس بـمعتمد، وفيه شيء، وقد انكره الذهبيّ في الميزان ٢:٨٩و٤٢.

أمّا الحديث التاسع ففيه إبراهـيم بـن حـمزة، وابـن أبـي حـاتم فـهما مـن الضـعفاء ومـن المدلسين كما جاء فـي المـيزان ٢:١٣٥، وأمّـا الدراوردي وهـو عـبد العـزيز بـن مـحمّد فـقد قالوا عنه سيء الحـفظ، ولا يـحتج بـه، كـما جـاء فـي المـيزان ٢:١٣٧ـ١٣٩.أمّـا يـزيد فـلا يعرف من هو. والخلاصة كلّ هؤلاء الرواة فيهم مـا فـيهم مـن الكـلام ومـا هـم إلا حـفنة مـن الكذابين، الضعفاء، الخبثاء، المجهولين، المـجاهيل، كـما قـال عـنهم أهـل الجـرح والتـعديل. ثم لو سلمنا بالاحاديث الّتي تدور كلها في معنىٰ واحـد، نـطرح السـؤال التـالي: لمـاذا لم يـتم رسول اللّه ﷺ نعمته علىٰ عمّه المسكين ويـخرجـه مـن النـار بـعد ان اعـطاه اللّـه الوسـيلة والفضيلة وهو المـبعوث رحـمة للـعالمين، وهـو الّـذي بـعث ليـتتم مكـارم الاخـلاق؟ وهـذا المتنبي يـقول شـعراً ويـحض فـيه عـلىٰ ان يـقوم الانسـان الّـذي يـصنع المـعروف بـان يـتم معروفه ويعتبر الّذي لا يتمم معروفه هو النقص والعيب:

ولم أرَ في عيوب الناس شـيئاً كنقص القادرين علىٰ التـمام !

ثم أي تخفيف من عذاب النار الّذي خففه رسـول اللّـه ﷺ عـن عـمه؟ فـهل اعـظم من أن يسيل دماغ الفرد علىٰ قـدميه مـن شـدة عـذاب النـار؟ ثـم لمـاذا سـلط اللّـه العـذاب

فهذا شأن من مات على الكفر. فلو كان مات على التوحيد، لنجا من النار أصلاً والأحاديث الصحيحة، والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك[١]. انتهى بلفظه.

أقول: قوله أن هذا شأن من مات على الكفر! ليس شأن من مات على الكفر أن يكون في ضحضاخ من النار، بل شأنه أن يكون في الدرك الأسفل من النار قوله ﷺ: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[٢]. مفهوم واضح؛ لأنه لولا أنّ الله تعالى هداه للإيمان لمات كافراً، وكان في الدرك الأسفل، فهو نظير قوله ﷺ في ولد اليهودي الّذي زاره في مرض موته وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات: الحمد لله الّذي أنقذه بيّ من النار[٣].

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف في الحديث وهو: أنه كان في غمرات من النار فشفعت فيه فأُخرج إلى ضحضاح منها، والمعنى كان أشرف على دخوله الغمرات حين أبى الشهادة، ثم شفعت فيه، فهداه الله للإيمان ولا ينافي هذا قوله: « أنا لم

على قدميه خاصة؟ ثم كيف وجده ﷺ في غمرات من النار وأخرجه منها وهو لم ينطق بالشهادة الّتي علق رسول ﷺ شفاعته عليها؟ثم هل من المعقول أن الرسول ﷺ ـ والعياذ باللّه ـ أن يصل به البخل المفرط بحيث لم يتمم احسانه على من نصره وربّاه؟ ثم أن الشفاعة قد نص عليها في كتاب اللّه العزيز والسنة النبوية الشريفة وهي مؤجلة إلى يوم القيامة كما تدعون؟ فكيف يتم الجمع بين التعجيل والتأجيل؟ ثم هل من المعقول أن عثمان بن عفان يدخل في شفاعته سبعون الفاً ـ كلهم قد استوجبوا النار ـ الجنة بغير حساب؟ كما ورد في الصواعق المحرقة :٦٥، ثم كيف يكون الخليفة عثمان أكرم عند اللّه من رسول اللّه ﷺ؟ اللهم اجرنا من الكذب والافتراء؟ وإن شاء اللّه يقف العم المناصر أمام المحكمة العادلة وهم يقفون أيضاً وكلّ منهم يدلي برئيه ولمن يكون الفلج!؟.وكلّ هذه السلسلة من الروايات تنتهي إلى المغيرة بن شعبة الّتي تقدمة ترجمته فلاحظها.

١ – الإصابة ٧: ٢٠١ / دار الكتب العلمية.

٢ – راجع زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة لجلال الدين السيوطيّ ح ٢٤١٧،و ح ٣٤٢٢، وصحيح مسلم باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ١: ٣٥٧ ح ٢٠٩ و ٢١٠، كنز العمال ١٢: ح ٣٤٠٩١ ـ ٣٤٤٣٧، مجمع الزوائد ١: ح ٤٦٤، وج ٩: ١٥٧٤ و١٦١٧٧، وج ١٠: ١٨٦٢٩، مسند أحمد المجلد الأول والثالث / باب الشفاعة.

٣ – السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٠٦، مقام الإمام عليّ بن أبي طالب / لنجم الدين العسكريّ ٣: ١٣٩.

أُسمع»، لجواز إن يكون الله أخبره بعد ذلك، ولكونه في النار مع أن الإسلام يجبُّ ما قبله لاحتمال أنه دخل ببعض حقوق العباد الّتي كانت بعد البعثة، وليس في نزول قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١]، منافاة لهذا؛ لأن الله هو الّذي هداه بعد أن أيس منه النبي ﷺ.

قال الحافظ بن حجر: وأخرج الشعبي[٢] أيضاً في قصة وفاة أبي طالب من طريق عليّ بن محمّد بن متيم، سمعت أبيّ يقول: سمعت جدي يقول: سمعت عليّ ابن أبي طالب يقول: « تبع أبو طالب عبد المطلب في كلّ أحواله حتّىٰ خرج من الدنيا وهو علىٰ ملته وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: اذهب فواره[٣]. وأتيته لما أُنزل به، فغسلته وكفنته وحملته إلىٰ الحجون [٤] فنبشت قبر عبد المطلب فوجدته متوجها إلىٰ القبله فدفنته معه».

قال: متيم ماعبد عليّ، ولا أحد من أبائه، إلاّ الله تعالىٰ إلىٰ أن ماتوا»[٥]. أخرجه عن أبي بشر المتقدم ذكره عن أبي بريدة السلمي عن الحسن بن ماشاء الله عن أبيه عن عليّ بن محمّد بن متيم، قال: وهذه سلسلة شيعة من الغلاة في الرفض، فلا تفرح به. وقد عارضه ما هو أصح منه مما تقدم فهو المعتمد[٦].

---

١ – القصص:٥٦.

٢ – في المصدر «الرافضي»

٣ – في بعض المصادر «انطلق فواره» بدل اذهب فواره، راجع الحبير لابن حجر العسقلانيّ ١٤٩:٥، المغنيّ لابن قدامه ٢١٠:١ و٤٠١:٢، الشرح الكبير ٢١١:١، و٣١٥:٢، سنن النسائيّ ١١٠:١، مسند أحمد ٩٧:١، السنن الكبرىٰ ٣٠٤:١ و٣٩٨:٣، كنز العمال ١١٩:١٣ و٣٧:١٤، البداية والنهاية ١٥٤:٣، ولكن في هذه المصادر زيادة «فاغتسل» ويريدون بذلك الطعن بأنه مات مشركاً ولذا أمره بالغسل منه، وقد سبق لنا وان عالجنا الموضوع.

٤ – الحَجُون «مثل رَسُول» جبل بمعلاة مكّة، وموضع، وذكره ياقوت الحمويّ، أنه في باطن مكّة حيث يستخدم للدفن.

٥ – الكنىٰ والألقاب ١١٠:١، وورد في كتاب المسند للإمام الشافعيّ : ٤٠، مثل هذا ولكن فيه زيادة «مات مشركاً» ومما يجدر ذكره أننا سبق وان عالجنا مثل هذه الأحاديث من حيث الدلالة والسند والراوي، وقد ورد أيضاً في كتاب الأُمّ للإمام الشافعيّ ٥٨:١ و١٧٣:٧ ولكن بدون لفظ «مات مشركاً».

٦ – الإصابة ٢٠٢:٧ / دار الكتب العلمية .

أقول: كون آباء عليّ لم يعبدوا إلاّ الله، قد مرت أدلته بالنسبة لما عدا أبي طالب[١] وإنهم كلّهم كانوا علىٰ التوحيد، ومايؤكد ذلك أنه لم يقل إنّ أحداً من أعمام النبي ﷺ، قال له: « لم تسب آباءنا، وتشتم آلهتنا، وتسفه أحلامنا؟ كما قاله بقية قريش». فلو عرفوا من آبائهم شيئاً من ذلك لقالوا له أتراك ذكر آبائك بسوء.

وأمّا عداوة أبي لهب، فبسبب مصاهرته لأبي سفيان، فكان يهوىٰ هواهم وقوله: «حتّىٰ خرج من الدنيا وهو علىٰ ملته».

إن كان ملة عبد المطلب التوحيد ـ كما مرّ ـ فلا إشكال أو غير ذلك، ففيه إشارة إلىٰ ماقاله أبو طالب لقريش: « هو علىٰ ملة عبد المطلب». وقد مرّ الجواب عنه، فلا ينافي أنّ أبا طالب آمن في آخر نفس، ولم يسمعه عليّ، كما لم يسمعه رسول الله ﷺ.

وأمّا كون السلسلة غلاة، فليس كلّ غال يكذب، وقد رووا في الصحيح عن جماعة من الغلاة، وقد تجمعت شواهد متعددة، باجتماعها تكسب قوة تفيد موت أبي طالب علىٰ الإيمان، ولبعض هذا الحديث شاهد، وقد مرّ وهو ما أخرجه ابن سعد، وابن عساكر، عن عليّ قال: « أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب، فبكىٰ فقال إذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له، ورحمه، ففعلت الحديث»[٢] .

علىٰ أنّ اعتمادنا علىٰ المسلك الأوّل الكافيّ في النجاة، ولا يحتاج إلىٰ هذا، ولكنه زيادة تأكيد للمدعىٰ، قال ابن حجر: « وقد أُستدل أيضاً بقول الله تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ ءامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال: «وقد عزّره أبو طالب، ونصره بما اشتهر، وعلم ونابذ قريشاً، وعاداهم بسببه، مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار. فيكون من المفلحين. قال: « وهذا مبلغهم من العلم، وإنا نسلّم أنه نصره، وبالغ في ذلك، لكنه لم يتبع النور الّذي أُنزل معه، وهو

---

١ - سيأتي فيما بعد أثبات إسلام أبي طالب.

٢ - الطبقات الكبرىٰ ١:١٢٣ / دار الصادر، المبسوط للسرخسي ٢:٥٥، الدر المنثور ٣:٢٨٣، الغدير ٨:١٥، الموطأ م ١:باب الجنائز ح ٣٠٣.

٣ - الأعراف: ١٥٧.

الكتاب العزيز الداعي إلىٰ التوحيد، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلّها» انتهىٰ[١].

أقول: إن أُريد بالفلاح أصل النجاة من النار إنما يترتب علىٰ الإيمان الّذي هو التصديق عند المحققين، كما مرّ في الخاتمة. وقد حصل لأبي طالب من ذلك القدر الكافيّ.

وإنْ أُريد الفلاح التام، فلا يلزم من عدم حصوله الكف علىٰ مانقول قد اتبعه وأمر باتباعه؛ لأن الظاهر من العطف، كما هو الأصل فيه أنّ الاتباع غير الإيمان.

وإذا كان غيره فيحمل الإيمان علىٰ التصديق، وإنما الاتباع غير الإيمان؛ لأنه لن يكون حينئذ إلاّ التوحيد وصلة الرحم وترك عباده الأصنام، كما مرّ عن أبي طالب: «أنه سأله بم بعثت: فأخبره أنه بُعث بصلة الرحم، وأنْ يعبد الله لايعبد معه غيره»[٢]. ولم يكن إذ ذاك فرضت صلاة، ولا زكاة، ولاصوم، ولاحج، ولا جهاد، فلم يبق إلاّ قول: « لا إله إلا الله».

فإن أُعتبر بما يؤدي التوحيد، فقد مرّ أنه نطق بالوحدانية، وبحقيقة الرسالة وبتصديق النبي ﷺ، وطلب النبي منه ذلك عند وفاته، ليحوز إيمان الموافاة.

وإنْ لم يعتد به فتكون تلك قرائن علىٰ أنه كان مصدقاً بقلبه، وإنما منعه من النطق خشية أنْ ينسبوه إلىٰ الجزع من الموت، والخوف من الموت عندهم عار، وقد كانوا غريقين في السيادة والمفاخر، لايرضون أنْ ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفها، فلا يبعد أنْ يكون ذلك عندهم عظيماً[٣].

---

١ - الإصابة ٧:٢٠٢ / دار الكتب العلمية بيروت.

٢ - ذكر هذا الحديث ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ في الإصابة ٤:١١٦ ط مصر. أسنىٰ المطالب للدحلاني :٦. ط مصر. بلفظ «عن نوفل اليمانيّ يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول: حدثني محمّد ﷺ أن ربه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد اللّه وحده، ولا يعبد معه غيره ومحمّد عندي الصادق الامين».

٣ - ومما يؤكد ذلك قوله: لولا أن تعيرني نساء قريش تقول أنه حمله علىٰ ذلك الجزع لأقررت بها عينك .أُنظر ابن كثير في التفسير ٣:٣٩٥، ابن جرير في التفسير ٢٠:٩٢، الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيىٰ بن منده «ت ٣٩٥هـ» ١:٥٥ ح ٤٢، وفي التفسير الآية ٥٦ من سورة القصص ج ٩:٤٦، دلائل النبوة ٢:٣٤٤، فتح الباري ٨:٥٠٦، صحيح

فائدة في حلف الفضول:

قال ابن هشام: حدثني زياد بن عبدالله البكاليّ عن محمّد ابن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش، إلىٰ حلف الفضول[1] فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤي لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزّىٰ، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا، وتعاهدوا علىٰ أن لايجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه، وكانوا علىٰ من ظلمه حتّىٰ ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف الفُضول.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمّد بن زيد ابن المهاجر بن قنفذ التيميّ أنه سمع

مسلم ١:٥٥.

١ - يذكرون: في سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم، أن جرهماً في الزمن الأول، قد سبقت قريشاً إلى مثل هذا الحلف، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم، أحدهم: الفضل بن فضالة، والثاني: الفضل بن وداعة، والثالث: فضيل بن الحارث، وقيل: بل هم: الفضيل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فلما أشبه حلف قريش هذا حلف هؤلاء الجرهميين سُمي حلف الفُضول.

وقيل: بل سُمي كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفُضول علىٰ أهلها، وألا يغزو ظالم مظلوماً.

وكان حلف الفُضول هذا قبل البعث بعشرين سنة، وكان أكرم حلف وأشرفه. وأول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكّة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكّة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدىٰ عليه الزبيديّ الأحلاف: عبد الدار، ومخزوماً، وجمح، وسهماً، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه علىٰ العاصي، وزبروه ـ أنتهروه ـ فلما رأىٰ الزبيديّ الشر، أوفىٰ علىٰ أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلىٰ صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكّة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... ياللرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولاحرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبدالمطلب، وقال: مالهذا مترك. فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم بن مرة في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتعاقدوا، وكان حلف الفضول. وكان بعدها أن أنصفوا الزبيديّ من العاصي.(بتصرف).راجع السيرة النبوية لابن هشام / تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ١:١٣١، الروض الأنُف.

طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أُحبُّ أنْ لي به حمر النعم ولو أُدعىٰ به في الإسـلام لأجبت» انتهىٰ[1].

فهذا الحلف كان من دعىٰ إليه بنو هاشم وبنو المطلب ورئيسهم أبو طالب، وهو مما حضره النبي ﷺ قبل النبوة، وأكده في الإسلام، فهذا الّذي كانوا عليه حين ماجاء به النبي ﷺ وهم علىٰ ذلك بعد البعثة، فإذا عمل به أبو طالب بعد البعثة وأمر النبي ﷺ جاز أن يقال أتبعه، وهذا الحلف معمول به في الإسلام، كـما دل عـليه الحديث المار، وقد ذهب إليه جمع من الصحابة، كالحسين بن عليّ، وعبدالله بـن الزبير، والمسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن عثمان التيميّ، فقد روىٰ ابن هشام في السيرة قال: « كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، والوليد يومئذ أمير علىٰ المدينة أمَّره عليها عمّه مُعاوية بن أبي سفيان فنازعه في مال كان بينهما بذي المروة[2] فكان الوليـد تـحامل عـلىٰ الحسـين ﷺ في حقِّه لسلطانه، فقال له الحسين: «احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي، ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله ﷺ ثم لأدعونّ بحلف الفُضول». قال: فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال الحسين ﷺ مـاقال: «وأنـا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومنّ معه حتّىٰ يُنصَف من حقه أو نموت جميعاً». قال: فبلغت المسور بن مَخْرمة بن نوفل الزهريّ، فقال: مثل ذلك، وبلغت عبدالرحن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ، فقال: مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليدَ بـن عتبة أنصف الحسينَ من حقه حتّىٰ رضي» [3] ولم يكن بنو عبد شمس بـن عـبد مناف، وبنو نوفل بن عبد مناف، في حلف الفضول.

---

١ – السـيرة النـبوية لابـن هشـام ١:١٤١ / دار إحـياء التـراث العـربي بـيروت، الجـامع الصـغير لجلال الديـن السـيوطيّ م ٤: البـاب الرابـع ح ٤٩٠٠، وهـي مـوافـقة لفـيض القـدير، شرح الجامع الصغير للإمام المناوي.، تهذيب سنن أبي داود لابن القيم ح ٢٩٢٤.

٢ – ذو المروة: قرية بوادي القرىٰ: وقيل: خشب بين ووادي القرىٰ / راجع معجم البلدان.

٣ – السيرة لابن هشام ١:١٣٤.

فائدة أُخرىٰ في خِطبة خديجة:

لما خطب رسول الله ﷺ خديجة حضر حمزة، وأبو طالب، وحضر أبو بكر[١] عَقَدَهُ ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال: «الحمد الله الّذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وعنصر مضر، وضنضىء معد، وجعلنا حضنة لبيته، وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا حكاماً علىٰ الناس، ثم إنّ ابن أخي محمّد بن عبدالله هذا لايوزن به رجل إلاّ رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، فإنْ كان في المال قلّ فالمال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمّد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجلهُ وعاجله من مالي كذا وكذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل»[٢]. فزوجها أبوها[٣] منه، وقيل: عمها، وقيل: أخوها[٤].

---

١ - هو عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة القرشي التيميّ «ت ١٣هـ» وعمره ٦٣ سنة. راجع المعارف :١٦٧.

٢ - ذكر الخطبة ابن هشام في السيرة النبوية ١: ١٢٠، ط محمّد عليّ / القاهرة باختلاف بسيط. السيرة الحلبية لعليّ بن برهان الدين الحلبيّ الشافعيّ ١:١٣٨ـ١٣٩ط دار الفكر / بيروت. الوفا بأحوال المصطفى ١:١٤٥، منية الراغب :٥٧، تاريخ اليعقوبيّ ج ٢.

٣ - قال صاحب كتاب الوفا بأحوال المصطفى عبد الرحمن بن الجوزي ج ١:١٤٥ هذا الكلام ليس بصحيح لأن أباها مات قبل حرب الفجار، وكذلك قال صاحب السيرة الحلبية في ج ١:١٣٨، وفي كون المزوج لها أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر ظاهر لأن المحفوظ عن أهل العلم ان خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار.

٤ - قال صاحب السيرة الحلبية في ١:١٣٨ ما نصه: «أقول قال في النور ولعل الثلاثة أي أباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل إلىٰ كلّ واحد منهم»، وقال السهيليّ في الروض الأُنف ٢:٢٣٨ / مكتبة ابن تيمية...وان الّذي انكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو بن أسد، قاله المبرد وطائفة معه، وقال أيضاً: إن أبا طالب هو الّذي نهض مع رسول الله ﷺ وهو الّذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قال في تلك الخطبة:

«أمّا بعد:فإن محمّداً ممن لا يوازن به فتىً من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قلّ، فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها مثل ذلك» فقال عمرو: هو الفحل الّذي لا يقدح أنفه فانكحها منه».

قال مؤلفه محمّد بن رسول العلويّ الحسنيّ الشهرزوريّ: أكـملت تـوسيده في أوائل ذي القعدة سنة ١٠٨٨ هـ[١] ثمان وثمانين وألف.

ثم قال مختصره السيّد سليمان الأزهريّ: قد أكملت تبييض هذا المـختصر في أواخر شوال سنة ١١٦٥ هـ خمس وستين ومائة وألف.

رحمه الله تعالىٰ مؤلفه، ومختصره، وقارئه، وكاتبه.

والناظر فيه، ومن رأىٰ فيه عيباً وأصلحه.

آمين، والحمد لله رب العالمين آمين.

---

١ - ما أثبتناه هو الصحيح، وليس كما هـو مـوجود فـي النسـخة الخـطية ١١٨٨ هـ. والخـلل هـو إمّا من الناسخ أو أن المئة زائدة، وذلك لأن وفاة المـؤلف مـحمّد بـن رسـول العـلويّ الحسـنيّ الشهرزوريّ عام ١١٠٣ هـ. فمن غير المعقول أن يكـون قـد فـرغ مـن كـتابته عـام ١١٨٨ هـ، هذا أولاً.

وثانياً: أن الّذي أختصر هـذا المـؤلف كـيف يـنتهي مـن تـحريره ١١٦٥ هـ. أي أخـتصره قبل الكتاب الأصلي ـ أي قبل التأليف ـ وهذا لا يعقل.

فهرس

المصادر والمنابع

فهرس المصادر والمنابع

حرف الألف

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أبجد العلوم، لمحمّد صديق حسن القنوجيّ (ت ١٣٠٧ هـ ق)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ مصورة من طبعة دمشق ١٣٩٨ هـ.

٣ ـ أبو طالب مؤمن قريش، لعبدالله الشيخ عليّ الخنيزيّ، منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة، دار مكتبة الحياة، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٣٨١ هـ.

٤ ـ الإتحاف بحب الأشراف، للشبراويّ الشافعيّ (ت ١١٧٢ هـ ق)، تحقيق: محمّد جابر، المطبعة الهندية العربية ١٢٥٩ هـ وطبعة ـ مصر ١٣١٣ هـ، وأُعيد طبعه في ـ إيران ١٤٠٤ هـ

٥ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لأبي الفيض محمّد مرتضىٰ الحسينيّ الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣١١هـ، وطبعة دار الفكر ـ بيروت.

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّدالسيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، تحقيق: عمران المالطيّ طبعة ـ مصر ١٣٧٠هـ.

٧ ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ ق)، تحقيق: كامل الدمياطيّ ـ مطبعة مصطفىٰ البابيّ ـ مصر ١٢٢١ هـ.

٨ ـ أحكام القرآن، مُحيّ الدين محمّد بن عليّ بن محمّد بن عربيّ الطائيّ الحاتميّ المرسيّ الدمشقيّ (ت ٦٣٨ هق)، تحقيق: حسن حسنيّ الأزهريّ، مطبعة السعادة ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٩ ـ الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوريّ (ت ٢٨٢هـ ق)، تحقيق: عبد المنعم عامر، منشورات الشريف الرضيّ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩ هـ.

١٠ ـ الأختصاص، للشيخ محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالمفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، تحقيق: شوكت ظافر، مطبعة العانيّ ـ بغداد ١٣٨٩ هـ، وتحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ ـ قم، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ.

١١ ـ أخلاق الملوك، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ ق)، تحقيق: محمّد أمين، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠١ هـ.

١٢ ـ إرشاد الإرب، محمود أفندي الآلوسيّ (ت ١٩٢٤ م)، تحقيق: محمّد الكشناوي، طبعة دار الجاحظ ـ القاهرة ١٢٠٥ هـ.

١٣ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد، محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٣ هـ.

١٤ ـ أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ النيسابوريّ (ت ٤٦٨ هـ ق)، تحقيق: كمال بسيونيّ زغلول، دار الكتب العلمية طبعة ـ بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٥ ـ الأستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد ابن عبد البرّ القرطبيّ المالكيّ (ت ٣٦٣ هـ ق)، تحقيق: عليّ محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٥هـ.

١٦ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيبانيّ المعروف بابن الأثير الجزريّ (ت ٦٣٠ هـ ق)، تحقيق: محمّد إبراهيم، طبعة ـ القاهرة ١٣٩٠هـ.

١٧ ـ اسرار التنزيل وأنوار التأويل، لفخر الدين محمّد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ ق) ، تحقيق محمود أحمد وباشا عليّ وصالح محمّد، طبعة محمّد علي صبيح وأولاده ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ .

١٨ ـ أسنىٰ المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمّد بن درويش الحوت البَيْرُوتِي، دار الكتاب العربي ١٣٩١هـ، ومطبعة مصطفىٰ ـ مصر ١٣٥٥ هـ.

١٩ ـ الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ، لأحمد بن أبي فرح الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١ هـ ق)، تحقيق: مصطفىٰ سالم، طبعة ـ بيروت ١٢٥٤ هـ.

٢٠ ـ أسنىٰ المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب، لمحمّد بن عليّ بن يوسف الجزريّ الشافعيّ (ت ٨٣٣ هـ ق)، طبعة ـ مكّة المكرمة ١٣٢٤ هـ.

٢١ ـ أسنىٰ المطالب في نجاة أبي طالب، لأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ ق)، طبعة ـ مصر ١٣٠٥ هـ

٢٢ ـ الإشاعة في أشراط الساعة، لمحمّد بن رسول البرزنجيّ (ت ١١٠٣ هـ ق)، طبعة مكتبة الثقافة ـ المدينة المنورة ١٤٠٩ هـ.

٢٣ ـ الأشباه والنظائر في دقائق النحو وأصوله، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: أكرم محمّد، طبعة ـ القاهرة ١٢٤٥ هـ.

٢٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لمحمّد بن عليّ بن حجر (ت ٨٥٢ هـ ق)، تحقيق: ولي عارف، مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٢٣هـ.

٢٥ ـ أُصول الكافيّ، لمحمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ (ت ٣٢٩ هـ ق)، دار العلم، طبعة ـ بيروت ١٤٠١ هـ

٢٦ ـ الأعلام بما في دين النصارىٰ من الفساد والأوهام، لأحمد بن أبي فرح القرطبيّ (ت ٦٧١ هـ ق)، تحقيق: صلاح الدين السلفيّ، طبعة ـ بيروت ١١٥٦ هـ.

٢٧ ـ الأعلام، لخير الدين الزركليّ (ت ١٣٩٦ هـ ق)، دار الملايين، الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٣٩٩هـ.

٢٨ ـ إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨ هـ ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٣٩٩ هـ.

٢٩ ـ الأغاني، لأبي الفرج الإصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: خليل مُحيّ الدين دار الكتب المصرية طبعة ـ مصر ١٣٥٨ هـ.

٣٠ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين عبد الرحمن

ابن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٣٧٥ هـ.

٣١ ـ الأمالي، لمحمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، مطبعة العانيّ ـ بغداد ١٣٥٨ هـ

٣٢ ـ أمالي الصدوق، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، طبعة دار الفكر العربي ١٢٥٤هـ، وطبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.

٣٣ ـ أمراء البيان، لعمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ ق)، طبعة مصطفىٰ محمّد ـ القاهرة ١٣٥٤ هـ، وطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٣٦٦ هـ.

٣٤ ـ إنباه الرواة، لمحمّد بن عليّ القفطي (ت ١١٠٣ هـ ق)، طبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٢٥٠ هـ.

٣٥ ـ الأنتصار لوالدي النبي المختار، لمحمّد مرتضىٰ بن محمّد بن عبد الرزاق الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، طبعة ـ الهند ١٢٩٨ هـ.

٣٦ ـ أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيىٰ البلاذريّ (ت ٢٧٩ هـ ق)، تحقيق: كمال الحارثيّ، طبعة مكتبة الخانجيّ ـ مصر ١١٢٥ هـ.

٣٧ ـ أنهار السلسبيل في شرح أنوار التنزيل، لعبد الله بن عمر الشيرازيّ البيضاويّ، طبعة الرياض.

٣٨ ـ أوائل المقالات، لمحمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، طبعة ـ قم ١٤٠١ هـ.

٣٩ ـ الإيمان، لمحمّد بن إسحاق بن يحيىٰ بن منده (ت ٣٩٥ هـ ق)، تحقيق: الدكتور عليّ بن محمّد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٤٠ ـ إيمان أبي طالب، لعليّ فخار بن معد الموسويّ (ت ٦٣٠ هـ ق)، تحقيق: السيد محمّد بحر العلوم، منشورات دار الزهراء الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٤١ ـ إيمان أبي طالب، لمحمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ

المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، ضمن المجموعة الأُولىٰ من نفائس المخطوطات ، المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف .

حرف الباء

٤٢ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١٠هـ ق)، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٢ هـ.

٤٣ ـ البحر المحيط، (تفسير البحر المحيط)، لمحمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥ هـ ق)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، طبعة ـ بيروت ١٤١٣ هـ.

٤٤ ـ البخلاء، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ ق)، نشر المكتبة العربية طبعة ـ القاهرة ١٣٥٨ هـ.

٤٥ ـ البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ ق)، مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٥١ هـ.

٤٦ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمّد بن عليّ الشَّوْكَانيّ اليمنيّ (ت ١٢٥٠ هـ ق)، مطبعة بريل ـ ليدن ١٤٠٦ هـ.

٤٧ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، لمحمّد بن عليّ الشَّوْكَانيّ (ت ١٢٥٠ هـ ق)، مطبعة السعادة ـ مصر ١٤٠٥ هـ.

٤٨ ـ برهان التيسير، صلاح الدين خليل بن عبدالله العلائي الشافعيّ (ت ٧٦١ هـ ق)، مكتبة الجامعة الإسلامية، طبعة ـ مصر .

٤٩ ـ البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة في شرح المشكاة، لملاّ عليّ القاريّ مطبعة المعارف ١٣٩٢ هـ ،الناشر: مكتبة الإمدادية، ملتان، باكستان .

٥٠ ـ بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمّد بن الحسن الشيبانيّ، لمحمّد زاهد الكوثريّ ، مكتبة الخانجيّ ومطبعتها، الطبعة الأُولىٰ ـ مصر ١٣٥٥ هـ.

٥١ ـ بهجة المحافل، لمحمّد بن أحمد العامريّ، طبعة ـ القاهرة ١٣٩٩ هـ.

٥٢ ـ البيان والتبين، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ ق)، شرح حسن

السندوبيّ، نشر دار الجاحظ ١٤٠٩ هـ، ومطبعة الاستقامة الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٣٦٦ هـ.

حرف التاء

٥٣ ـ تاريخ أبي الفداء، لإسماعيل بن عليّ الشافعيّ (ت ٧٣٢ هـ ق)، نشر مكتبة القدسيّ، طبعة ـ القاهرة ١٤٠٨ هـ.

٥٤ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ ق)، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمريّ، طبعة دار الرائد العربي ـ القاهرة ١٤٠٥ هـ، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١١ هـ.

٥٥ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ ق)، طبعة حيد آباد ـ الدكن ١٣٧٨ هـ

٥٦ ـ تاريخ الملوك والأُمم، لمحمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ ق)، تحقيق: محمّد أبو الفضل، طبعة ـ مصر ١٤١٢ هـ.

٥٧ ـ تاريخ دمشق، لأبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ ق)، تحقيق: سكينة الشهابي، طبعة ـ دمشق ١٤٠٢ هـ

٥٨ ـ تاريخ الخميس، للديار بكري المالكيّ (ت ٩٦٦ هـ ق)، تحقيق: عليّ زغلول، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٥٩ ـ التاريخ الكبير، لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاريّ (ت ٢٥٦ هـ ق)، طبعة حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٦١ هـ.

٦٠ ـ تاريخ اليعقوبيّ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبيّ (ت ٢٨٤ هـ ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٢٣٥ هـ.

٦١ ـ تاج العروس في شرح القاموس، لمحمّد مرتضىٰ بن عبد الرزاق الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٣٠٦ هـ.

٦٢ ـ التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لمحمّد صديق حسن القنوجيّ (ت ١٣٠٧ هـ ق)، طبعة الهند ١٤٠٥ هـ.

٦٣ ـ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ ق)،

تحقيق: أحمد السقا، طبعة ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ.

٦٤ ـ تذكرة الخواص من الأُمّة في خصائص الأئمة، لعبدالله البغداديّ المعروف بسبط ابن الجوزيّ، الحنبليّ ثم الحنفيّ، نزيل دمشق (ت ٦٥٤ هـ)، طبعة ـ بيروت ١٤٠١ هـ.

٦٥ ـ تذكرة الموضوعات، لمحمّد بن عليّ الشَّوْكَانيّ (ت ١٢٥٠ هـ ق)، تحقيق: محمّد اليمانيّ، طبعة ـ بيروت، بدون تاريخ.

٦٦ ـ التعظيم والمنة في أن أبَوَيِ النبي في الجنة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة حيدر آباد ١٢٥٤ هـ.

٦٧ ـ تفسير الخازن، لعلاء الدين البغداديّ الخازن (ت ٧٢٥ هـ ق)، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

٦٨ ـ تفسير الفخر الرازيّ (التفسيرالكبير ومفاتيح الغيب)، لمحمّد بن عمر المعروف بفخر الرازيّ (ت ٦٠٤ هـ ق)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٦٩ ـ تفسير الطبريّ (جامع البيان في تفسير القرآن)، لمحمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ ق)، طبعة مكتبة المثنىٰ ـ بغداد ١٣٩٥ هـ.

٧٠ ـ تفسير البحر المحيط، لمحمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥ هـ ق)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض طبعة دار قريش ـ مكّة المكرمة، ونشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١ ـ تفسير البيضاويّ، لعبدالله بن عمر الشيرازيّ البيضاويّ، طبعة دار النفائس ١٤٠٢ هـ، وطبعة مصطفىٰ محمّد ـ مصر.

٧٢ ـ تفسير روح المعاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسيّ (١٢٧٠ هـ ق)، طبعة مكتبة المثنىٰ ـ بغداد ١٣٩٦هـ، وطبعة دار إحياء التراث الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٧٣ ـ تفسير الكشاف، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ ق)، مطبعة القيمة ـ الهند ١٢٦٥ هـ، وطبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٧٤ ـ تقريظ الجاحظ، لأبي حيّان التوحيديّ (ت ٣٦٩ هـ ق)، طبعة حيد آباد

الدكن ١٣٥٨ هـ.

٧٥ ـ تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ ق) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٩٥هـ.

٧٦ ـ تلبيس أبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، طبعة مكتبة نينوىٰ ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٧٧ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة من الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عرَّاق الكنانيّ (ت ٩٦٣هـ ق)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبدالله محمّد الصِّديق ، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٧٨ ـ تهذيب الأسماء واللغات، ليحيىٰ بن شرف النوويّ (ت ٦٧٦ هـ ق)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٢ هـ، والطبعة المنيرية ـ مصر ١٣٤٨ هـ.

٧٩ ـ تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٥ هـ ومطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ١٣١٥ هـ ، الناشر: دار صادر بيروت ـ مصور من طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند ١٣٢٥ هـ.

٨٠ ـ تهذيب الكمال في اسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن المزيّ (ت ٧٤٢ هـ ق)، تحقيق: الدكتور بشار عواد، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤٠٩هـ.

٨١ ـ تيسير المطالب السَنية، للشيخ نور الدين عليّ بن عليّ الشبراملسيّ (ت ١٠٨٧ هـ ق)، طبعة بولاق ـ مصر ١٣٥١ هـ.

حرف الجيم

٨٢ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ليوسف بن عبد البر النمريّ القرطبيّ (ت ٤٦٣ هـ ق)، مراجعة وتصحيح: عبد الرحمن حسين محمود، طبعة المنيرية ـ مصر ١٣٤٦ هـ ، ونشر دار الكتب الحديثة ـ

ـ القاهرة ١٤٠٢ هـ.
٨٣ ـ الجامع لأحكام القرآن، لأحمد بن أبي فرح القرطبيّ(ت ٦٧١ هـ ق)، تحقيق: اطفيش، طبعة ـ بيروت ١٣٨٥ هـ.
٨٤ ـ الجرح والتعديل، لإدريس بن منذر الرازيّ (ت ٣٢٧ هـ ق)، طبعة حيدر آباد ـ الهند ١٣٧١هـ.

حرف الحاء

٨٥ ـ حاشية البجيرميّ، لمحمّد عليّ البجيرميّ، مطبعة المصطفائيّ في لكهنو.
٨٦ ـ حاشية الشيخ عليّ علىٰ نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج، لشمس الدين محمّد بن أحمد بن حمزة الرمليّ (ت ١٠٠٤ هـ ق)، طبعة القاهرة ـ مصر ١٢٤٥ هـ.
٨٧ ـ الحاوي للفتاوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١هـ ق)، تحقيق: مُحي الدين، طبعة السعادة ـ مصر ١٣٥٦ هـ.
٨٨ ـ الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لمحمّد بن عليّ بن حجر (ت ٨٥٢ هـ ق)، تعليق: عبدالله هاشم اليمانيّ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة ١٣٨٤هـ.
٨٩ ـ حجة الله البالغة، للشاه ولي الله عبد العزيز المحدث الدهلويّ، المطبعة الخيرية ـ حيدر آباد ١٣٢٢هـ.
٩٠ ـ حجة الله علىٰ العالمين في معجزات سيّد المرسلين، ليوسف بن إسماعيل ابن يوسف النبهانيّ (ت ١٣٥٠ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٣٠٩ هـ.
٩١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأحمد بن عبد الله الإصفهانيّ (ت ٤٣٠ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.
٩٢ ـ حياة الحيوان، لمحمّد بن موسىٰ الدميريّ (ت ٨٠٨ هـ ق)، طبعة الرباط، بالغرب الأقصىٰ ١٤٠٣ هـ

حرف الخاء

٩٣ ـ خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغداديّ (ت ١٠٩٣ هـ ق)، طبعة دار البصائر ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

٩٤ ـ الخصائص ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة الهيئة المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٤٠٢ هـ.

٩٥ ـ الخصائص العلوية، لأحمد بن محمّد النطنزيّ، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٩٦ ـ خصائص النسائيّ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ (ت ٣٠٣ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٩٧ ـ خطط المقريزيّ، لتقي الدين أحمد بن عليّ المقريزيّ ، طبعة الساحل الجنوبي ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٩٨ ـ خلاصة الأثر، لمحمّد أمين بن فضل الله المحبيّ (ت ١١١١ هـ ق)، طبعة القاهرة ـ مصر ١٢٤٥ هـ وأُفست دار صادر ـ بيروت ، بدون تاريخ .

حرف الدال

٩٩ ـ الدرجات الرفيعة، عليّ خان الشيرازيّ المدنيّ ، منشورات العرفان مطبعة الساحل الجنوبي ـ بيروت ١٤٠٩هـ.

١٠٠ ـ الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)،طبعة حيدر آباد ١٢٢٠هـ

١٠١ ـ الدر المنثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، المطبعة الإسلامية بالأُفست ـ طهران ١٣٧٧ هـ.

١٠٢ ـ دلائل النبوة، لأحمد بن عبدالله الإصفهانيّ (ت ٤٣٠ هـ ق)، طبعة دار الفكر ـ بيروت، بدون تاريخ .

١٠٣ ـ دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقيّ (ت ٤٥٨ هـ ق)، تحقيق: السيّد صقر ، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، طبعة دار النصر ـ بيروت ١٣٨٩ هـ.

١٠٤ ـ ديوان أبي الأسود الدؤليّ، تحقيق: عبد الكريم الدجيليّ، طبعة بيروت ١٤١٩ هـ.

١٠٥ ـ ديوان أبي طالب، جمع وتحقيق: العانيّ، المطبعة الخيرية بغداد ١٤٢٠ هـ، وطبعة دار كوفان ـ المملكة المتحدة فلنده، وطبعة فيض رسان ـ بمبي .

١٠٦ ـ ديوان البوصيريّ (ت ٨٤٠ هـ ق)، تحقيق: محمّد الكوثريّ ، طبعة دائرة المعارف العثمانية ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٠٧ ـ ديوان المتنبي، تحقيق: عليّ الطيب الزغلول، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١٥ هـ

١٠٨ ـ الديباج المذهب، لابن فرحون (ت ٧٦٩ هـ ق)، طبعة دار النصر ـ بيروت ١٢٥٨ هـ.

١٠٩ ـ الديباجة في شرح كتاب ابن ماجة في الحديث، لمحمّد بن موسىٰ الدميريّ (ت ٨٠٨ هـ ق)، طبعة حيد آباد ـ الدكن ١٤٠٥ هـ.

حرف الذال

١١٠ ـ ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ، لمحب الدين الطبريّ (ت ٦٩٤ هـ ق)، نشره حسام الدين القدسيّ ـ القاهرة ١٣٥٦هـ.

حرف الراء

١١١ ـ الرسالة، للإمام الشافعيّ (ت ٢٠٤ هـ ق)، تحقيق: أحمد محمود شاكر، مطبعة مصطفىٰ البابيّ الحلبيّ، الطبعة الأُولىٰ ـ مصر ١٣٥٨هـ.

١١٢ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمّد بن جعفر الكتانيّ (ت ١٣٣٣ أو ١٣٤٥ هـ ق)، مطبعة دار الفكر ـ دمشق ١٣٨٣ هـ.

١١٣ ـ روح الأرواح ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٦٨ هـ.

١١٤ ـ الروض الأُنف، لأحمد عليّ السهيليّ (ت ٥٨١ هـ ق)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ مصر ١٣٩١ هـ.

١١٥ ـ الروض النزيه، لشمس الدين محمّد بن طولون (ت ٩٥٣ هـ ق)، مطبعة المعاهد ـ مصر ١٣٥٨ هـ
١١٦ ـ روضة الواعظين، للفتال النيسابوريّ (٥٠٨ هـ ق)، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.
١١٧ ـ روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، حسين بن عليّ بن محمّد الخزاعي النيشابوري الرازيّ، تحقيق: محمّد جعفر ياحقي ومحمّد مهدي ناصح، نشر الأستانة الرضوية، مشهد ـ إيران .
١١٨ ـ رياض الصالحين، ليحيىٰ بن شرف النوويّ (ت ٦٧٦ هـ ق)، الطبعة الرابعة محققة ـ بيروت ١٤٠١ هـ ، وطبع طبعات عدة، وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية .
١١٩ ـ الرياض النضرة، لمحّمد الطبريّ الشافعيّ (ت ٦٩٤ هـ ق)، طبعة بيروت ١٤٠٣ هـ.

حرف الزاء

١٢٠ ـ زوائد مسند البزار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ ق)، طبعة دار الملايين ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

حرف السين

١٢١ ـ السابق واللاحق، لمحمّد بن حسن بن عليّ البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ ق)، نشر وطبع المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠١ هـ.
١٢٢ ـ السبل الجلية في الآباء العلية، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة حيدر آباد ـ الهند ١٣٥٨ هـ.
١٢٣ ـ سداد الدين في نجاة آبائه ﷺ وخاتمة في نجاة أبي طالب، لمحمّد بن رسول البرزنجيّ، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤١٥ هـ.
١٢٤ ـ سِلْك الدُّرَر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمّد خليل المراديّ، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ـ بيروت ١٣٥٦ هـ، أعادت طبعه بالأُفست مكتبة المثنىٰ ـ بغداد ١٣٩٨ هـ.

١٢٥ ـ سَمْط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك العصاميّ، تحقيق عبد الرزاق حمزة، طبعة المكتبة السلفية ـ القاهرة ١٣٧٩ هـ وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٨٨ هـ.

١٢٦ ـ سنن أبي داود، لأشعث السجستانيّ الأزديّ (ت ٢٧٥ هـ ق)، إعداد وتعليق: عزت عبد الدعاس، طبعة دار الحديث الطبعة الأولىٰ ـ حمص ١٣٨٨ هـ وطبعة مصطفىٰ البابيّ ـ مصر ١٣٩١ هـ.

١٢٧ ـ سنن ابن ماجة، لمحمّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٥ هـ ق)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر، طبعة ـ بيروت ١٣٧١ هـ.

١٢٨ ـ سنن الدار قطنيّ، لعمر البغداديّ المعروف بالدار قطنيّ (ت ٢٨٥ هـ ق)، وبذيله التعليق المغنيّ علىٰ الدار قطنيّ، لأبي الطيب محمّد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة عالم الكتب ، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٢٩ ـ سنن الدارميّ، لعبدالله بن عبد الرحمن الدارميّ (ت ٢٥٥ هـ ق)، بعناية: محمّد أحمد دهمان، طبعة الأعتدال ـ دمشق ١٤١٩ هـ ، ونشرته دار إحياء السنة النبوية، بدون تاريخ .

١٣٠ ـ السنن الكبرىٰ، لأحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ (ت ٤٥٨ هـ ق)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٤هـ مصورة من دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٥٣ هـ.

١٣١ ـ السيرة النبوية، لأبي محمّد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ ق)، تحقيق: مصطفىٰ السقا، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٣٢ ـ السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية، لأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف الشين

١٣٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكريّ المعروف بابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ ق)، تحقيق: الأرناؤوط، طبعة

ـ بيروت ودمشق ١٤٠٩ هـ.

١٣٤ ـ شرح إحياء الدين، لمحمّد مرتضىٰ الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣٥ ـ شرح الشفا، للقاض عياض (ت ٥٤٤ هـ ق)،تأليف عليّ القاريّ ، المطبعة العثمانية ـ القاهرة ١٣١٩ هـ ، وصورته دار الكتب العلمية ـ بيروت، ومطبعة خليل ـ استانبول ١٣٩٠ هـ.

١٣٦ ـ شرح شواهد المغنيّ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، مطبعة رجب وأولاده ـ بغداد ١٣٥٨ هـ.

١٣٧ ـ شرح صحيح البخاريّ عبد الله محمّد بن إسماعيل، لمحمود بن أحمد العينيّ(ت ٨٥٥ هـ ق)، مطبعة الفجالة الجديدة ـ مصر ١٣٧٦ هـ.

١٣٨ ـ شرح الفقه الأكبر، لملاّ عليّ القاريّ (ت ١٠١٤ هـ ق)، مطبعة التقدم، مصر ١٣٢٣ هـ.

١٣٩ ـ شرح الهمزية في مدح خير البرية، لمحمّد بن عليّ بن حجر(ت ٨٥٢ هـ ق)، نشر دار إحياء السنة ، طبعة ـ الرياض .

١٤٠ ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦ هـ ق)، تحقيق: محمّد أبو الفضل، طبعة ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

١٤١ ـ شرح نهج البلاغة، للشيخ محمّد عبده، طبعة الفجالة الجديدة ـ مصر ١٤٠٣ هـ.

١٤٢ ـ شرح المقاصد، لعمر بن مسعود بن عبدالله التفتازانيّ (ت ٧٩١ هـ ق)، طبعة بيروت ١٤١٠ هـ.

١٤٣ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحاكم الحسكانيّ (من أعلام القرن الخامس، والمتوفّىٰ بعد سنة ٤٧٠ هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحموديّ، مؤسسة الطبع والنشر، الطبعة الأُولىٰ ـ طهران ١٤١١ هـ.

١٤٤ ـ شيخ الأبطح، لعبد الحسين الموسويّ، مطبعة المثنىٰ ـ بغداد ١٣٩٥ هـ.

١٤٥ ـ شيخ بني هاشم (أبو طالب) عمّ النبي ﷺ، لعبد العزيز سيّد الأهل، أُستاذ بجامعة بيروت ، طبعة ـ بيروت ١٣٧١ هـ.

حرف الصاد

١٤٦ ـ صحيح البخاريّ (الجامع الكبير)، لإسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ ق)، تحقيق: النواوي وخفاجة، مطبعة الفجالة الجديدة ـ مصر ١٣٥٨ هـ.

١٤٧ ـ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١ هـ ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة ـ بيروت ١٣٧٤ هـ.

١٤٨ ـ صحيح الترمذيّ، لعيسىٰ بن سورة الترمذيّ (ت ٢٩٧ هـ ق)، مطبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٤٩ ـ صفة الصفوة، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد المعروف بابن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، تحقيق: محمّد هارون، طبعة دار الفكر، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٣ هـ.

١٥٠ ـ الصواعق المحرقة في الردّ علىٰ أهل البدع والزندقة، لأحمد بن حجر الهيتميّ الكوفيّ (ت ٩٧٤ هـ ق)، إعداد: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية ـ مصر ١٣٨٥ هـ.

حرف الضاد

١٥١ ـ الضوء اللامع، للحافظ السخاويّ (ت ٩٠٢ هـ ق)، مطبعة القدسيّ ـ مصر ١٣٥٢ هـ.

حرف الطاء

١٥٢ ـ طبقات الأطباء، لمجموعة من المحققين بإشراف عبد الغني عبد الخالق، الناشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ـ مصر ١٣٨٦ هـ، ومطبعة عيسىٰ البابيّ الحلبيّ وشركاه، وطبعة وزارة الصحة ـ القاهرة ١٣٩٦ هـ.

١٥٣ ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ، لتقي الدين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافيّ السبكيّ (ت ٧٧١ هـ ق)، طبعة عيسىٰ البابيّ ـ مصر ١٣٨٣ هـ.

١٥٤ ـ طبقات الشعرانيّ في ذيل الطبقات، لمحمّد بن عليّ الشعرانيّ (ت ٩٧٣ هـ ق)، طبعة دار الملايين ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٥٥ ـ الطبقات الكبرى، لمحمّد بن سعد الواقديّ (ت ٢٣٠هـ ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٣٥٤ هـ.

١٥٦ ـ طلبة الطالب في شرح لامية أبي طالب، لعليّ فهمي بن شاكر المصريّ الموستاريّ الشافعيّ الشهير بجامي زاده، أُستاذ اللغة العربية في دار الفنون بطهران، مطبعة روشن ـ استامبول ١٣٢٧ هـ.

حرف العين

١٥٧ ـ العالِم والمتعلِّم، رواية أبي عقيل مقاتل عن أبي حنيفة، تحقيق: محمّد زاهد الكوثرانيّ، طبعة حيد آباد الهند ١٤٠٢ هـ، ومطبعة الأنوار ـ القاهرة ١٣٦٨ هـ.

١٥٨ ـ العرائس (عرائس التيجان)، لأحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت ٤٢٧ هـ ق)، مطبعة كلستان ـ كشمير، الهند، الطبعة القديمة ١٢٨٥ هـ.

١٥٩ ـ العقد الفريد، لأحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ (ت ٣٢٨ هـ ق)، تحقيق: أحمد الزين وإبراهيم الأبياريّ، طبعة دار الأندلس بيروت ١٤٠٨ هـ.

١٦٠ ـ العلل المتناهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، تحقيق: الأثري، طبعة ـ الهند ١٤١٢ هـ.

١٦١ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لأحمد بن الحسين الداودي (ت ٨٢٨ هـ ق)، المطبعة الحيدرية أُفست ـ النجف ١٣٥٩ هـ.

١٦٢ ـ عمدة القاريّ، لمحمود بن أحمد العينيّ الحنفيّ (ت ٨٥٥ هـ ق)، طبعة المنيرية ـ مصر ١٤٠٢ هـ.

١٦٣ ـ عيون الأثر، لأحمد بن عبدالله بن يحيىٰ المشهور بابن سيّد الناس (ت ٧٣٤ هـ ق)، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠١ هـ.

حرف الغين

١٦٤ ـ غاية السؤل في سيرة الرسول، لعبد الباسط الحنفيّ (ت ٩٢٠ هـ ق)،

تحقيق: محمّد كمال الدين، عالم الكتب، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤٠٨ هـ وطبعة حبيب الرحمن الأعلمي ـ بيروت ١٤١٩هـ.
١٦٥ ـ غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب، لمحمّد خليل الخطيب المصريّ طبعة طنطا ـ مصر ١٣٧١ هـ.
١٦٦ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب ،لعبد الحسين أحمد الأميني (١٣٩٠ هـ ق)، طبعة دار إحياء الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.
١٦٧ ـ غرائب القرآن، لنظام الدين النيسابوريّ (ت ٣٠٣ هـ ق)، طبعة المكتبة السلفية ـ المملكة العربية السعودية ١٤٠٩ هـ.
١٦٨ ـ الغَمَّاز على اللَّمَّاز في الأحاديث المشتهرة، لنور الدين السمهوديّ (ت ٩١١ هـ ق)، تحقيق: محمّد إسحاق عبد القادر عطا، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٦هـ، وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

حرف الفاء

١٦٩ ـ الفائق في غريب الحديث، لمحمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥١٦ هـ ق)، مطبعة عيسىٰ البابيّ الحلبيّ ـ مصر ١٣٥٩ هـ.
١٧٠ ـ الفتاوىٰ السراجية، لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ ق)، طبعة مصطفىٰ محمّد ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ.
١٧١ ـ فتاوىٰ شمس الدين الرمليّ، طبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٤١٢ هـ.
١٧٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ ق)، تحقيق: عبد العزيز بن عبدالله بن باز ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ.
١٧٣ ـ الفتوحات المكية، لمُحيّ الدين محمّد بن عليّ المعروف بابن عربي (٦٣٨ هـ ق)، طبعة بولاق ـ القاهرة ١٣٥٢ هـ
١٧٤ ـ الفتح المبين، لأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ ق)، طبعة استانبول ١٤٠٩ هـ، وطبعة بيروت ١٤١٥ هـ.
١٧٥ ـ فتوح البلدان، لأحمد بن يحيىٰ البلاذريّ (ت ٢٧٩ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

١٧٦ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين، لإبراهيم بن محمّد للحمويني (ت ٧٢٢ أو ٧٣٠ هـ ق)، طبعة مؤسسة المحمودي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

١٧٧ ـ الفرح والسرور، لقلي زاده المرعشيّ، طبعة حيدر آباد الهند ١٤١٢ هـ.

١٧٨ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه الديلمي الهمداني (ت ٥٠٩ هـ ق)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

١٧٩ ـ الفصول المختارة من العيون والمحاسن، لمحمّد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ ق)، طبعة مكتبة الداوريّ ـ قم ١٤٠٢ هـ.

١٨٠ ـ الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٨١ ـ فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتانيّ (ت ١٣٤٥ هـ ق)، طبعة دار الكتب العلمية ـ القاهرة ١٤١٦ هـ.

١٨٢ ـ الفهرست، لمحمّد بن إسحاق بن النديم، تحقيق: ناهد عباس عثمان، نشر دار قطري بن الفجاءة، الطبعة الأُولىٰ الدوحة ـ قطر، ١٩٨٥ م.

١٨٣ ـ الفهرست، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤١٢ هـ.

١٨٤ ـ الفوائد البهية، لمحمّد بن عليّ الشَّوْكَانيّ (ت ١٢٥٠ هـ ق)، طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٤٠١ هـ.

١٨٥ ـ الفوائد الكامنة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة المنيرية ـ القاهرة ١٤١٦ هـ.

١٨٦ ـ فيصل التفرقة، لمحمّد بن محمّد الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ ق)، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٨٦ هـ.

١٨٧ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، لأبي زكريا يحيىٰ بن محمّد عبد الرؤوف المناويّ (ت ١٠٣١ هـ ق)، الطبعة الأُولىٰ ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ.

١٨٨ ـ فيض الواهب في نجاة أبي طالب، لأحمد فيضي ابن الحاج عليّ عارف بن عثمان بن مصطفىٰ الحنفيّ الجوروميّ (ت ١٣٢٧ هـ ق)، طبعة ـ مصر ١٣٩٨ هـ.

حرف القاف

١٨٩ ـ القاموس، لمحمّد مرتضىٰ الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٩٠ ـ قصص الأنبياء، لأحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعالبيّ (ت ٤٢٧ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٩١ ـ القصيدة الغراء في إيمان أبي طالب شيخ البطحاء، للأُستاذ أحمد الحسينيّ الحنفيّ المصريّ (ت ١٣٨٧ هـ ق)، طبعة ـ طهران ١٣٨٤ هـ.

حرف الكاف

١٩٢ ـ الكافيّ، لمحمّد بن يعقوب الكلينيّ الرازيّ (ت ٣٢٩ هق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، طبعة دار الكتب الإسلامية ـ طهران ١٣٨٩ هـ.

١٩٣ ـ الكامل في التاريخ، لعليّ بن محمّد الشيبانيّ الموصليّ المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ ق)، تحقيق: عليّ شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.

١٩٤ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٩٥ ـ الكشاف، لجار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥١٦ هـ ق)، مطبعة مصطفىٰ محمّد ـ مصر ١٣٥٤ هـ.

١٩٦ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، لمصطفىٰ بن عبدالله القسطنطيني (ت ١٠٦٧ هـ ق)، طبعة ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ.

١٩٧ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين عليّ المتقيّ الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ ق)، مؤسسة الرسالة، طبعة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٩٨ ـ كنز الفوائد، لمحمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (ت ٤٤٩ هـ ق)، إعداد: عبدالله نعمة، طبعة دار الذخائر،الطبعة الأُولىٰ ـ قم ١٤١٠ هـ.

حرف اللام

١٩٩ ـ لسان الميزان، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٦ هـ.

حرف الميم

٢٠٠ ـ المبسوط، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٠١ ـ متشابه القرآن ومختلفه، لمحمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني مكتبة أبو ذر جمهوريّ (المصطفويّ) ـ طهران ١٢٢٨ هـ، وطبعة حيد آباد الهند ١٤١٦ هـ.

٢٠٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ ق)، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٠٣ ـ مَجْمَع الزوائد ومنبع الفوائد، لعليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت ٨٠٧ هـ ق)، تحقيق: عبدالله محمّد درويش، طبعة دار الفكر، الطبعة الأُولىٰ ـ بيروت ١٤١٢ هـ ق)، مصورة عن طبعة القدسيّ ١٣٨٩ هـ ق ، وطبعة ـ القاهرة الثانية بدون تاريخ .

٢٠٤ ـ المحاسن والاضداد، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٠٥ ـ مختصر جامع الأُصول، لمحمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ ق)، طبعة مكتبة التراث ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٠٦ ـ مختصر الفتوحات المكية، لأحمد بن عليّ الشعرانيّ (ت ٩٧٣ هـ ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٠٧ ـ مرقاة المفاتيح، لملاّ عليّ القاريّ (ت ١٠١٤ هـ ق)، طبعة حيد آباد الهند ١٤١٥ هـ.

٢٠٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعليّ بن الحسين المسعوديّ (ت ٣٤٦ هـ

ق)، تحقيق: محمّد مُحيّ الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ.

٢٠٩ ـ المزهر في أُصول اللغة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة ـ الهند ١١٢٥ هـ.

٢١٠ ـ مسالك الحنفا في والديّ المصطفىٰ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١ هـ ق)، طبعة ـ الهند ١٣٣٤ هـ.

٢١١ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، لعبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ ق)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأُولىٰ ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ، ونشر دار الفكر ـ بيروت ١٤١١ هـ.

٢١٢ ـ مسند أبي عوانة، لمحمّد بن وضّاحّ بن عبدالله اليشمريّ (ت ١٧٦ هـ ق)، تحقيق: محمّد شاكر مدرك طبعة ـ القاهرة ١٢٦٥ هـ.

٢١٣ ـ مسند أبي داود الطيالسيّ، لسليمان بن الجارود البصريّ المعروف بأبي داود الطيالسيّ (ت ٢٠٤ هـ ق)، طبعة دار المعرفة – بيروت ١٤٠٤ هـ.

٢١٤ ـ مسند أحمد، لمحمّد بن حنبل الشيبانيّ (ت ٢٤١ هـ ق)، تحقيق: عبد الله محمّد الدرويش، طبعة دار الفكر، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٤١٤ هـ.

٢١٥ ـ مسند الطيالسيّ، لسليمان بن داود الطيالسيّ (ت ٢٠٤ هـ ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢١٦ ـ مسند البزار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(ت ٢٢٧ هـ ق)، طبعة ـ القاهرة ١١٢٤ هـ.

٢١٧ ـ مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمّد الأزدي الحجريّ الطحاويّ (ت ٣٢١ هـ ق)، طبعة حيد آباد الدكن ١٣٣٣هـ وطبعة دار صادر ـ بيروت .

٢١٨ ـ المصنّف، لعبد الرزاق بن همام الصنعانيّ (ت ٢١١ هـ ق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي الأعلىٰ ـ بيروت ١٣٩٢ هـ

٢١٩ ـ المصنّف في الأحاديث والآثار، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفيّ (ت ٢٣٥ هـ ق)، مطبعة العلوم الشرقيه، حيد آباد ـ الدكن ١٣٩٠ هـ، وطبعة ودار الفكر ـ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٢٢٠ ـ معجم الأدباء، لأبي عبدالله ياقوت الحمويّ البغداديّ المغازيّ (ت ٦٢٦ هـ ق)، طبعة دار المأمون ـ بغداد ١٣٥٥ هـ

٢٢١ ـ المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد اللّلخميّ الطبرانيّ (٣٦٠ هـ ق)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٢٥ هـ.

٢٢٢ ـ معجم القبور، لمحمّد مهدي الكاظميّ، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٤١٩ هـ وطبعة مكتبة النجاح بغداد ١٣٥٨ هـ.

٢٢٣ ـ معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنىٰ، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٤٠٩ هـ.

٢٢٤ ـ معالم التنزيل، لمحمّد الحسين بن مسعودالفراء البغويّ (ت ٥١٦ هـ ق)، تحقيق: خالد محمّد العك، ومروان سوار، نشر دار المعرفة، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٤٠٧ هـ.

٢٢٥ ـ المعارف، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق)، حققه وقدم له ثروت عكاشه: منشورات الشريف الرضيّ الطبعة الأُولىٰ ١٤١٥ هـ.

٢٢٦ ـ المغنيّ، لابن قدامة المقدسيّ، مطبعة المنار ـ مصر ١٣٤٢ هـ.

٢٢٧ ـ مفتاح السعادة، طاشكبري زادة، طبعة حيد آباد ـ الهند ١٤٠٢ هـ.

٢٢٨ ـ مقام الإمام عليّ، لنجم الدين العسكريّ، طبعة النجف ١٤٠٢ هـ.

٢٢٩ ـ المقتفىٰ في حل الفاظ الشفا، لإبراهيم بن محمّد الحلبيّ ابن العجميّ (ت ٨٤١ هـ ق)، طبعة دار الملايين ـ بيوت ١٤٠٩ هـ.

٢٣٠ ـ المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ(ت ٩١١ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤١٦ هـ.

٢٣١ ـ المقاصد الحسنة، لشمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السمرقنديّ السخاويّ (ت ٧٢١ هـ ق)، صححه الصّديق: طبعة ـ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٢٣٢ ـ الملل والنحل، لمحمّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ (ت ٥٦٢ هـ ق)، طبعة ـ لندن، وحيدر آباد الدكن ١٣٥٨ هـ.

٢٣٣ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ ق)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، طبعة ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.
٢٣٤ ـ منال الطالب، لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ ق)، طبعة القاهرة ١٣٨٩ هـ.
٢٣٥ ـ مناقب آل أبي طالب، لمحمّد بن عليّ السرويّ، طبعة دار الفكر ١٤١٦ هـ.
٢٣٦ ـ مناقب آل أبي طالب، لمحمّد بن عليّ المعروف بابن شهر آشوب المازندرانيّ (ت ٥٨٨ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤٢٠ هـ.
٢٣٧ ـ مناقب أمير المؤمنين ﷺ، لضياء الدين الخوارزميّ (ت ٥٦٨ هـ ق)، الطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ١٣٨٥ هـ، وطبعة ـ قم ١٤١١ هـ.
٢٣٨ ـ المنتخب ، لابن حميد، تحقيق: محمود عياض ، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٤٠١ هـ.
٢٣٩ ـ المنح المكية شرح القصيدة الهمزية، لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.
٢٤٠ ـ المنهاج في شعب الإيمان، لمحمّد بن حليم الشافعيّ الحليميّ (ت ٤٠٣ هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٣٩٧ هـ.
٢٤١ ـ المنهل الصافيّ، لجمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الظاهريّ الاتابكيّ(ت ٨٧٤ هـ ق)، طبعة دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٤١٢ هـ.
٢٤٢ ـ مقدمة ابن خلدون، لأبي الحسين بن عليّ عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ق)، طبعة بولاق ـ القاهرة ١٣٦٩ هـ.
٢٤٣ ـ منية الراغب في إيمان أبي طالب ،لمحمّد رضا الطبسي النجفي، تحقيق: محمّد كامل المباركيّ، طبعة دار الفكر العربي ـ بيروت ١٤١٩ هـ.
٢٤٤ ـ موارد الظّمآن إلىٰ زوائد ابن حبّان، لنور الدين الهيثميّ (ت ٨٠٧ هـ ق)، تحقيق: عبدالرزاق حمزة، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٦٨ هـ.
٢٤٥ ـ المواهب اللدنية، لأبي العباس شهاب الدين أحمد القسطلانيّ الشافعيّ (ت ٩٢٣ هـ ق)،، الطبعة الأزهرية ـ مصر ١٣٢٥ هـ، وطبعة بيروت ١٤١٢ هـ.
٢٤٦ ـ مورد الصادي بمولد الهادي، لمحمّد بن ناصر الدين الدمشقيّ (ت ٨٤٢ هـ

ق)،طبعة ـ بيروت ١٤٢٠ هـ.

٢٤٧ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمّد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ ق)، تحقيق: عليّ البجاويّ، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٣٥٦ هـ.

حرف النون

٢٤٨ ـ الناسخ والمنسوخ، لعمر بن أحمد بن شاهين البغداديّ (ت ٣٨٥ هـ ق)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٥٩ هـ.

٢٤٩ ـ نثر الدرّ، لأبي سعيد بن منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١ هـ ق)، تحقيق: محمّد عليّ قرنة، مركز تحقيق التراث، الطبعة الأُولىٰ ـ مصر ١٣٦٩ هـ.

٢٥٠ ـ النجم الوهاج في شرح المنهاج، ليحيىٰ بن شرف الحورانيّ النوويّ (ت ٦٧٦ هـ ق)، طبعة حيد آباد ـ الدكن ١٤١٢ هـ.

٢٥١ ـ نزاهة أبائه ﷺ، لمحمّد مرتضىٰ الزبيديّ، الطبعة المنيرية ـ مصر ١٤١٩ هـ

٢٥٢ ـ نزهة الناظرين، لحسين بن محمّد بن الحسين، من أعلام القرن الخامس الهجري، طبعة ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ.

٢٥٣ ـ نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١هـ ق)، طبعة ـ القاهرة ١٤٠٢ هـ.

٢٥٤ ـ نهاية الإرب، لشهاب الدين النويريّ (ت ٧٣٢ هـ ق)، تحقيق: كمال مروان طبعة ـ القاهرة ١٢٤٩ هـ.

٢٥٥ ـ نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، لأحمد بن عبدالله القلقشنديّ (ت ٨٢١ هـ ق)، نشر إدارة البحوث العلمية، طبعة ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٥٦ ـ نهاية الطلب، لإبراهيم الحنفيّ، طبعة ـ القاهرة ١٤٠٩ هـ.

٢٥٧ ـ نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج، ليحيىٰ بن شرف الحورانيّ النوويّ (ت ٦٧٦ هـ ق)، طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ.

٢٥٨ ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر بن شيخ عبدالله العيدروسيّ، تصحيح: محمّد رشيد أفنديّ الصفار، الناشر المكتبة العربية،

مطبعة الفرات ـ بغداد ١٣٥٣ هـ.

حرف الهاء

٢٥٩ ـ هامش مختصر التذكرة، لمحمّد بن عليّ الحنفيّ، نشر إدارة البحوث العلمية، طبعة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٦٠ ـ هامش السيرة الحلبية، لأحمد زينيّ دحلان (ت ١٣٠٤ هـ ق)، طبعة بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٦١ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغداديّ (ت ١٣٢٩ هـ ق)، طبعة الأوفست ـ طهران من طبعة إستانبول ١٣٦٩ هـ.

٢٦٢ ـ الهمع علىٰ الجمع في فروع النحو وأصوله والصرف، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمّد السيوطيّ (ت ٩١١هـ ق)، طبعة ـ بيروت ١٤٠٩ هـ.

حرف الواو

٢٦٣ ـ الوفا بأحوال المصطفىٰ، لعبد الرحمن بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ ق)، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٦٤ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين أبي العباس أحمد بن محمّد البرمكيّ المعروف بابن خَلِّكان (ت ٦٨١ هـ ق)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ.

حرف الياء

٢٦٥ ـ ينابيع المودة لذوي القربىٰ، لسليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ ق)، تحقيق: عليّ جمال أشرف الحسينيّ، طبعة أُسوة الطبعة الأُولىٰ ـ قم ١٤١٦ هـ .

فهرس المخطوطات

٢٦٦ ـ أدلة معتقد أبي حنيفة في أبَوَي النبي ﷺ، لملاّ عليّ القاريّ(ت ١٠١٤ هـ ق)، نسخة خطية محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، ونسخة مصورة من مكتبة الأحمدية ـ حلب .

٢٦٧ ـ أرجوزة في الفقه، لمحمّد بن رسول البرزنجيّ الشهرزوريّ (ت ١١٠٣ هـ ق) ،مخطوط في مكتبتي .

٢٦٨ ـ تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية، لملاّ عليّ القاريّ (ت ١٠١٤ هـ ق). مخطوط في مكتبة ـ المدينة المنورة.

٢٦٩ ـ ذيل رسالة تشييع فقهاء الحنفية، لملاّ عليّ القـاريّ (ت ١٠١٤ هـ ق)، مخطوط في مكتبة الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة .

٢٧٠ ـ شم العوارض في ذم الروافض، لملاّ عـليّ القـاريّ (ت ١٠١٤ هـ ق)، مخطوط في مكتبتي .

٢٧١ ـ المعجم المختص، لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ ق)، مخطوط في مكتبة عارف ـ تركيا.

٢٧٢ ـ مختصر شرح لامية العجم، لإبراهيم بن أيبك بن عبد الله الصفديّ (ت ٧٤٢ هـ ق)، مخطوط في مكتبة ـ المدينة المنورة.

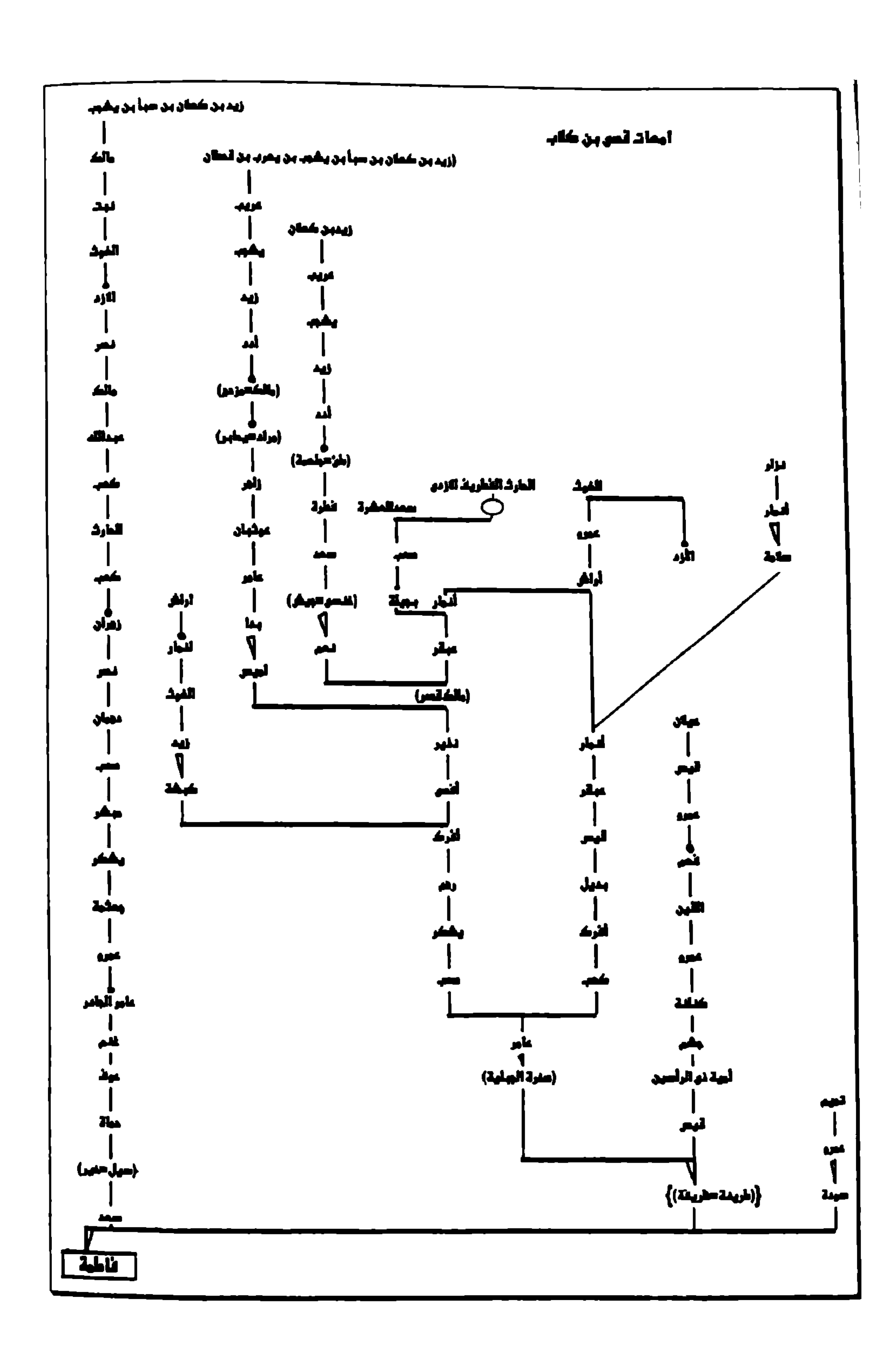
٢٧٣ ـ المنحة الشمسية في فضائل خير البرية، لملاّ حسن المقرحيّ، مخطوط في مكتبتي .

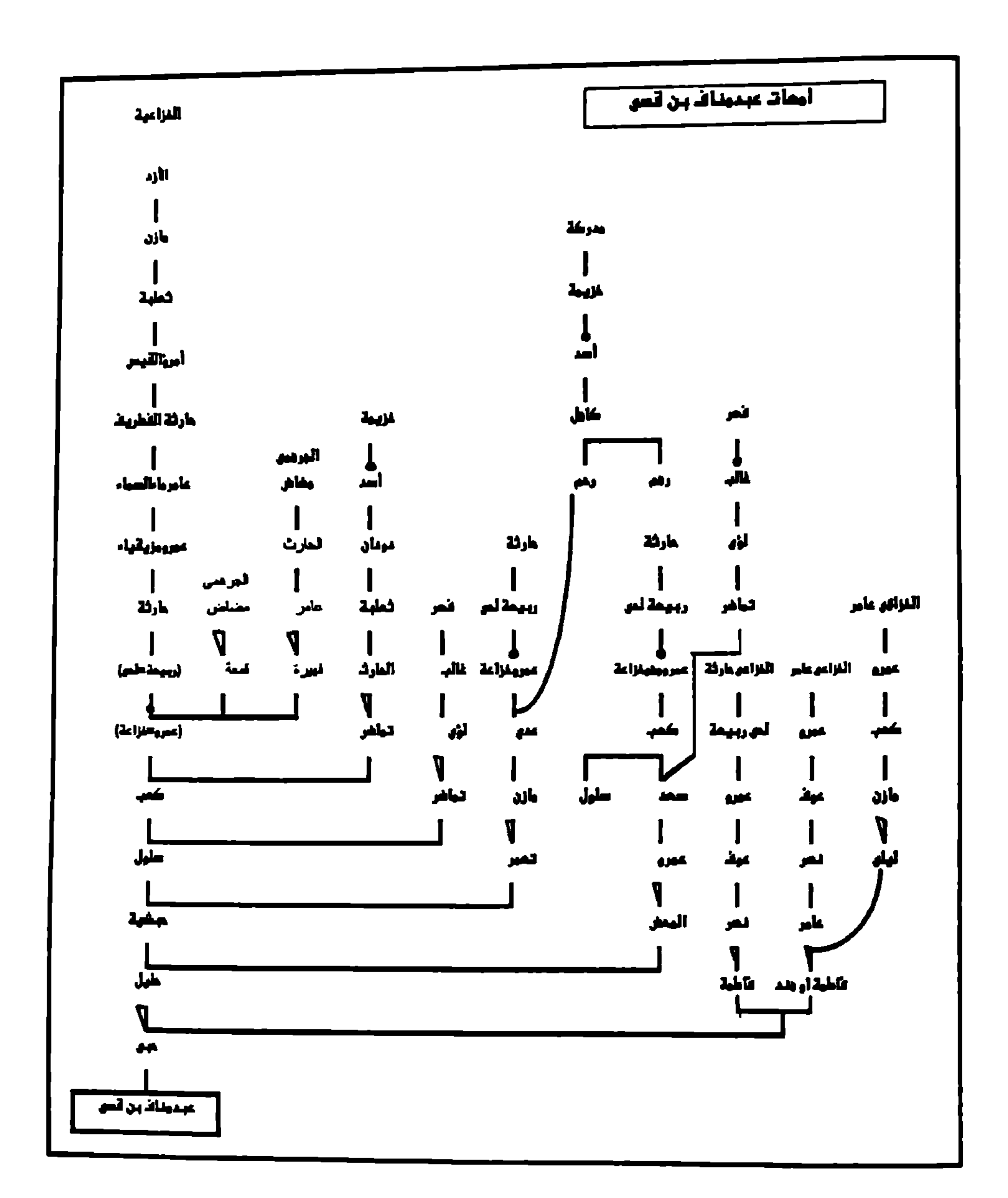
٢٧٤ ـ نسب النبي ﷺ، لملاّ صالح بن شايع الشافعيّ، مخطوط في مكتبتي .

الفهرست الصفحة

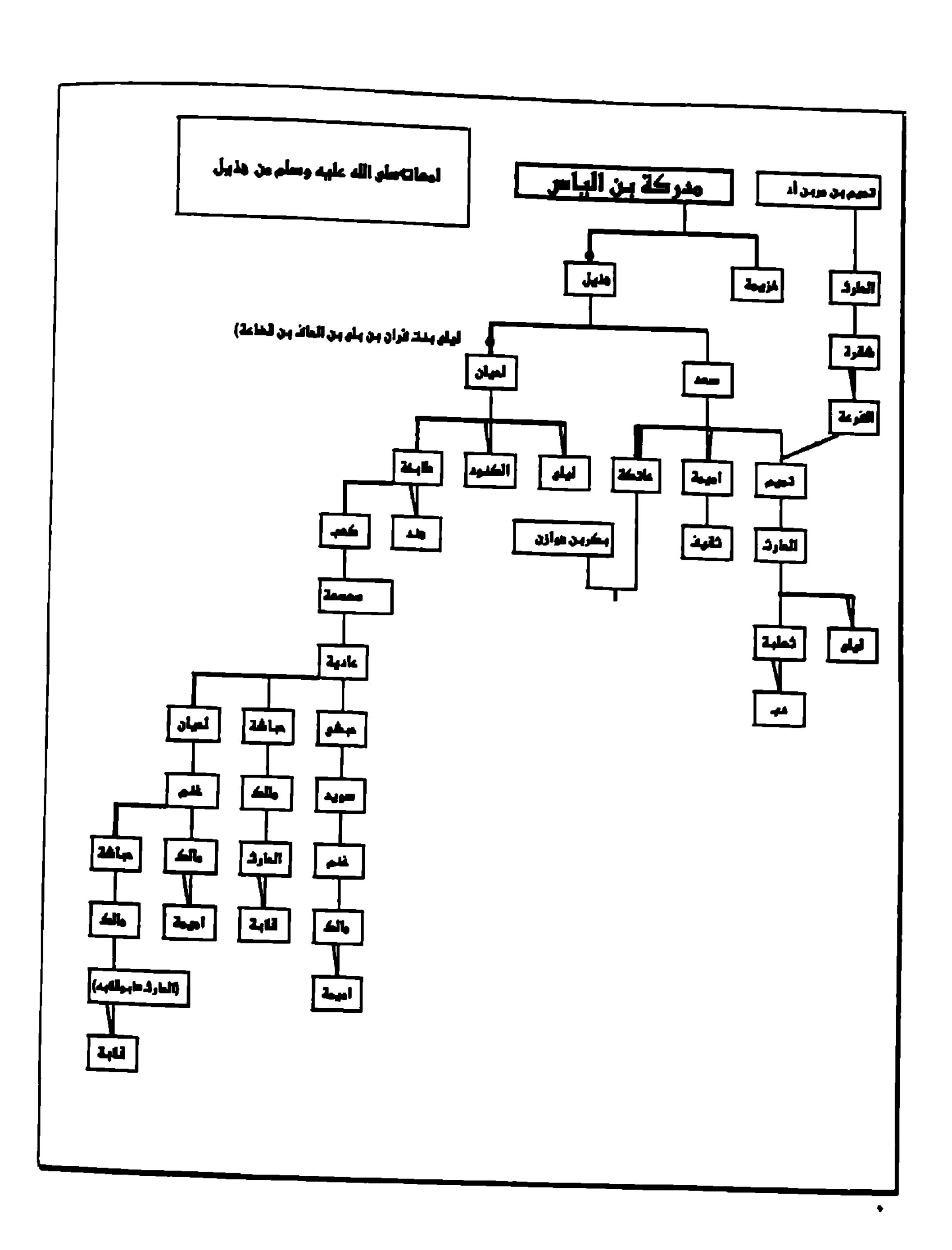
الفهرست

الصفحة

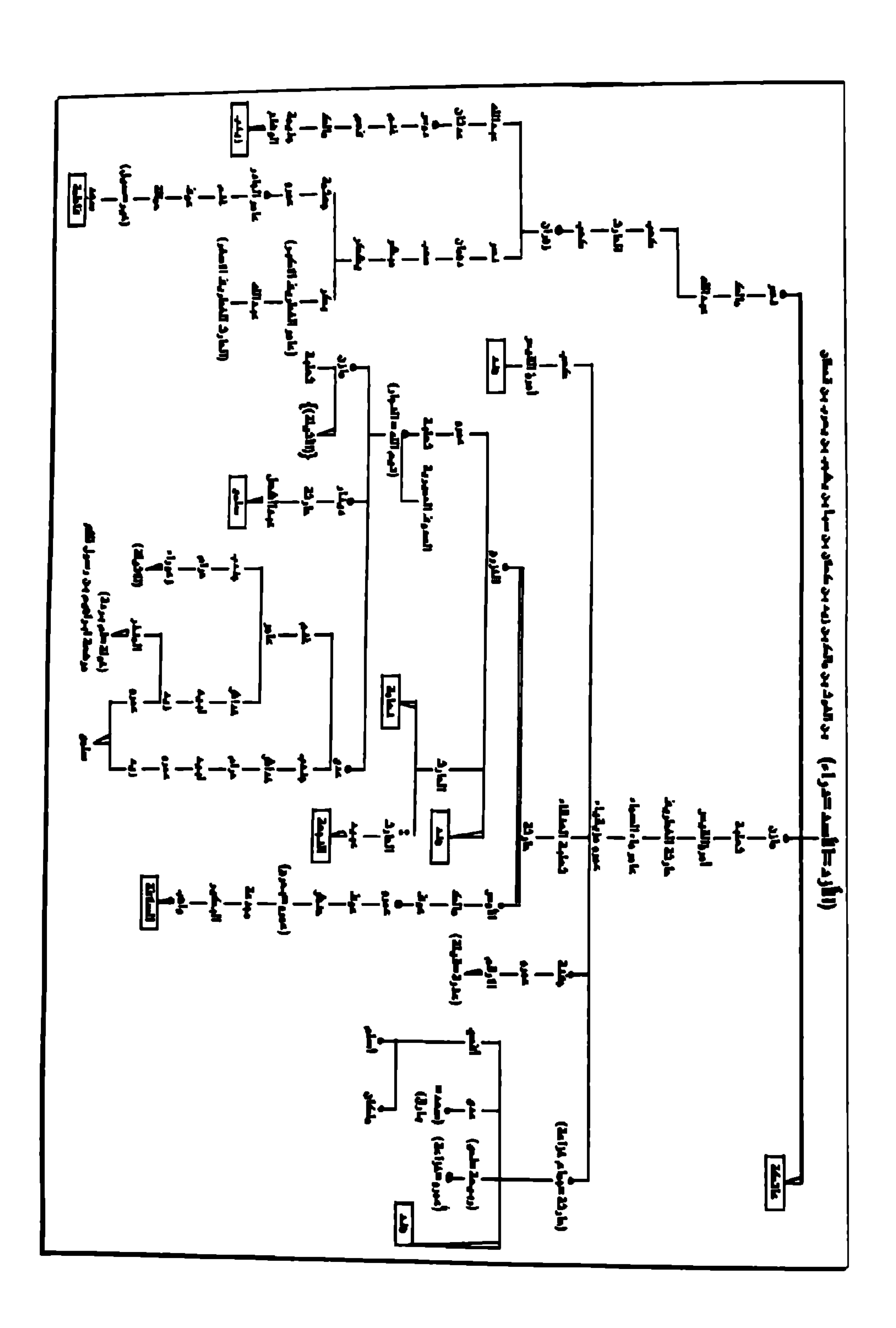

أمهات قصي بن كلاب
فاطمة

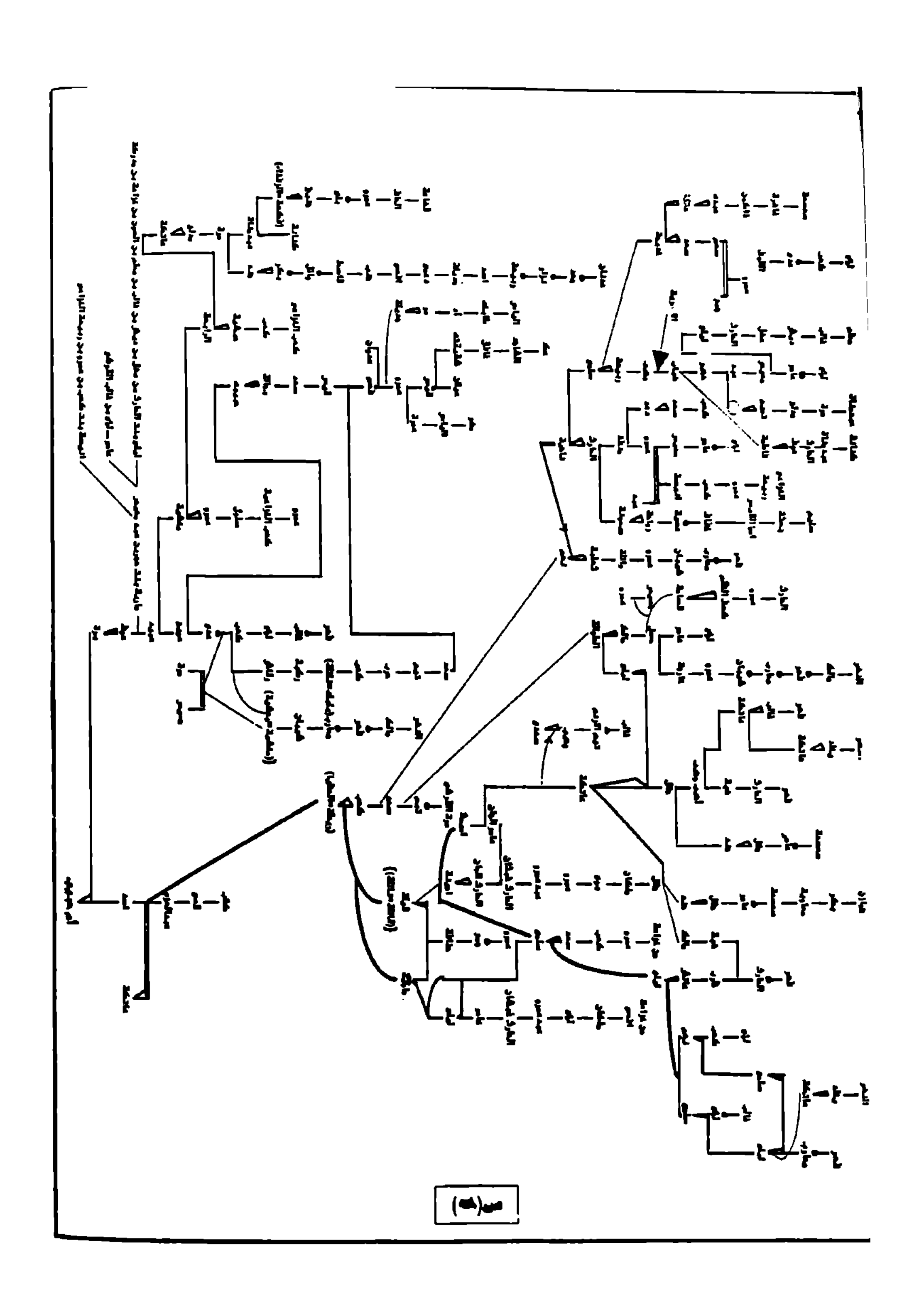


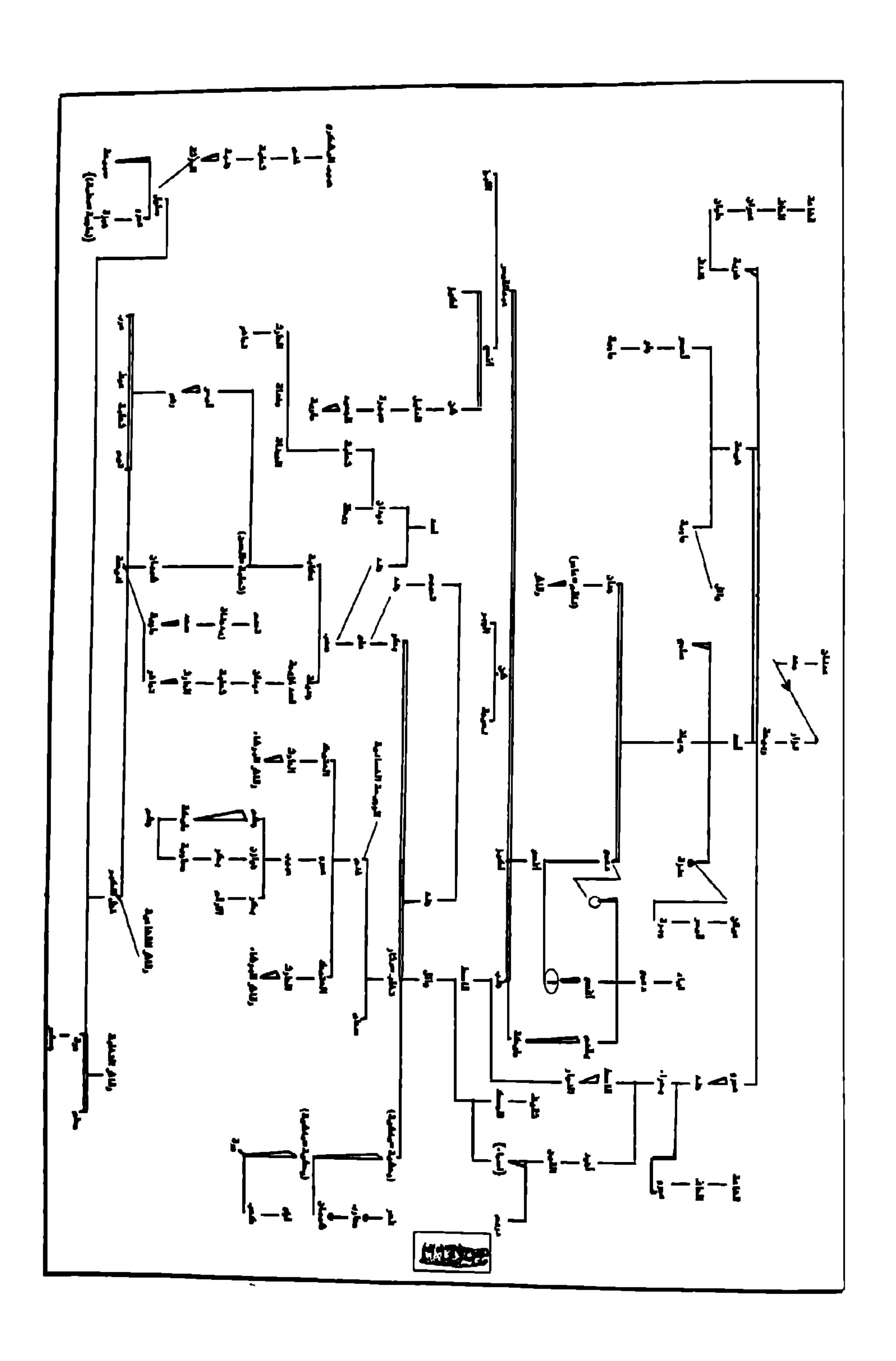
أمهات عبدمناف بن قصي
الخزاعية
الأزد
مدركة
مازن
خزيمة
ثعلبة
أسد
امرؤ القيس
فهر
كاهل
خزيمة
حارثة الغطريف
غالب
وهب
وهم
أسد
الجرهمي
مضاض
عامر ماء السماء
لؤي
حارثة
حارثة
عوذان
الحارث
عمرو مزيقياء
الخزاعي عامر
تيم الأدرم
ربيعة لحي
ربيعة لحي
فهر
ثعلبة
عامر
مضاض
الجرهمي
حارثة
عمرو
الخزاعي عامر
الخزاعي حارثة
عمرو خزاعة
عمرو خزاعة
غالب
الحارث
قيلة
نعمة
(ربيعة لحي)
كعب
عمرو
لحي ربيعة
كعب
عدي
لؤي
تيم الأدرم
(عمرو خزاعة)
مازن
عوف
عمرو
سعد
سلول
مازن
تيم الأدرم
كعب
ليلى
نصر
عوف
عمرو
تيم
سلول
عامر
نصر
المحترش
حبشية
فاطمة أو هند
فاطمة
حليل
حبى
عبدمناف بن قصي

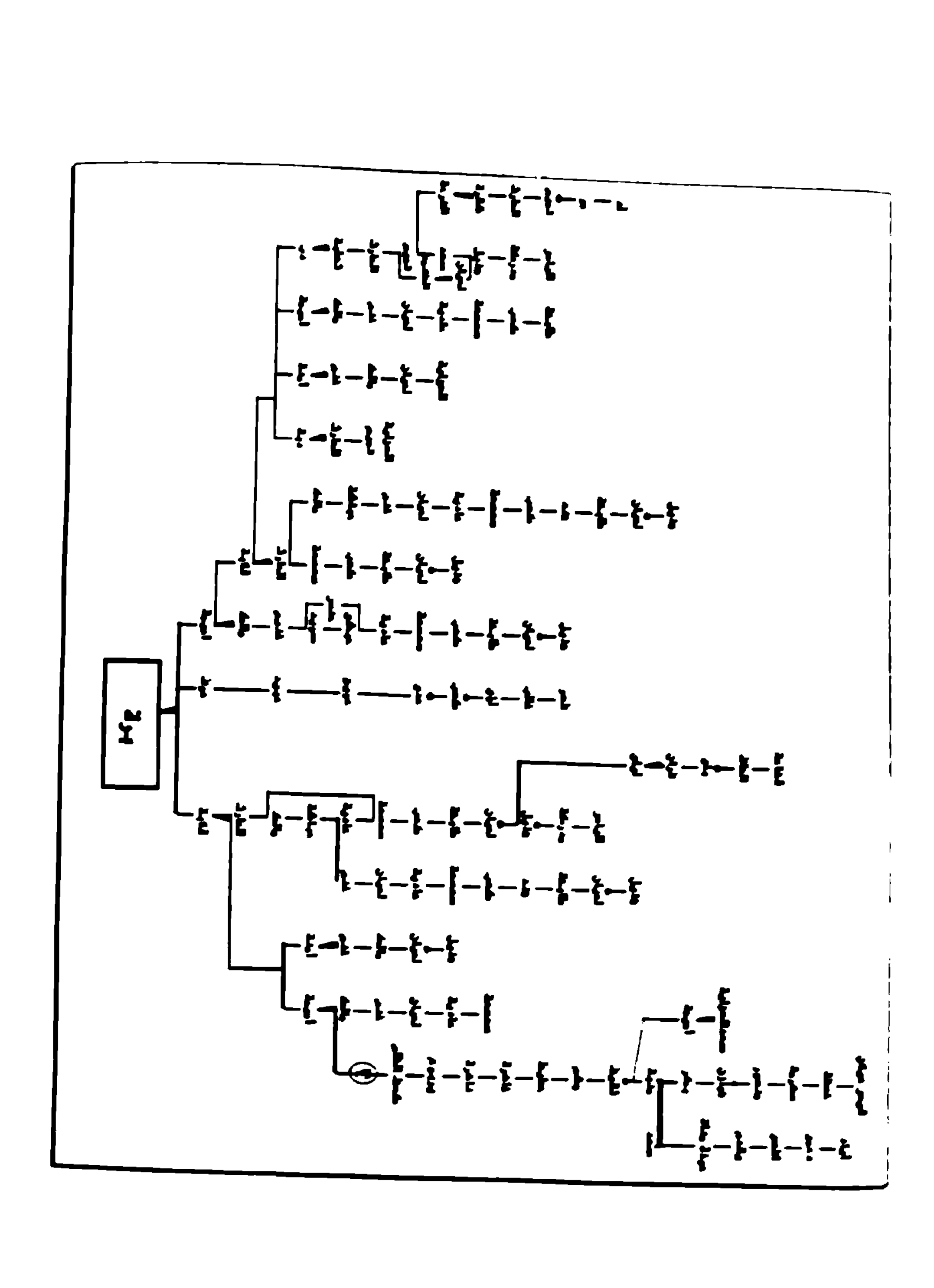


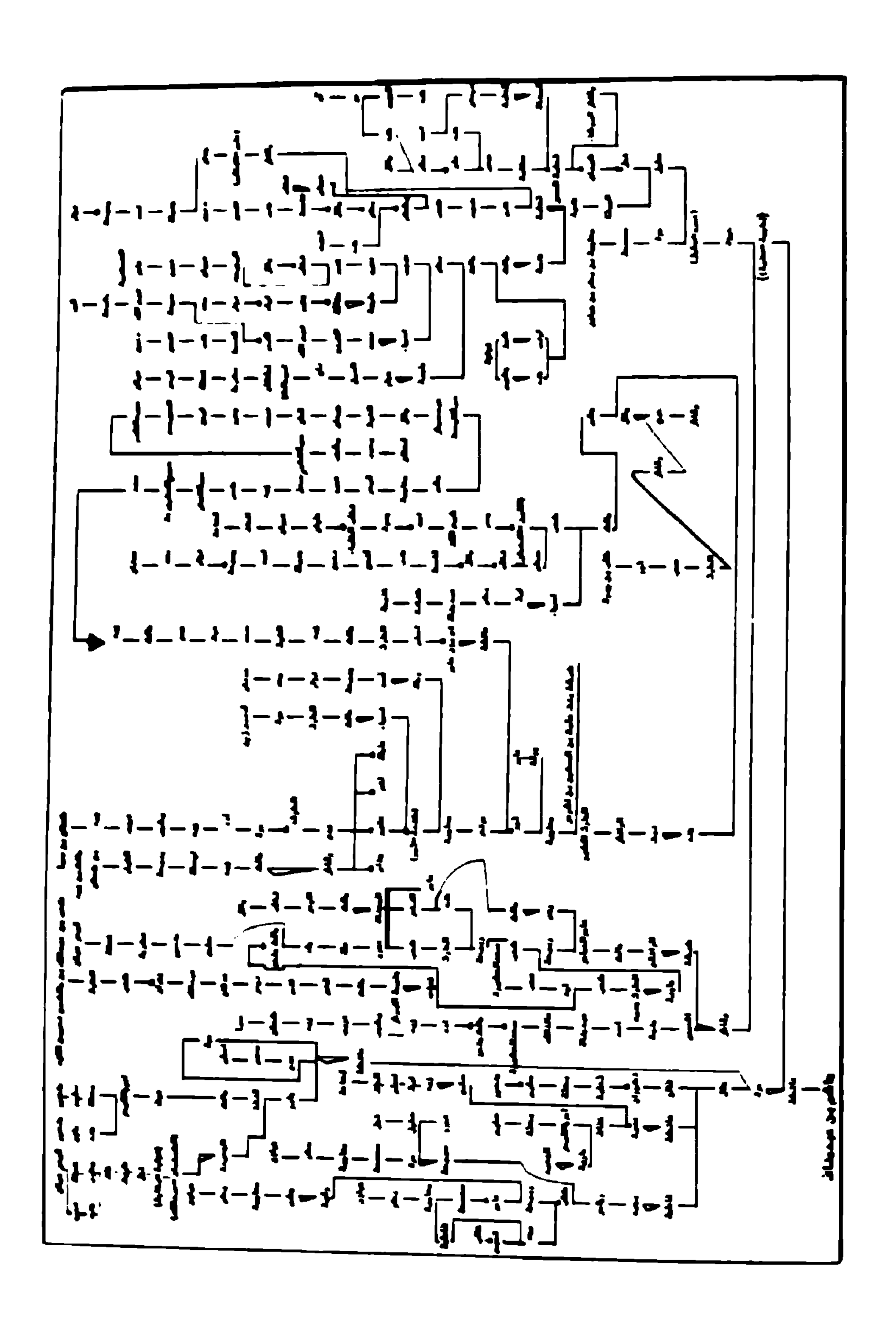
امهاته صلى الله عليه وسلم من هذيل
مدركة بن الياس
تميم بن مر بن اد
هذيل
خزيمة
الحارث
شقرة
القرعة
ليلى بنت فران بن بلي بن الحاف بن قضاعة)
لحيان
سعد
طابخة
الكنود
ليلى
عاتكة
أميمة
تميم
كعب
هند
بكر بن هوازن
ثقيف
الحارث
صعصعة
ثعلبة
ليلى
عادية
لحيان
حباشة
حبشي
غنم
مالك
سويد
حباشة
مالك
الحارث
غنم
مالك
أميمة
قلابة
مالك
(الحارث ابو قلابة)
أميمة
قلابة

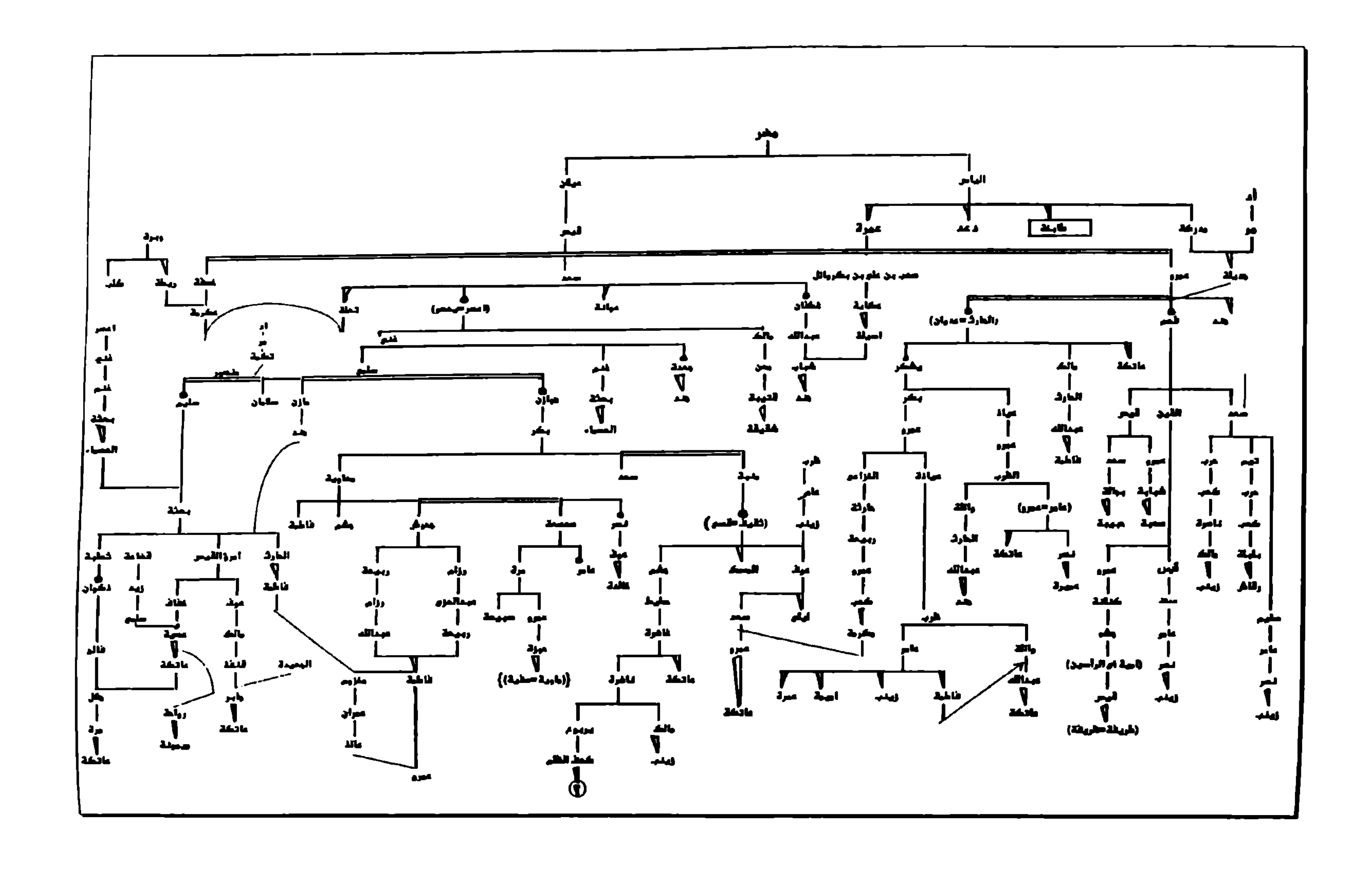


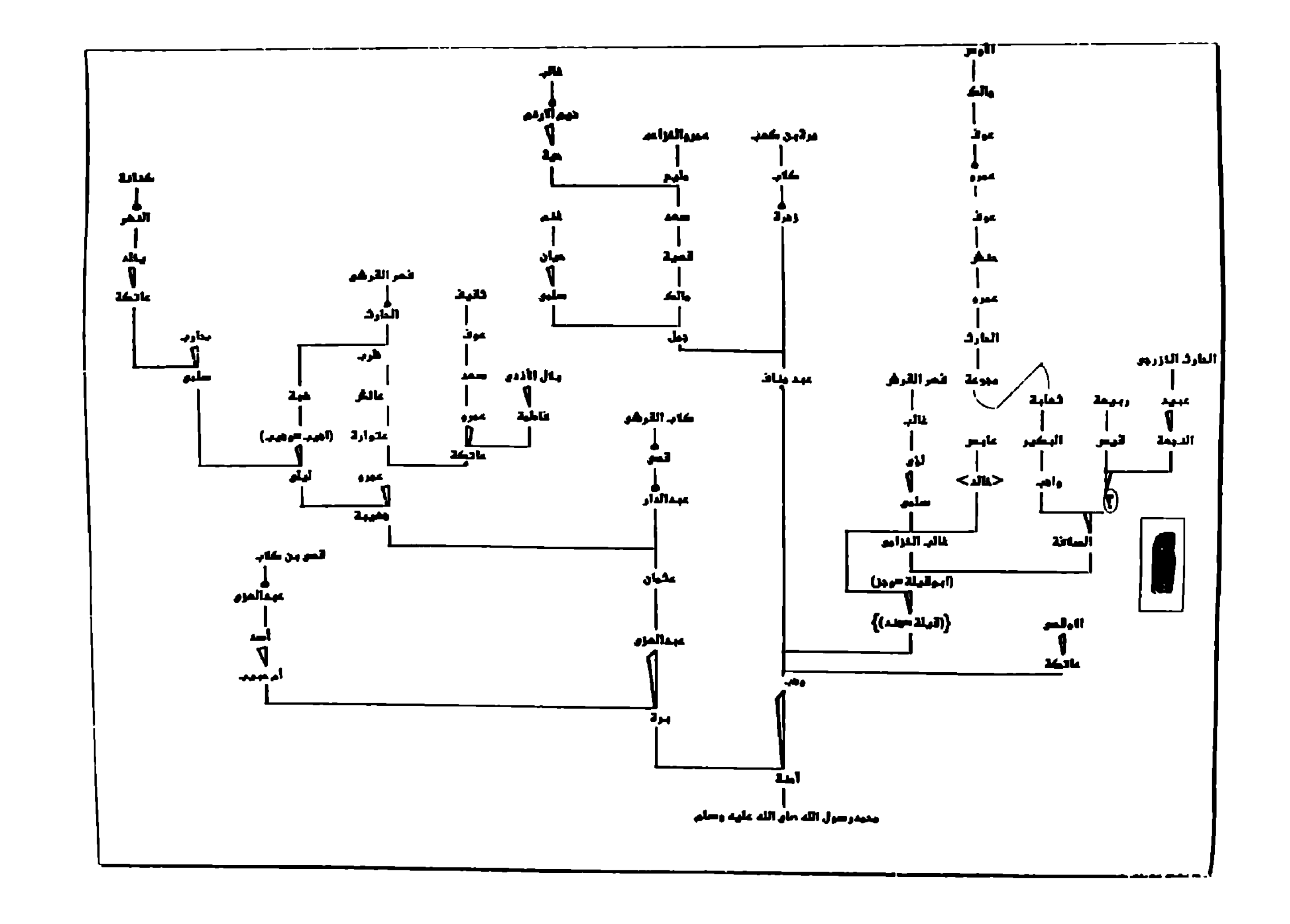




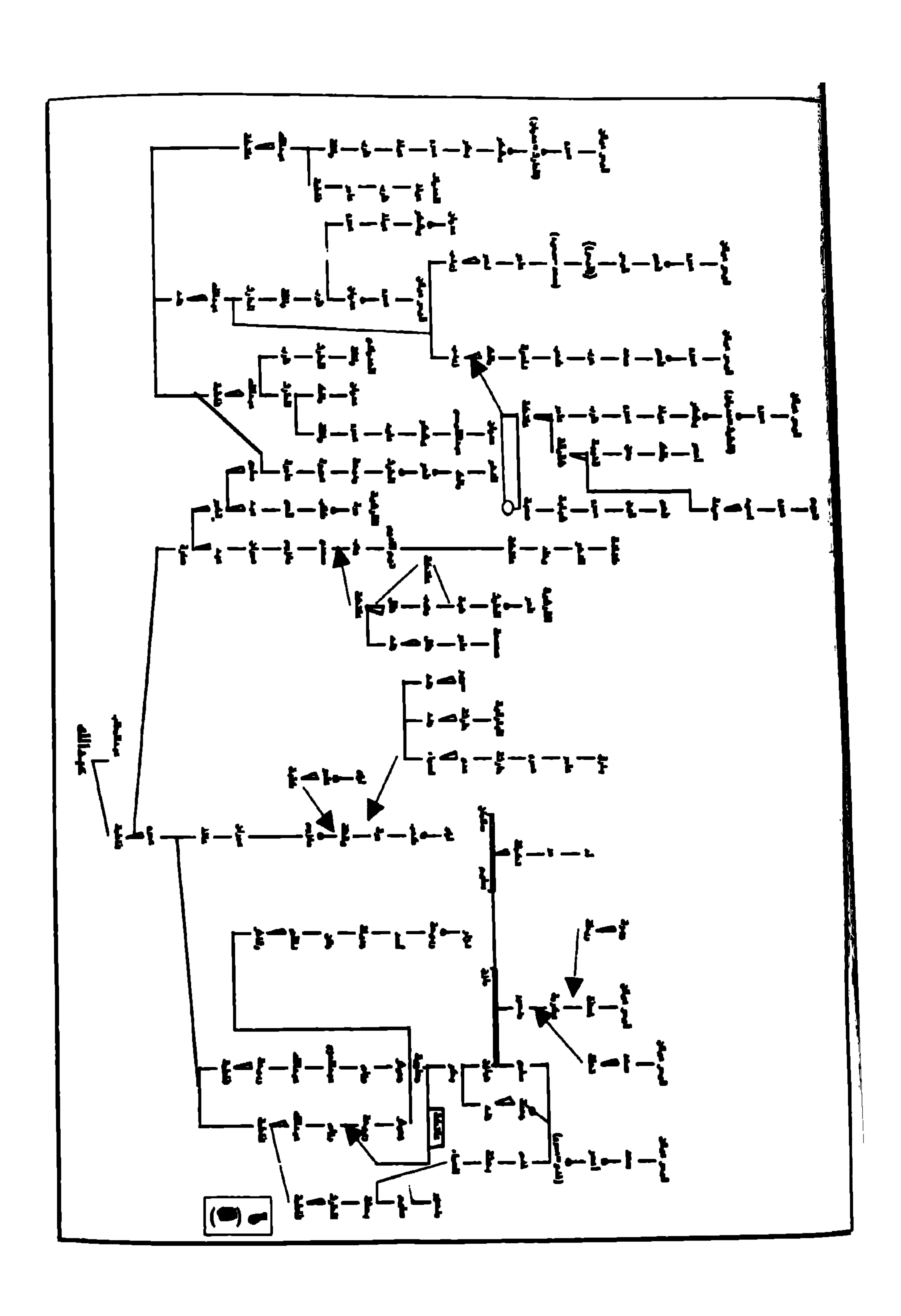


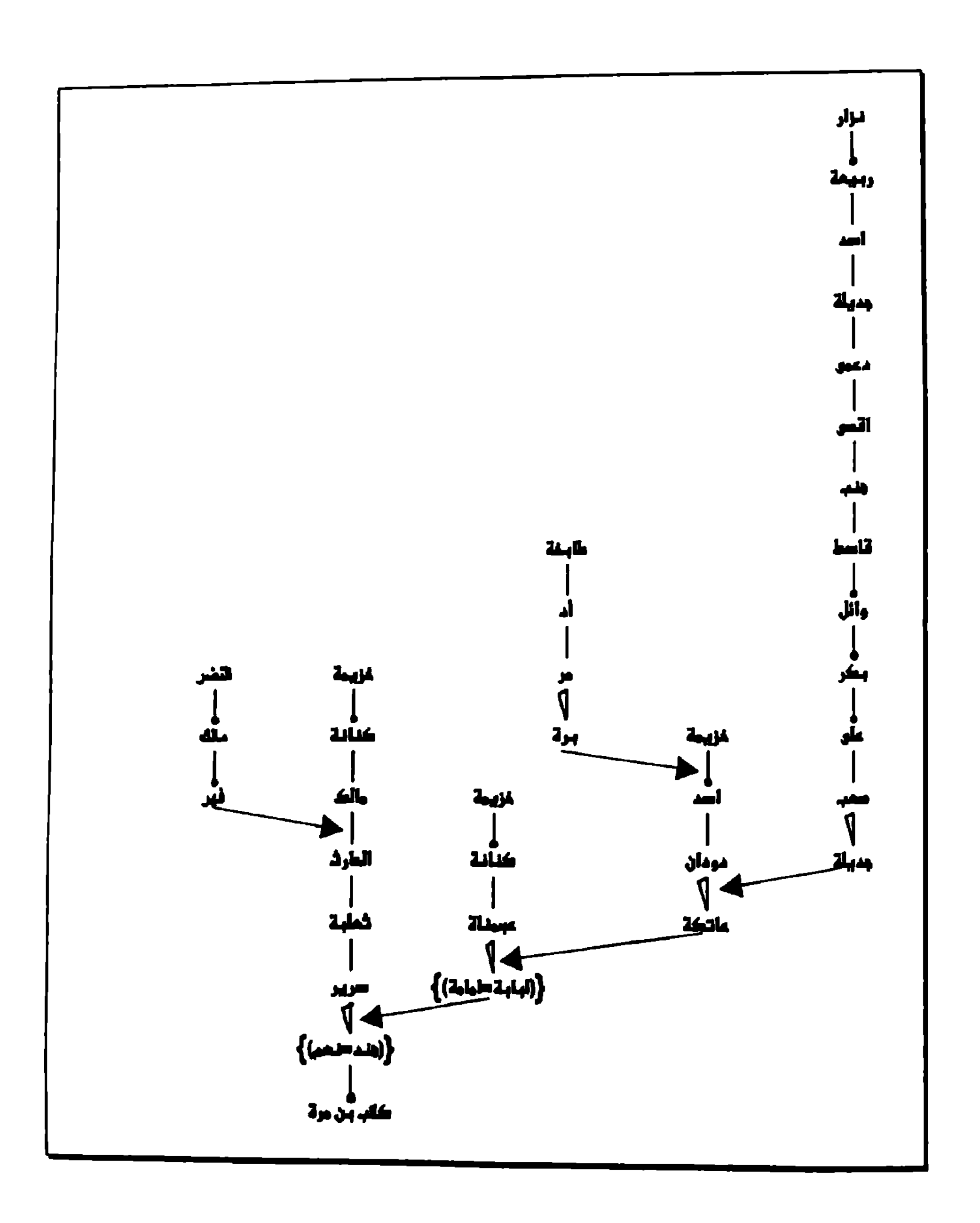



مضر
الياس
عيلان
مدركة
طابخة
قمعة
قيس
سعد

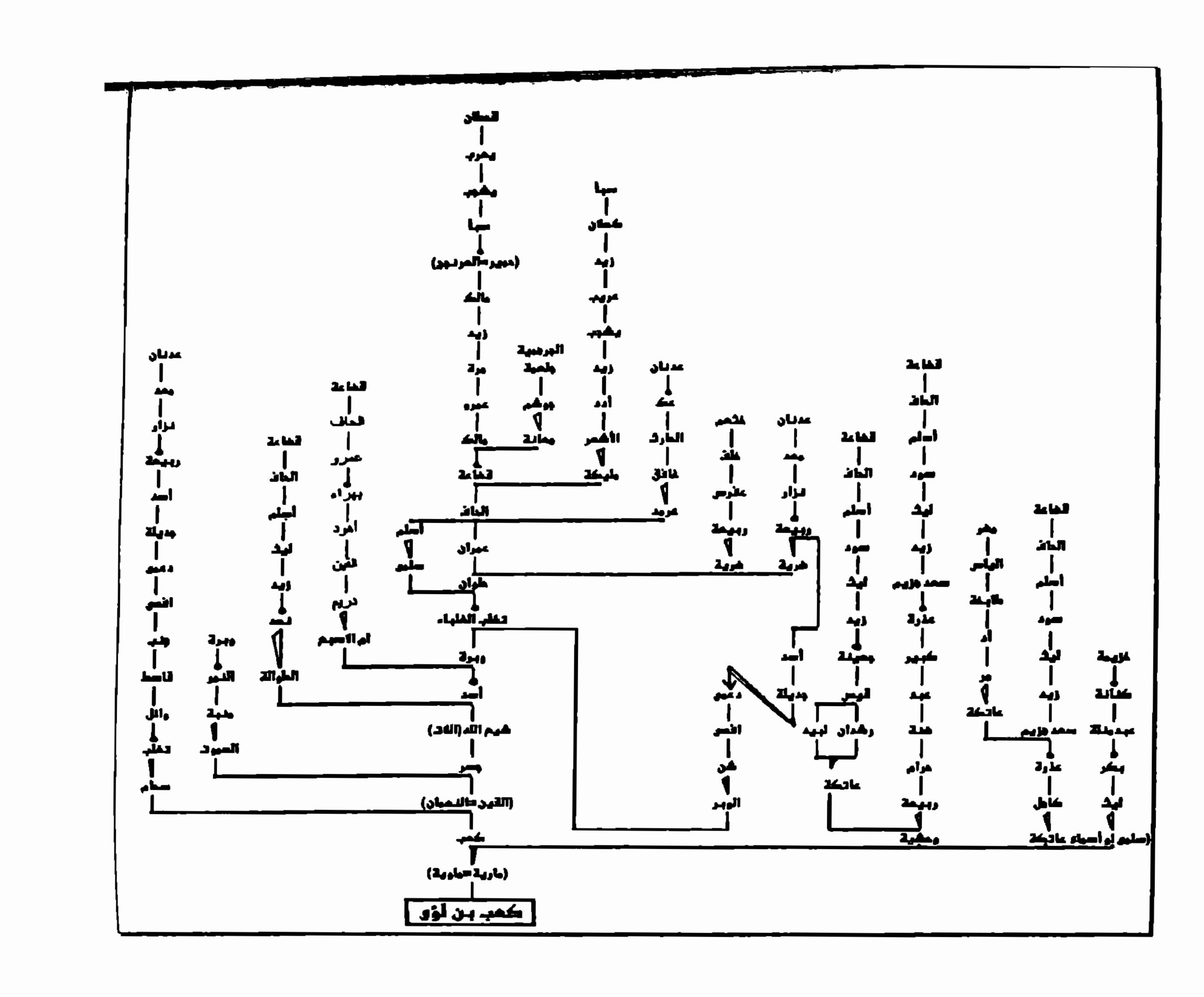


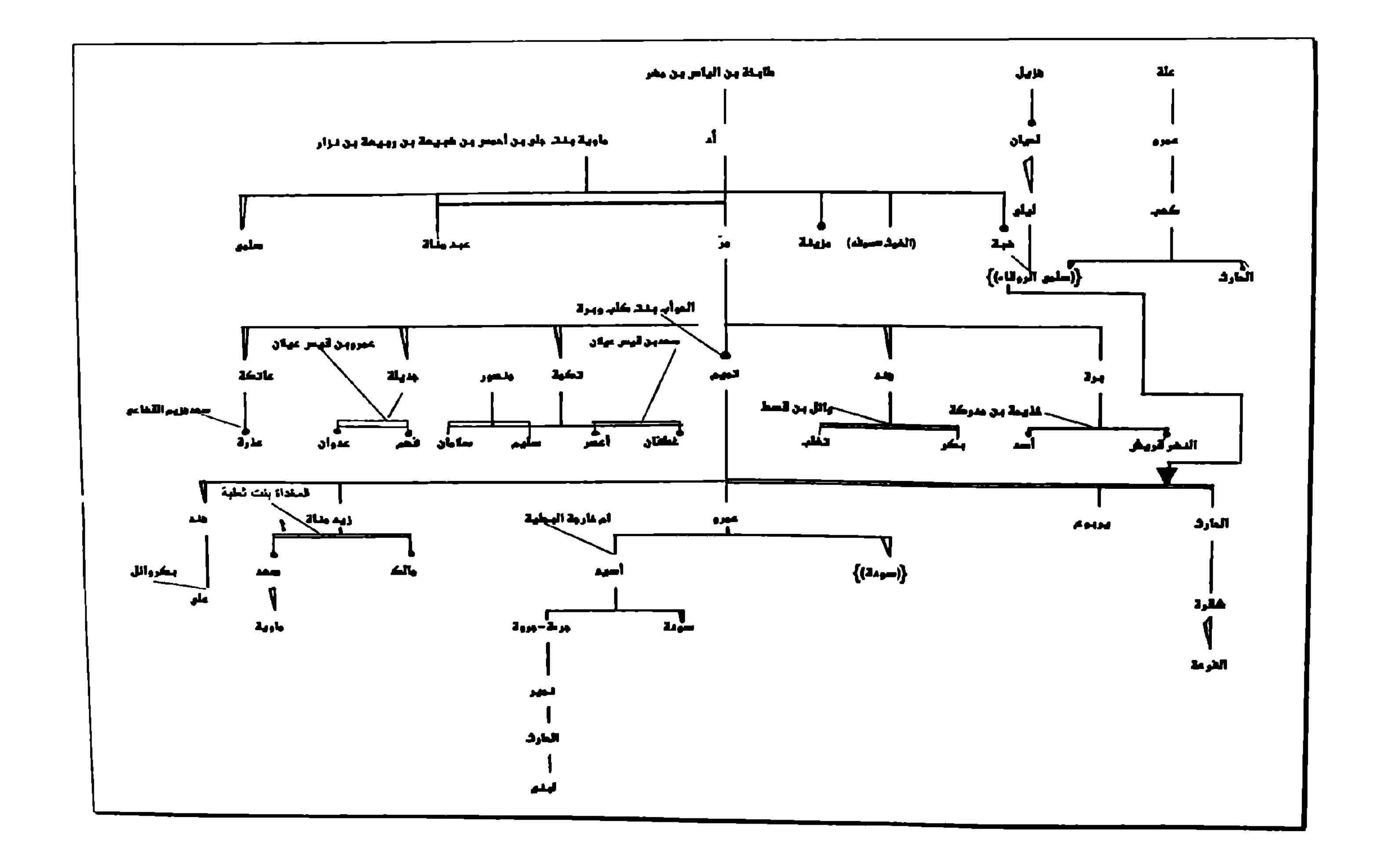
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
آمنة
وهب
برة
عبد مناف
زهرة
كلاب
مرة بن كعب
عبد الدار
قصي
كلاب القرشي
عثمان
عبد العزى
قصي بن كلاب
أسد
أم حبيب
عاتكة
سلمى
فهر القرشي
الحارث
عاتكة
فاطمة
عمرو
سعد
عوف
ثقيف
غالب
لؤي
مالك
عوف
عمرو
الحارث
عامر
عبيد
الدجمة
قيس
ربيعة
ثعلبة
واهب
عابس
<خالد>



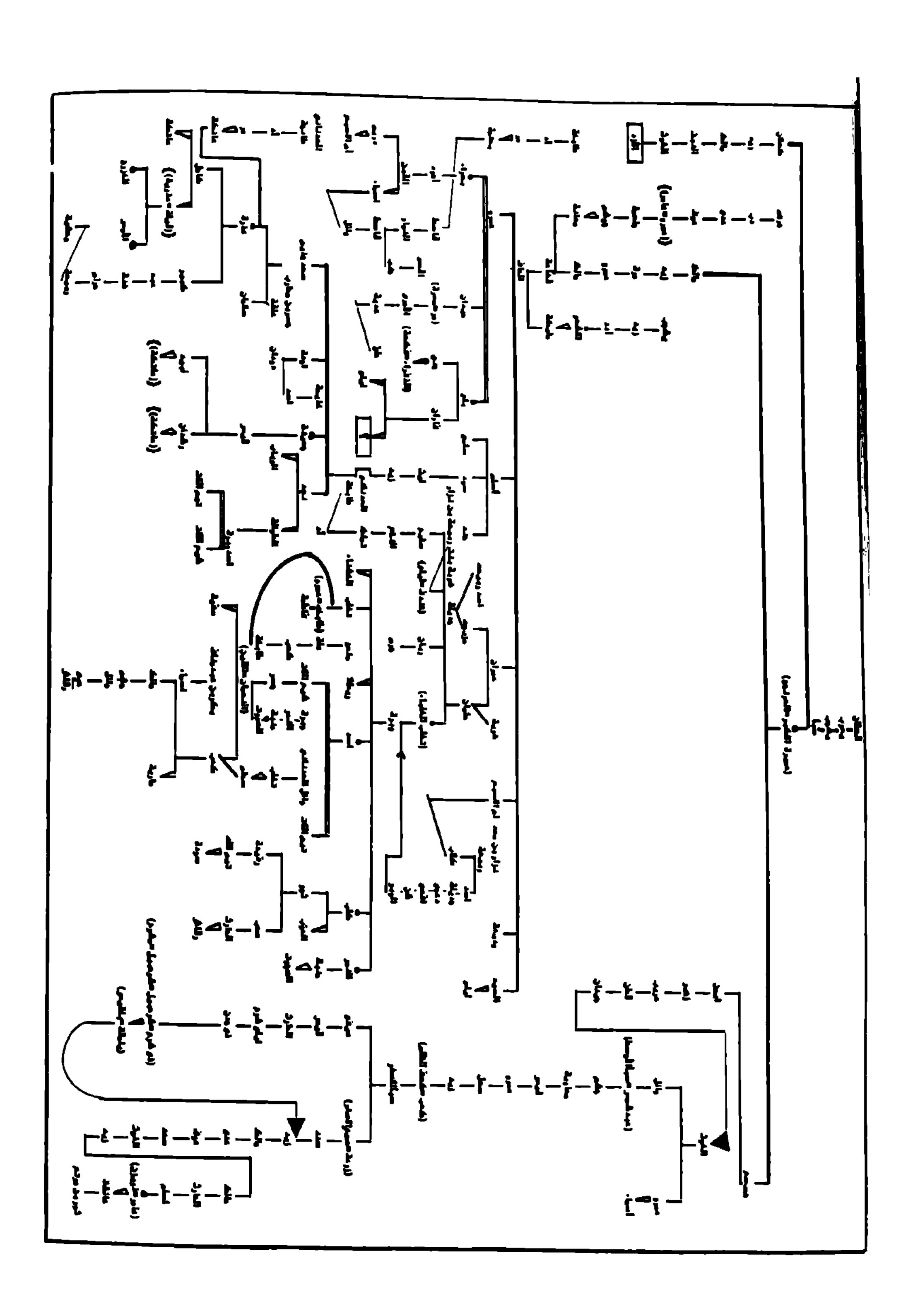


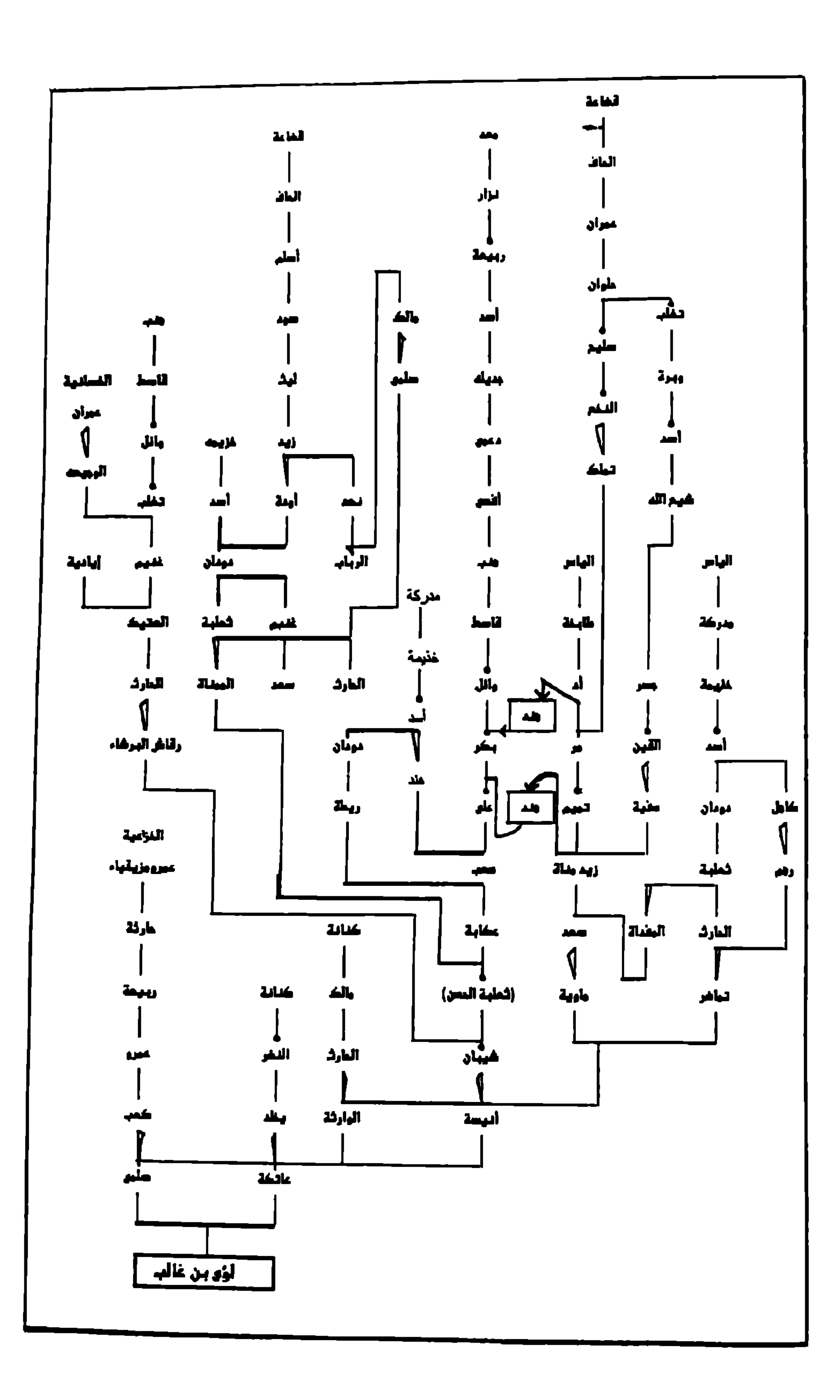
نزار
ربيعة
أسد
جديلة
دعمي
أقصى
هنب
قاسط
وائل
بكر
علي
صعب
جديلة
طابخة
أد
مر
برة
خزيمة
أسد
دودان
عاتكة
خزيمة
كنانة
عبدمناة
النضر
مالك
فهر
خزيمة
كنانة
مالك
الحارث
ثعلبة
سرير
كلاب بن مرة


كعب بن لؤي



طابخة بن الياس بن مضر
أد
ماوية بنت جل بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار
هذيل
لحيان
علة
عمرو
كعب
الحارث
ضبة
مزينة
مر
عبد مناة
الحواب بنت كلب وبرة
عمرو بن قيس عيلان
سعد بن قيس عيلان
عاتكة
جديلة
تميم
برة
عذرة
عدوان
فهم
سليم
أعصر
غطفان
وائل بن قاسط
تغلب
بكر
خزيمة بن مدركة
أسد
النضر قريش
هند
زيد مناة
المغداة بنت ثعلبة
عمرو
أم خارجة البجلية
يربوع
الحارث
بكر بن وائل
علي
سعد
مالك
أسيد
(سودة)
ماوية
سودة
شقرة
الحارث





قضاعة
عمران
حلوان
مدركة
خزيمة
أسد
هند
عكابة
شيبان
عاتكة
لؤي بن غالب

